هذا هو التوحيد

ضياء الدين القدسي



دار الحق للنشر

دار الحق للنشر
www.haqyayinlari.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن الغاية من وجود الإنسان ، بل والخلق كله ، عبادة الله تعالى وحده لا شريك له . فلا ذنب أعظم من الشرك بالله تعالى ، فالله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ (لقمان : 13) وكذلك فإنه لا شيء أنفع من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى ، فإن الخير كلَّ الخير معقود بإخلاص العبادة لله تعالى دون سواه .

إن من تدبَّر القرآن مسترشداً مصغياً علم أن الرسل إنما بعثوا إلى الناس بالدعوة إلى أن يعملوا بالتوحيد ، ويؤدوا ما افترض الله عليهم ، ويجتنبوا ما نهاهم عنه من عبادة ما سواه ، ويخلصوا أعمالهم لله وحده .

والقرآن العظيم من أوله إلى آخره يقرر هذا التوحيد وينهى عن الشرك بالله . فانظر واستمع تجده يقرر التوحيد وشرائعه ، وينفي الشرك وتوابعه بأوضح بيان .

وكذلك الأحاديث والسير ترشد إلى ذلك وتقرره على أكمل الوجوه وأحسن البيان ، لكن لما اشتدت غربة الدين بعموم المفسدين وقع الريب والشك بعد الإيمان ، وانتقض أكثر عُرَى الإسلام بانقراض عصر الأئمة الأعلام ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

وكل من تدبر القرآن وفهم أدلة التوحيد وعرف حقيقة الشرك الذي بعث الله الرسل بإزالته والنهي عنه ، وألهمه الله رشده ، علم يقيناً أنه هو الذي عليه أكثر من يدعي الإسلام في هذه الأيام .

فكان الواجب على من منحه الله علماً أن ينشر منه ما تيسر وقت الاحتياج إليه ، وخصوصاً في هذه الأزمنة لما قل العلم وكثر الجهل وغلبت الأهواء واشتغل الناس فيه بمحبة دنياهم وإيثارها على طاعة مولاهم والعمل لأخراهم ، والله تعالى هو المرجو المسئول أن يرفع عنا وعن المسلمين العقوبة ، وأن يكتب لنا المثوبة بتحري رضاه ، وأن يوفقنا للاستقامة على طاعته وتقواه

، وأن يحقق لنا ولإخواننا ما طلبناه ورجوناه ، إنه هو البر الرحيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كيف يعرف رب العالمين ؟

يعرف رب العالمين بآياته ومخلوقاته ؛ ومن آياته : الليل ، والنهار ، والشمس ، والقمر ، ومن مخلوقاته : السماوات السبع ، ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما .

آيات الله تعالى نوعان : كونية وشرعية ، فالكونية هي المخلوقات ، والشرعية هي الوحي الذي أنزله الله على رسله. فالله عز وجل يعرف بآياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة،

وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل ، والاشتمال على المصالح ، ودفع المفاسد .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال تعالى :﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ (فصلت : 37)

أي من العلامات البينة الدالة على خالقها الليل والنهار في ذاتهما واختلافهما ، وما أودع الله فيهما من مصالح العباد وتقلبات أحوالهم ، وكذلك الشمس والقمر في ذاتهما وسيرهما وانتظامهما وما يحصل بذلك من مصالح العباد ودفع مضارهم .

ففي هذه الآية نهى الله تعالى العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغاً عظيماً في نفوسهم لأنهما لا يستحقان العبادة لكونهما مخلوقين ، وإنما المستحق للعبادة هو الله تعالى الذي خلقهن .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾

(الأعراف :54)

فهذه الآية الكريمة تبين أن الله سبحانه تعالى هو وحده الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام ولو شاء لخلقها بلحظة ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته . ثم استوى على العرش كما يليق بجلاله وعظمته . وأنه يغشي الليل النهار أن يجعل الليل غشاء للنهار ، أي غطاء له فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار فيغطيه. وأنه جعل الشمس والقمر والنجوم مذللات بأمره جل سلطانه يأمرهن بما يشاء لمصلحة العباد. فهذه الآيات وغيرها كثير تدل على أنه وحده المستحق للعبادة .

قوله : ﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ أي فكما أنه له الخلق وحده لا ينازعه به أحد كذلك له وحده حق التشريع والتحليل والتحريم فلا يقبل سبحانه أن يشاركه به أحد .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾.

(البقرة : 21-22)

النداء في هذه الآية موجه لجميع الناس من بني آدم فقد أمرهم الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له. وبين لهم أنه إنما استحق العبادة لكونه هو الخالق وحده لا شريك له. فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزاماً على

المخلوقين أن يعبدوه وحده حتى يحصلوا على التقوى ، والتقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله عز وجل بإتباع أوامره واجتناب نواهيه.

فهذه الآيات معناها : لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم ، وخلق الذين من قبلكم ، وجعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل لكم من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم لا تجعلوا له أنداداً تعبدونها كما تعبدون الله ، أو تحبونها كما تحبون الله ، فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلاً ولا شرعاً .

قوله : ﴿ **فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ أي تعلمون أنه لا ند له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير فلا تجعلوا له شريكاً في العبادة .

وقال تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ .** ﴾ {يس : 37-40}

كل هذه من آيات الله الدالة على كمال القدرة ، وكمال الحكمة ، وكمال الرحمة ، فالشمس آية من آيات الله عز وجل لكونها تسير سيراً منتظماً بديعاً منذ خلقها الله عز وجل وإلى أن يأذن الله تعالى بخراب العالم ، فهي تسير لمستقر لها وهي من آيات الله تعالى بحجمها وآثارها ، أما حجمها فعظيم كبير ، وأما آثارها فما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشجار والأنهار ، والبحار وغير ذلك .كذلك القمر من آيات الله عز وجل حيث قدره منازل لكل ليلة منزلة ، فهو يبدو صغيراً ثم يكبر رويداً حتى يكمل ثم

يعود إلى النقص ، وهو يشبه الإنسان حيث أنه يخلق من ضعف ثم لا يزال يترقى من قوة إلى قوة حتى يعود إلى الضعف مرة أخرى فتبارك الله أحسن الخالقين .

أسباب معرفة الله

معرفة الله تكون بأسباب :

منها النظر والتفكر في مخلوقاته عز وجل فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته ، وحكمته ، ورحمته .

قال الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾ { الأعراف: 185 }

وقال عز وجل : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ..** ﴾ { سبأ : 46 }

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ** ﴾ { آل عمران: 190 }

وقال عز وجل : ﴿ **إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ** ﴾ { يونس: 6 }

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ**

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

{ البقرة :

164}

ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمة التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها ، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل كما قال الله عز وجل : ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا** ﴾ { النساء : 82} .

ومنها ما يلقي الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى كأنه يرى ربه رأي العين قال النبي عليه الصلاة والسلام حين سأله جبريل ما الإحسان ؟ قال : "**أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** ".

(أخرجه مسلم

)

أنواع التوحيد

الإيمان بالله تعالى يتضمن توحيده في ثلاثة :

1- **توحيده في ربوبيته .**
2- **توحيده في ألوهيته .**
3- **توحيده في أسمائه وصفاته .**

1- توحيد الربوبية : هو الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده خالق الخَلق ، ومالكهم ، ومحييهم ومميتهم ، ونافعهم ، وضارهم ، ومجيب

دعائهم عند الاضطرار ، والقادر عليهم ، ومعطيهم ، ومانعهم ، ورازقهم ، وكما له الخلق كله له الأمر كله .

ويدخل في هذا التوحيد ، الإيمان بقدَر الله سبحانه : أي الإيمان بأن كل مُحْدَث صادر عن علم الله عز وجل ، وإرادته ، وقدرته .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (الاعراف :54)

وقال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ (العنكبوت :61-63)

2- توحيد الألوهية : وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة . وهذا يعني كمال الانقياد والتذلل والخضوع لله وحده لا شريك له .

والإله هو المألوه أي المعبود .

فتوحيد الألوهية مبني على إخلاص العبادة لله وحده ، في باطنها وظاهرها ، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه .

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى : فيتضمن توحيد الله في ربوبيته ، وتوحيده في أسمائه وصفاته ، وليس العكس ، فانَّ توحيد العبد لله في ربوبيته لا يعني أنه يوحِّده في ألوهيته ، وكذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى .ولكن العبد الذي يوحد الله في ألوهيته على الخلق ، فيقر أنه سبحانه هو ، وحده ، المستحق للعبادة ، وأن غيره لا يستحقها ، ولا يستحق شيئاً منها ، يقر في الواقع بأن الله رب العالمين ، وبأن له الأسماء الحسنى ، والصفات الكاملة ، لأن إخلاص العبادة لا يكون لغير الرب ولا يكون لمن فيه نقص .

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران :64)

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (المؤمنون :117)

3- توحيد الأسماء والصفات : وهو الأيمان بما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها ، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن

الله عز وجل ، ولا تكيفها بتحديد كُنْهها ، وإثبات كيفية معينة لها ، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين .

فتوحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس ، من حاد عنها لم يكن موحداً ربه في أسمائه وصفاته :

الأول : الأيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة ، دون تجاوزها بالنقص منها ، أو الزيادة عليها ، أو تحريفها ، أو تعطيلها .

قال نعيم بن حماد شيخ البخاري : " من شبَّه الله بخَلْقه كفر ، ومن جَحد ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، تشبيه ولا تمثيل "

(الروضة الندية ص22، إتحاف الكائنات ص6 شرح ملا علي القاري ص15)

الثاني : تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الخلق ، وعن أي نقص .

قال تعالى :﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (الشورى :11)

الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات .

سئل الأمام مالك عن كيفية استواء الله عز وجل فقال : " الأستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والأيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة "

(الروضة الندية ص29)

معنى العبادة وبعض أنواعها

العبادة لغة : تعني التذلل والخضوع والطاعة والدينونة ، ومنه الطريق المعبد إذا كان مذلل بكثرة الوطء [1].

وشرعاً : فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، ويتضمن ذلك كمال الخضوع والطاعة والانقياد مع كمال الحب لله تعالى .

وإفراد الله بالعبادة يقتضي إفراده :

بالنسك أو الشعائر التعبدية ....

بالحكم والتشريع ....

بالولاية ....

ومما تقدم يعلم أن العبادة شاملة لجميع جوانب ومجالات الحياة الإنسانية ، فأي قول أو عمل أو اعتقاد يرضي الله تعالى ويتقرب به إليه فهو داخل في مسمى العبادة والعبادة تطاله وتشمله .

---

[1] **أنظر لسان العرب، والقاموس المحيط.**

وبالتالي فإن العبد عندما يُطالب بعبادة الله تعالى وحده ، فهو يراد منه هذا المعنى العام لمعنى العبادة : عبادته تعالى وحده في الركوع والسجود والخضوع ، وعبادته في الصوم والحج والنذر والنسك ، وعبادته في الحب والكره ، والجهاد والتضحية ، والخشية والتوكل ، وفي الدعاء والإنابة والرجاء ، وفي الطاعة والانقياد والاتباع والحكم والتحاكم ، وغيرها من الأمور الواجبة والمستحبة شرعاً.

ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (الذاريات : 56)

وكذلك قوله : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (الأنعام : 162، 163) فكما أن النسك والشعائر التعبدية لله وحده ، كذلك بقية الحياة وما يعتريها من أحوال وتقلبات ومواقف فهي كلها لله تعالى وحده ، حتى الممات يجب أن يكون لله وفي الله وليس للوطن أو لأوثان نصبت في زماننا – فتنت الناس عن دينها – ما أنزل الله بها من سلطان .

لذا فإنه يتعين علينا أن نبين للناس أخص ما يدخل في مسمى العبادة ، ويُجرى على صاحبه مسمى العبودية سواء أقر بذلك أم لم يقر .

من ذلك :

1- الطاعة : اعلم أنه لا يُطاع لذاته إلا الله سبحانه وتعالى لأنه الإله المعبود المستحق لذلك ، ولأنه تعالى لا يأمر إلا بالحق والعدل ، وما سواه –

أيا كانت صفته وهيئته – فإنه يُطاع لغيره – أي لله – لا لذاته ، وأيما مخلوق يطاع لذاته فهو مألوه معبود ، والمطيع له – على هذا الوجه – هو عبد له بكل ما تعني كلمة العبودية من معنى ، وداخل في مسماها لغة واصطلاحاً ، ثم أي مخلوق يأمر بأن يطاع على هذا الوجه فاحذره وحذِّر منه ،واعلم أنه طاغوت كبير يجب الكفر به.

وقولنا يطاع لذاته ، أي يطاع لأنَّ ذاته مستحقة للطاعة بغض النظر عن طبيعة الأوامر الصادرة عنه وصفتها ، ومثل هذه الطاعة إذا أعطيت لمخلوق فهي عين الشرك والكفر البواح ، وإليك بعض الأدلة على ذلك :

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ (يس : 60)

عبادة الشيطان هنا بطاعته في معصية الله ، زين لهم الشرك فأطاعوه ، فتلك كانت عبادتهم إياه [1].

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ** ﴾ [2].

---

[1] **انظر تفسير الطبري ، وزاد المسير.**

[2] **سورة محمد، الآيتان : 25-26.**

قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا.. ﴾ " أي فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر ، وذلك كان بسبب قولهم للذين كرهوا شرع الله سنطيعكم في بعض الأمر ، وإذا كان الأمر بهذا الحزم والخطورة فما يكون القول إذاً فيمن يقولون للذين تجاوزوا مرحلة الكره إلى مرحلة المحاربة والعداوة الظاهرة لشرع الله عز وجل ، سنطيعكم في كل الأمر وكل ما تأمرون به ؟!!! لا شك أنهم أولى في الكفر والارتداد والخروج من الدين .

ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ (الأنعام : 121)

أي إن أطعتموهم في استحلال أكل الميتة بعدما حرمها الله عليكم إنكم لمشركون مثلهم بعد أن كنتم مؤمنين[1] .

---

[1] ينبغي للقارئ أن يدرك أن الطاعة المذمومة شرعاً نوعان : نوع مكفر يخرج صاحبه من الملة ، ونوع دون ذلك لا يُخرج صاحبه من الملة ، أما النوع المكفر الذي يخرج صاحبه من الملة : أن يُنظر لمخلوق – أيا كانت صفته ونوعه – أن له حق الطاعة على العباد لذاته ولمكانته ، وأن أمره يُطاع لأنه هو صاحب الأمر والنهي بغض النظر هل وافق الحق فيما أمر أو نهى عنه .. فهذه طاعة مكفرة لأنها تتضمن التأليه للمخلوق .

وكذلك من الطاعة المكفرة طاعة المشركين والكفار فيما هو كفر وشرك ، كأن يأمروه بموالاتهم على المسلمين ، أو بتحليل ما قد حرمه الله ، وغير ذلك من الأمور المكفرة .. فطاعتهم على ذلك كفر وشرك وصاحبها يكفر

ولا يسمى شيء شركاً إلا إذا كان فيه نوع عبادة وتأليه للمخلوق ، فحيثما يرد ذكر الشرك والكفر فاعلم أنه يوجد نوع عبادة وتأليه لغير الله عز وجل .

ونوع العبادة والتأليه للمخلوق هنا يكمن في طاعة المشركين في أخص خصيصة من خصوصيات الله عز وجل ، ألا وهي خاصية التحليل والتحريم

لوقوعه في الكفر والشرك وليس لمجرد الطاعة ، إلا إذا كان يعتقد في المطاع أن له حق الطاعة لذاته فهنا يكون كفراً لمجرد الطاعة أو الإقرار لهذه الخاصية كما تقدم .

أما النوع غير المكفر الذي لا يخرج صاحبه من الملة ، وإنما يوقعه في دائرة الفسوق والعصيان هي الطاعة التي تكون دون ما تقدم ، كالطاعة فيما يعتبر من المعاصي والذنوب التي هي دون الكفر ، ما لم يتبع هذه الطاعة استحلال وتحسين لتلك المعاصي والذنوب فحينها تكون طاعة مكفرة .

فإذا عرفت ذلك ، فتأمل كم هم المطاعون لذواتهم في زماننا ، وكم هم الذين يعطوهم الطاعة على ذلك ، فستجد أن مجتمعاتنا تغص بالآلهة المزعومة المكذوبة ، وأن أكثر الناس على عبادتهم من دون الله ، سواء علموا أم جهلوا .

، والتحسين والتقبيح ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ** ﴾ [1]، وقال : ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [2].

فالذي يقول للمخلوق – أيا كانت صفته وهيئته ونوعه ، كان شخصاً أو نظاماً أو مجلساً أو غير ذلك فلا فرق : أنت لك خاصية التشريع ، والتحليل والتحريم ، والتحسين والتقبيح ، فما تقول عنه حسن فهو الحسن وما تقول عنه قبيح فهو القبيح ، ولك الأمر من قبل ومن بعد ، ولك علينا حق الطاعة في ذلك ، فقد زعم له الألوهية التي زعمها فرعون لنفسه ، وتحققت له عبوديته – وإن صلى وصام وقال إنني من المسلمين – وجعل منه نداً لله في أخص خصوصياته سبحانه وتعالى .

ومما يوضح ذلك أكثر قوله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [3].

قال البغوي في التفسير ـــ : " فإن قيل إنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان — بمعنى الركوع والسجود — قلنا : معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا ، فاتخذوهم كالأرباب .

---

[1] **سورة يوسف، الآية : 40.**

[2] **سورة الكهف، الآية : 26.**

[3] **سورة التوبة ، الآية : 31.**

و عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي : " يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك " ، فطرحته فلما انتهيت إليه وهو يقرأ : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّه** ﴾ ، حتى فرغ منها قلت : إنا لسنا نعبدهم ، فقال : " **أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه** " ، قال : نعم ، قال : " **فتلك عبادتهم** " [1].

فتأمل كيف جعل النبي ﷺ طاعة الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله عبادة لهم ، واتخاذهم أرباباً من دون الله .

ولو أمروهم أن يصلوا ويصوموا لهم لما أطاعوهم ولربما رجموهم ، لأن مثل هذه الشعائر عبادة ظاهرة لا تخفى على عوام الناس فضلا عن خاصتهم ، ولكن جاءوهم من جهة الطاعة والانقياد – وهذا أمر تخفى فيه صفة العبودية على كثير من الناس– فأطاعوهم وعبدوهم من دون الله من هذا الوجه ، ومن غير حرج !

قال أبو البختري : " أما إنهم لم يصلوا لهم ، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله – بمعنى السجود والركوع – ما أطاعوهم ، ولكن أمروهم

---

[1] تفسير البغوي : **285/3**.

فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم ، فكانت تلك الربوبية. وتلك عبادتهم ." (الفتاوي لابن تيمية : 76/7)

2- التحاكم : كذلك مما يدخل في مسمى العبادة ومجالاتها "التحاكم " فإن كان العبد يتحاكم في جميع شؤون حياته الخاصة والعامة إلى شرع الله تعالى فهو عبد لله عز وجل ، وإن كان يتحاكم إلى شرع غيره - أنَّا كان هذا الغير - ولو في جزئية من جزئيات حياته فهو عبد لهذا الغير وداخل في عبادته من أوسع أبواب العبادة . وسر ذلك أن الحكم والتشريع وسن القوانين والقيم والموازين يعتبر من أخص خصوصيات الإلهية ، فمن ادعاه لنفسه من دون - أو مع - الله عز وجل فقد ادعى الألهية وزعمها لنفسه اختصاصاً وعملاً ، وجعل من نفسه نداً لله عز وجل في أخص خصوصياته . وبالتالي من أقر له بهذا الحق وتحاكم إليه - من دون أو مع الله - فهو داخل في عبادته من دون الله أقر بذلك أم لم يقر ، علم أم جهل .

قال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف : 40)

ففي الآية نفي بعده إثبات يفيد الحصر والقصر ، أي ليس الحكم - وهو التشريع الذي يتضمن القضاء والأمر والنهي - لأحد إلا لله تعالى . ثم أتبع ذلك نفي وإثبات آخر ، وهو أمره تعالى بأن لا يُعبد أحد - في أي جزئية أو مجال من مجالات العبادة - إلا إياه سبحانه وتعالى .

وهذا نص واضح في أن الحكم من خصوصيات الله وحده لا يشركه فيه أحد من خلقه ، وأيما مخلوق يزعم لنفسه هذا الحق فقد زعم الألوهية وجعل من نفسه نداً لله تعالى ، وكذلك من أقر له بهذا الحق فقد تحققت له عبوديته من دون الله تعالى ، وأشركه في العبادة مع الله تعالى .

وهناك آيات كثيرة تبين أن التحاكم إلى شرع الله عبادة والتحاكم إلى غير شرع الله شرك .

3- **الحب والكره (الموالاة والمعاداة) .**

مما يدخل كذلك في مسمى العبادة : الحب والكره ، والموالاة والمعاداة ، فمن كانت موالاته ومعاداته ، وحبه وكرهه لله تعالى وفي الله ، بحيث يحب ما يحبه الله ، ويكره ما يكرهه الله ، ويوالي من يوالي الله ورسوله ، ويعادي من يعادي الله ورسوله ، ويرضى ما يُرضي الله ، ويبغض ما يبغض الله تعالى ، فهو حينئذ يكون عبداً لله تعالى وحده ، قد صح إيمانه ، ومن كان مناط حبه وكرهه ، وموالاته ومعاداته غير الله تعالى ، فهو عبد لهذا الغير – مهما اختلفت وتعددت صوره وأشكاله – وداخل في عبادته وتقديسه أقر له بذلك أم لم يقر .

قال رسول الله ﷺ : " **من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان** "(رواه أبو داود وغيره بسند صحيح)

وقال ﷺ : " **أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ،والحب في الله،والبغض في الله عز وجل**"(رواه أحمد وغيره بسند صحيح)

وكون ذلك أوثق عرى الإيمان ، فهو لتحقق كمال العبودية وأعلى مراتبها ودرجاتها ، وبالتالي فمن أعطى ذلك لغير الله تعالى فقد تحققت عبوديته لهذا الغير بأعلى مراتب العبودية ودرجاتها .

فلا يحب لذاته إلا الله تعالى ، وما سواه يحب له سبحانه وتعالى وليس معه ، وأيما مخلوق –أيا كانت صورته [1] – يُحب لذاته أو مع الله ، بحيث يُعقد عليه الولاء والبراء فيما أصاب وفيما لم يصب ، وفي الحق والباطل ، فقد اتُخذ نداً وعُبد من دون الله .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ (البقرة : 165)

4– الدعاء : بمعنى طلب الوساطة .

قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ .** ﴾ (غافر : 60)

وقال رسول الله ﷺ : " **الدعاء مخ العبادة** " [2]

---

[1] سواء كان بشراً أم أمراً مادياً كالتراب والوطن ، أو معنوياً كالمناهج والدساتير والأحزاب في بعض صورها .

[2](رواه الترمذي , أبو داود ، ابن ماجة)

وقال رسول اللّه ﷺ : **"إن الدعاء هو العبادة "** [1]

إن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذه الآية أن يدعوه وحده ، ويبشرهم أنه في حال دعاءه وحده فإنه سوف يستجيب لهم . ويخبرهم أن من يستكبر عن دعائه فسوف يكون من أصحاب جهنم . فهذه الآية والأحاديث الصحيحة تبين أن الدعاء عبادة ، حتى أنها من أكبر العبادات وأسماها لأن الله جل وعلى يغضب ممن لا يدعوه .

قال رسول اللّه ﷺ :**" من لم يَدْعُ اللّه عزَّ وجلَّ غضب عليه "** [2]

فمن صرف الدعاء لله فهو موحد . لكن هل من صرفه لغير الله مشرك أم أنه غير مشرك ؟ فيه تفصيل :

إن دعا المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا مشرك كافر .

مثال : لو دعا الميت أن يتوسط له ليرزقه الله ولداً أو أن يعافيه من المرض أو يدفع عنه الشرور فهذا شرك أكبر .

لأن سؤال الأموات والطلب منهم شرك أكبر مطلقاً حتى ولو سألهم ما يقدرون عليه لو كانوا أحياء كأن يعطيك مالاً . أما لو سألت المخلوق الحي

---

[1]رواه أحمد وأصحاب السنن، وقال الترمذي: حسن صحيح

[2](أخرجه الإمام أحمد، قال ابن كثير: إسناده لا بأس به)

ما يقدر عليه كما لو طلبت منه قرضاً فهو جائز لأنه يقدر عليه . ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم أستلف من رجل بكراً فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره فرجع إليه أبو رافع فقال لم أجد فيها إلا خياراً رباعياً فقال " **أعطه إياه إن خيار الناس أحسنهم قضاء** " رواه مسلم

5- الخوف .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلاَ تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران :175)

ويكون الخوف شركاً أكبر إذا خفت من المخلوق مما لا يقدر عليه المخلوق ، مثاله " تخاف من إنسان أو جن أن يقطعوا نسلك " وهذا لا يقدر عليه إلا الله ، "تخاف أن يصيبك بأمراض " " تخاف أن يصيبك بالفقر أو العاهات الخلقية" هذا كله شرك أكبر لأنها أشياء لا يقدر عليها إلا الله .

وكذلك الخوف من الجمادات والأموات مطلقاً أن يصيبوه بمكروه ، حتى ولو كان هذا المكروه يقدر عليه الميت لو كان حياً مثل " أن تخاف أن يضربك " فهذا شرك أكبر لأنك خفت منه ما لا يقدر عليه .

وكذلك أن تخاف من مخلوق فيؤدي خوفك منه إلى أن تعمل له عبادة كأن تذبح له ،كالخوف من شر الجن ، فتذبح لهم إذا سكنت بيتاً خوفاً أن يؤذوك فتذبح لهم حتى لا يؤذوك فهذا شرك أكبر .

ويكون الخوف شرك أصغر : وهو أن يؤدي خوفك من شخص إلى ترك واجب أو فعل محرم كمن حلق لحيته خوفاً من انتقاد الناس ، أو خاف السخرية أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو ترك صلاة الجماعة خوفاً على المنصب أو جلس عند أناس يسمعون الأغاني فترك الإنكار صيانة لعرضه حتى لا يتكلموا فيه فجاراهم فيه أو قال استحيت فهذا شرك أصغر .

لما روى الإمام أحمد مرفوعاً [**إن الله يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذا رأيت المنكر لا تغيره ، فيقول ربي خشية الناس ، فيقول الله إياي كنت أحق أن تخشى**[1]] ووجه الدلالة قال خوفاً من الناس .

الخوف الطبيعي : فهذا جائز ولا شيء فيه . كما لو خفت اللص أو من حيوان مفترس ، قال تعالى عن موسى : ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (القصص 21) فهذا جائز بشرط أن لا يؤدي إلى فعل محرم أو ترك الواجب .

6ـــ الرجاء : وهو وصف قائم في القلب يؤدي إلى التوقع والأمل والطمع .

قال تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا** ﴾ (الكهف : 110)

---

[1]– **هذا موضع الشرك .**

أي : فمن كان يأمل لقاء الله ويطمع بمكافأته فليخلص عمله لله تعالى وليكن عمله موافقاً لسنة رسوله ﷺ .لأنه لقبول العمل لا بد من توفر شرطين كما جاء في الآية الكريمة .

الشرط الأول : أن يكون موافقاً لسنة رسول الله ﷺ ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ..** ﴾

الشرط الثاني : أن يكون خالصاً لله وحده .﴿ **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا** ﴾

ويكون الرجاء توحيداً إذا تعلق أمل العبد بالله وحده .

أما متى يكون الرجاء شركاً – ففيه أحوال :

– إذا توقع وطمع من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله مثل (التوقع من المخلوق النصر أو التوقع منه الولد أو الشفاء والسلامة) فهذا شرك أكبر وكذلك أن يتوقع من الجمادات والأموات الخير ولو كانوا يقدرون عليه لو كانوا أحياء فهذا شرك أكبر .

– أن يرجو ويتوقع من المخلوق ما يقدر عليه مع الاعتماد عليه . مثل أن يعتمد عليه أن يعطيه مالاً بحيث يكون واثق بأنه سيعطيه ، أو أن يطمع في مهارة الطبيب ، فيثق بحصول الشفاء فهذا من الشرك الأصغر .

وكذلك أن يطمع ويتوقع ويرجو الشفاء والخير من الله لكن بوسيلة محرمة كمن لبس حلقة أو خيط على أن تكون سبباً للشفاء أو فعل ما يسمى

بالشبكة يطمع من الله أن تكون سبب الألفة والاشتباك بين الزوج والزوجة ، فهذا من الشرك الأصغر . فقد قال رسول الله ﷺ :

" **من تعلق تميمة فقد أشرك** " (رواه احمد والحاكم وصححه)

7 ــ التوكل : لغة : التفويض .

شرعاً : الاعتماد على الله لجلب الخير ودفع الشر .

قال تعالى : ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (المائدة :23)

وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُه** ﴾ (الطلاق : 3)

ويكون التوكل توحيداً إذا اعتمد وفوّض أمره إلى الله وحده .

ويكون التوكل شركاً أكبراً في هذه الحالات :

– إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله كالذي يعتمد على المخلوق في نزول المطر وحصول الرزق أو النسل أو اعتمد عليه في الشفاء والسلامة من الأمراض . وهذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله وهي شرك أكبر .

– الاعتماد على الأموات والجمادات كأن يثق بأن هذا الميت سوف يعطيه أو يدفع عنه ، وهو شرك أكبر .

ويكون التوكل **شركاً أصغر** إذا اعتمد على الأسباب .

مثل أن يعتمد على مهارة الطبيب في نجاح العملية ومثل الثقة بكثرة الجيش في حصول النصر ، والاعتماد على حذاقة السائق في السلامة من

الحوادث ، والاعتماد على المذاكرة في النجاح ، وهذه ظاهرة متفشية عند المسلمين بأن يعتمد على الأسباب .

ويعرف الاعتماد على الأسباب بالقرائن التالية :

– منه ما يتعلق بالقلب فيشعر بالراحة والاطمئنان والسكون لوجود السَّبب فإذا وجد السبب وثق بالنتيجة أنها لا بد سوف تتحقق ،هذا أهمها.

– أن يشعر بالقلق والاضطراب إذا تخلف السبب أن النتيجة لن تتحقق

مثاله : لو ذهب بمريض إلى طبيب معين ووثق أن العملية سوف تنجح إذا فعلها هذا الطبيب وارتاح لذلك ، أما وإن عمل العملية طبيب آخر فلن تنجح العملية . وهذا من الشرك الأصغر . قال تعالى : ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ** ..﴾ ،أي اعتمدوا . ومفهوم الآية : عدم الاعتماد على الأسباب ، بل نفعل الأسباب لكن نعتمد على الله .

وهناك فرق بين الارتياح للأسباب والاعتماد على الأسباب ، فلو أن شخصاً أصلح سيارته وأعدها إعداداً جيداً للسفر ثم شعر بالارتياح فهذا لا شيء فيه ، أما لو وثق ألا يصيبه شيء لأن السيارة سليمة وجيدة فهذا من الاعتماد على الأسباب.

8 ـ الرغبة : هي السعة يقال رغب الشيء أي اتسع . فعلى هذا هي الإرادة الواسعة والقوية وتأتي بمعنى الحرص وهو الإرادة القوية وتأتي بمعنى العطاء الكثير ، فإذا كانت في الدعاء فالرغبة فيه إطالته وكثرته والسعة فيه ويسمى دعاء رغبة والإطالة في العبادة تسمى عبادة رغبة .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ (الأنبياء :90)

فكثرة الإقبال على الله وسعة الإقبال على الله دعاءاً وعملاً وعبادة يكون توحيداً .

والذي يكثر طلب حوائجه من الجن والأموات والجمادات سواء فيما لا يقدر عليه إلا الله أو غير ذلك فقد ارتكب الشرك الأكبر .

أما لو كثر الإقبال على المخلوقين في طلب الحوائج المحبوبة وهم يقدرون عليها فإن اعتمد عليهم فهذا شرك أصغر وإن لم يعتمد عليهم فهذه من الأمور التي تنقص التوحيد لحديث (**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**) (متفق عليه)

9 ـ الرهبة :

الرهبة لغة : مأخوذة من الرهابة وهو العظم الذي على رأس المعدة فيقال جمل رهب إذا كان طويل العظام ، ويقال للعابد من النصارى راهب لأنه يطيل ويديم الخوف ، وعلى ذلك فالرهبة : الخوف الطويل والخوف الشديد .

والفرق بين الخوف والرهبة فرق زمني : فإذا اضطرب قلبك وقلقت فترة قصيرة هذا يسمى خوفاً أما لو طال الاضطراب والقلق وامتد فإنه يسمى

رهبة . وهناك فرق آخر أن الخوف توقع الضرر المحتمل الذي قد يقع وقد لا يقع ، ولذا إذا تذكرت أنه سيقع قلقت وإذا ذكرت أنه لا يقع اطمأننت . أما الرهبة : فهي توقع الضرر المتيقن به . ولذا يطول الخوف ، فالمحكوم عليه بالقتل يقيناً . هذا يسمى راهب لأن الضرر متيقن فتجده دائم الخوف حتى يقتل ، أما الذي لا يتوقع القتل في حقه فهذا يسمى خوفاً فقط .

قال تعالى : ﴿ **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ (البقرة :40)

وتكون الرهبة عبادة إذا طال الخوف من الله .

أما إذا طال الخوف من صاحب القبر مثلاً فهذا شرك أكبر .

فأنك إذا قلقت واضطربت من صاحب القبر أو من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذه عبادة خوف وهي من الشرك الأكبر . فإن قلقت واضطربت من صاحب القبر أو مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله مع نيتك أن ضرره سيصل إليك فهذه عبادة رهبة وهي من الشرك الكبر أو طال زمن خوفك منه فهذا عبادة رهبة لصاحب القبر .

10 ــ الخشوع : مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت. فيكون الخشوع بمعنى السكون والهدوء في القلب والجوارح وفي الصوت وفي النظر والمشي أي سكون الجوارح .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ (الأنبياء :90)

ويكون الخشوع عبادة : إذا وقف أمام الله ساكناً هادئاً في الجوارح فإن هذا يسمى خشوعاً ، ولذا فالمصلي خاشع في الهيئة ، فإنه يقف في الصلاة مطأطئ الرأس ينظر إلى مكان سجوده وهذا خشوع وإذا مشى إلى الصلاة مشى بهدوء وغض للصوت والنظر وهذا خشوع في المشي إلى الصلاة . وهذه كلها عبادة لله . أما إذا وقف أمام قبر أو شخص هادئ الحركات ساكن الجوارح فهذا خشوع وإن لم يطلب منه شيئاً ، وهو من الشرك الأكبر ؛ ومثله لو مشى إلى قبر ولي من الأولياء هادئ الجوارح ساكن القلب فهذه عبادة خشوع ، فالأصل في الخشوع عمل بالقلب وتدل عليه الجوارح .

11 ــ الخشية : وهي الخوف من الشخص ، فإذا خفت من شخص معين بغض النظر عن العقوبة التي سوف يوقعها بك فهذه تسمى خشية ، ولذا فهناك فرق بين الخوف والخشية ، فالخوف : هو القلق والاضطراب من العقوبة والمكروه ؛ والخشية : هو الخوف من الشخص ذاته ، فإذا أراد زيد أن يقتلك فاضطربت وقلقت من القتل هذا يسمى خوفاً ، أما لو خفت من زيد لذاته بغض النظر عن نوع العقوبة فيقال خشية ، وهذا يدل عليه من القرآن قوله تعالى :

﴿ **وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ** ﴾ (الرعد :21)

فجعل الخشية لله والخوف للحساب .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ** ﴾ (المؤمنون :57)

وقال تعالى : ﴿ **فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ** ﴾ (المائدة : 3)

وتكون الخشية توحيداً إذا تعلقت خشيتك بالله .

وتكون الخشية شركاً أكبراً إذا اضطرب قلبك من صاحب القبر أو من جماد بغض النظر عما سوف يفعل بك .

12 – الإنابة : هي الرجوع للشيء مرة بعد مرة ، ومنه ينتابه أي يقصده مرة بعد مرة .

قال تعالى : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾ (الزمر :54)

وتكون الإنابة توحيداً إذا كان يرجع إلى الله في الملمات مرة بعد مرة ، فيقال أناب إلى الله .

وتكون الإنابة شركاً أكبراً إذا قصد القبر مرة بعد مرة ، في الملمات . يقال أناب إلى صاحب القبر . وإن كان الرجوع إليه مرة واحدة كان شركاً أكبر لكن التكرار أشد شركاً .

أما الفرق بين الرغبة والإنابة : فالرغبة هي كثرة الرجوع والتردد ، وكذلك الإنابة لكن الرغبة الرجوع في الأمور المحبوبة ، والإنابة الرجوع في الملمات والمكروهات .

والفرق بين الإنابة والتوبة هو : التوبة أخص من الإنابة ، فالتوبة رجوع خاص بصفة معينة وهي الرجوع مع الإقلاع والندم .

والدليل في التفريق بين التوبة والإنابة قوله تعالى :

﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ (ص : 24)

13 – الاستعانة : الاستعانة لغة : مأخوذة من العون والمعاونة والمظاهرة يقال فلان عوني أي معيني ، والمعين هو الظهير فتكون الاستعانة المعونة ، واصطلاحاً : طلب المعونة من الله .

قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة : 4)

وقال رسول الله ﷺ :" **إذا استعنت فاستعن بالله** "[1]

14 ـــ الاستعاذة : الاستعاذة لغة : مأخوذة من العوذ وهي الالتجاء للشيء والتعلق به والإستنصار به . لذا سميت المعوذتين لأنها تعصمان من السوء فهي طلب الالتجاء .

شرعاً : الالتجاء إلى الله .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ ﴾(الناس :1-2)

وقال تعالى :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (الفلق :1)

15 ـــ الاستغاثة : الاستغاثة لغة : مأخوذة من الغوث ، فأغاثه بمعنى أعانه ونصره وكشف الشدة عنه ، ولذا سمي المطر غوثاً لأنه يكشف شدة القحط .

---

[1] **رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح .**

قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال : 9)

ويلاحظ أن هناك قاسماً مشتركاً بين تعاريف الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة (فالاستغاثة ، والاستعانة ، والاستعاذة) هي المعونة والنصرة لكنها تختلف باعتبار الحالة والزمن ؛ فإذا وقع عليك الشر وطلبت النصرة بإزالته فهذه تسمى استغاثة ، فنداء الغريق يسمى استغاثة ، أما إذا لم يقع عليك الشر حتى الآن لكنه على الطريق أن يقع عليك فطلبت أن لا يقع فهذه الاستعاذة ، أما في الأمور العادية إذا لم يقع عليك شر ولا تتوقع شراً فإنه يسمى استعانة .

إذا استعان واستغاث واستعاذ بالله تعالى فقط فهذا توحيداً .

وتكون شركاً أكبراً إذا استعان أو استعاذ أو استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، مثل الاستعانة في رفع القحط وهنا لا يقدر عليه إلا الله ونحو ذلك .

وتكون شركاً أصغراً إذا استعان أو استعاذ أو استغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه مع الاعتماد عليه ، كما لو وقع في شدة فاستعان بالسلطان ، أو كاد يغرق في البحر فاستغاث بالناس لكنه معتمد عليهم فهذا شرك أصغر ، وعلامة الاعتماد أن ترتاح إلهم سوف ينقذونك وتثق أن الإنقاذ سوف يحصل من السلطان أو من الناس كالذي يستعين بالجيش ويطمئن أن النصر سوف يحصل ، فهذا من الشرك الأصغر .

أما إذا استعان أو استعاذ أو استغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه مع الاعتماد على الله وعدم الاعتماد على المخلوق فهذا جائز .

16 ـــ الذبح : الذبح لغة : الشق .فأصل الذبح شق حلق الحيوانات .

الذبح إصطلاحاً :ذبح القرابين تقرباً إلى الله وتعظيماً وتذللاً بطريقة مخصوصة.

ذبح العبادة : وهو إراقة الدماء على وجه التقرب والتعظيم ، أما كلمة الذبح فقط ، فهي إراقة الدماء .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ (الكوثر :2)

وقال رسول الله ﷺ : " **لعن الله من ذبح لغير الله** " مسلم

ويكون الذبح توحيداً وعبادة لله إذا ذبح تعظيماً لله وتقرباً .

ويكون الذبح لغير الله شركاً أكبراً إذا ذبح لغير الله تقرباً وتعظيماً. ومعنى تقرباً : أي حتى ينفعه لجلب خير أو دفع شر ؛ فهدفه من وراء الذبح له أن

---

[1] (الأنعام :162-163)

ينفعه دنيوياً أو أخروياً ؛ أو يدفع شراً أو آفة عنه ، فأصبح يقصد القرب المعنوي .

وأما تعظيماً : فمعناه أن يقوم في قلبه عظمته ومكانته فيدفعه هذا التعظيم والإجلال إلى أن يذبح له .

والذبح لغير الله له عدة صور :

1 – كالذبح للجن تخلصاً من شرهم أو لكي يساعدوه في شيء . ومثله الذبح للجن لفك السحر والعين . وهذا شرك أكبر .

2 – الذبح على عتبات البيوت إذا تم بناؤها أو عند تأسيس البيت لكي يسلم من شر الجن والحسد والعين ومثله الذبح عن تأسيس أي شيء كحفر بئر ونحو ذلك . وهذا شرك أكبر .

3 – الذبح للأموات والأولياء على أضرحة قبورهم إما تعظيماً لهم أو إجلالاً أو لكي ينفعوه في الدنيا أو في الآخرة . وهذا شرك أكبر .

أما الذبح للأموات من باب الصدقة والأضحية فهذا الذبح يقصد به إهداء الأجر لهم لا أن الذبح ذاته لهم .

4 – الذبح للسلطان والأمير تعظيماً ، وللعظماء والكبراء تعظيماً لهم لأنهم كبراء ، أو تقرباً لهم كي ينفعوه في مال أو منصب ونحو ذلك ، وهذا من الشرك الأكبر لمفهوم قوله تعالى : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ مفهوم المخالفة ، وصورتها أن تؤخذ الذبيحة فتذبح إذا نزل من الطائرة أو إذا دخل من الباب أو قاعة أو عند قدومه أو عند طلعته ، وعلامة ذلك : أن تذبح في

وجوههم ولا يهمك بعد ذلك لحم هذه الذبيحة ، فيهمك أن يعلموا أن الذبح لهم ، أما لو ذبحت لهم في مكان آخر كالمسلخ مثلاً ثم أتيت باللحم لأكله من باب الضيافة فهذا جائز في الأصل ، وقد يكون محرماً إذا كان فيه إسراف ، وقد يكون مستحباً إذا كان من باب إكرام الضيف لورود أحاديث تحث على ذلك كقوله عليه الصلاة والسلام : **"ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه "** (متفق عليه)

ومن الشرك الأكبر الذبح مع ذكر غير اسم الله على الذبيحة مثل قوله : (باسم الشعب أو باسم المليك أو باسم الأمة أو باسم المسيح) أو يذكر اسم الله ويذكر معه غيره وهذا شرك أكبر .

لا يوجد هناك شرك أصغر في الذبح لأنها عبادة ومن صرف عبادة لغير الله فهو شرك أكبر . أما الشرك الأصغر فهو ما كان دون صرف العبادة .

أما الصور التالية من الذبح فتعتبر جائزة لأنه ذبح لله وقصد معاني شرعية جائزة :

1- الذبح للضيوف من باب الكرامة والضيافة . 2- الذبح للأهل من باب النفقة عليهم . 3- الذبح للوالدين والأقارب من باب إهداء الأجر والثواب إليهم. 4- ذبح الأضاحي والعقيقة ونحوه . 5- ذبح الهدي وهو واجب على المتمتع والقارن . 6- ذبح الفداء على مرتكب المحظورات .

17 ــ النذر : النذر لغة : أن توجب على نفسك ما ليس بواجب .
اصطلاحاً : إلزام المكلف نفسه شيئاً ليس بواجب تعظيماً للمنذور له وتقرباً .

قال تعالى : ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً** ﴾ (الإنسان :7)

ولقد اختلف في حكم التقرب إلى الله بالنذر : فبعض العلماء كرهه وبعضهم قالوا أن ابتداء النذر حرام لكن إذا فعله الإنسان وجب الوفاء به هذا إذا كان النذر ليس معصية . والدليل على تحريم ابتداء النذر قوله ﷺ :﴿ **لا يأتي بخير إنما يستخرج به من مال البخيل** ﴾ متفق عليه .

ويكون النذر شركاً إذا ألزم العبد نفسه شيئاً لغير الله تعظيماً . أي أدى ما في قلبه من إجلال واحترام لغير الله إلى أن ينذر له ، أو نذر لغير الله تقرباً وهو التماس الخير منه بهذا النذر . وله صور .

– كأن يقول إن شفى الله مريضي فلقبر الولي الفلاني كذا من الغنم أو المال.

– أن يقول : للقبر الفلاني كذا من المال أو للشيخ الفلاني إن نجحت العملية أو سلمت من المرض .

– إذا ضاع له شيء فيقدم طيباً أو ذهباً لقبر الولي حتى يجده .

وكل هذه الصور شرك أكبر . ومناطه القول أو الفعل وليس الاعتقاد .

معرفة دين الإسلام بالأدلة

ودين الإسلام : هو **الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .**

والاستسلام لله بالتوحيد : يكون بإفراده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات . يعني : أن تذل وتخضع لله بما يستحق من الأسماء والصفات ومن الربوبية والعبادة .

والانقياد لله بالطاعة : عمل ما فرضه ورضيه ويحبه الله .

والبراءة من الشرك وأهله : هو البغض والعداوة والابتعاد عن الشرك والمشركين اعتقاداً وعملاً .

وتقسم البراءة من الشرك وأهله إلى قسمين :

1- البراءة من العمل وهو البراءة من الشرك والكفر وهذا فرض لازم . كالبراءة من الديمقراطية ومن البرلمانات ومن العلمانية ... الخ .

2- البراءة من العامل وهو البراءة من المشركين والكفار ، مثل أن تكره وتبغض وتعاد وتكفر العلمانيين والقوميين وتبرأ من أعمالهم وتبغضهم وتعاديهم وتخرجهم من الملة .

أما كيف البراءة من هذين القسمين فكالتالي :

1- **البراءة القلبية** وهي أن تبغض المشركين والشرك بقلبك وتكرههم وتتمنى زوالهم كبغض النصارى واليهود والهندوس والشيوعيين والعلمانيين والبرلمانيين . وحكم هذا القسم فرض لازم ولا يمكن أن يسقط عن المسلم لأنه متعلق بالقلب ، قال رسول الله ﷺ **[من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله تعالى]** رواه مسلم وكذلك الآيات التي عن إبراهيم في البراءة من قومه .

2- **براءة اللسان** من الجنس للشرك وأهله بأن تتبرأ من الكفار ودينهم وتبين أنه باطل وأنهم كفار . والدليل قوله تعالى : **﴿ قُلْ يا أَيُّها الكافِرون لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدون ﴾** . **﴿ قُلْ ﴾** : أي بلسانك .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ .وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ الزخرف :26-28

﴿ **وَإِذْ قَالَ** ﴾ وهذا باللسان أنه براء من دينهم . لكن أقل الفرض اللازم ما تعلق بالجنس والنوع بأن يذكر من الألفاظ ما يدل أنه لا يريدهم ولا يرتاح لهم ونحو ذلك وأنهم على مخالفة أو ضلال ... الخ .

3- **براءة الجوارح** وذلك بالابتعاد وبمجاهدتهم بالجوارح وتكسير معبوداتهم .

والدليل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .** ﴾ التوبة :73

وقوله ﷺ : [**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ..**] رواه مسلم . وهذا القسم يجب مع القدرة ويسقط مع العجز .

أما حكم مساكنة المشركين فهو أقسام :

1- مساكنتهم محبة لهم ولدينهم فهذا كفر وهو مخالف ومناقض للبراءة من المشركين لما جاء في الحديث عن جرير بن عبد الله قال ﷺ : " **أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين** . قالوا يا رسول الله لِمَ ؟ قال : **لا تراءى ناراهما** " (رواه أبو داود)

2- مساكنة نصرة ومظاهرة ومساكنة متابعة وموافقة وكل هذه الخمس مخرجة من الدين لأنها تولي فحكمها حكمه .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ المائدة :51

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ** ﴾ الممتحنة: 13

أما لو ساكن المشركين لحاجة وهو يبغضهم ويبغض دينهم ولا يتولاهم ويصرح بالتبرؤ منهم ويستطيع أن يجهر بدينه فهذا جائز .

أما إن ساكنهم من باب القهر والضرورة لأنه مجبر كما لو كان هذا بلده وهو بلد كفر لكن أسلم ، ومع ذلك لا يستطيع التصريح بالبراءة منهم ومن دينهم فهذا يحرم عليه مساكنتهم ويجب عليه الهجرة مع الاستطاعة وإذا لم يستطع فعليه أن يبتعد ويقلل من مخالطتهم ويصبر حتى يأتي فرج الله .

مراتب دين الإسلام

مراتب دين الإسلام هي : **الإسلام ، والإيمان ، والإحسان** .

وكل مرتبة لها أركان .

المرتبة الأولى : الإسلام .

الإسلام لغة : مشتق من التسليم يقال استسلم فلان إذا انقاد وخضع ، ومشتق من المهادنة يقال تسالم بني فلان أي تهادنوا .

اصطلاحاً : له معنيان ، المعنى الخاص والمعنى العام .

فإن ذكر الإيمان مع الإسلام فهنا يُعَرَّف الإسلام بالتعريف الخاص وهو : **الانقياد والخضوع لله بالأعمال الظاهرة كالتوحيد والصلاة و .. الخ** . وإذا لم يذكر الإيمان مع الإسلام فإن تعريف الإسلام يكون واسعاً ويكون : **مطلق الانقياد لشرع الله عملاً واعتقاداً** .

أما أركان [1]الإسلام فهي :

1- شهادة أن لا إلَه إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله .

2- وإقام الصلاة .

---

[1]الركن لغة : هو جانب الشيء الأقوى . اصطلاحاً : ما كان داخلاً في الشيء وما تتوقف عليه صحته ، بمعنى أن الإسلام متوقف على هذه الأركان.

3- وإيتاء الزكاة .

4- وصوم رمضان .

5- وحج بيت الله الحرام ، من استطاع إليه سبيلاً .

الركن الأول : شهادة أن لا إلَه إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله .

والدليل قوله تعالى :﴿ **شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[آل عمران 18]

شهادة الله سبحانه في هذه الآية الكريمة لنفسه بالوحدانية ، والقيام بالقسط تضمنت علمه سبحانه بذلك ، وتكلمه به ، وإعلامه ، وإخباره لخلقه به ، وأمر هم وإلزامهم به . فالله سبحانه إذا شهد أنه لا إله إلا هو ، فقد أخبر وبين وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله ، وأن إلهيَّة ما سواه باطلة ، فلا يستحق العبادة سواه ، كما لا تصلح الإلهيَّة لغيره ، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهاً ، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً.فهذه الآية تلزم العباد بأداء ما يستحقه الرب عليهم من عبادته وحده لا
شريك له وترك عبادة ما سواه مهما كان . وتبين أن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم وأنه هو خالص التوحيد .

معنى شهادة لا إله إلا الله

كلمة لا إله إلا الله : تعني :-

1- البراءة من كل المعبودين سوى الله تبارك وتعالى وهذا معـــنى (**لا إله**) أي أنه لا يستحق العبادة إله من الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى ، وكذلك البراءة من كل الكفار الذين يعبدون هذه المعبودات الباطلة .

2- الموالاة والعبودية لله وحده لا شريك له ، وكذلك موالاة رســـول الله ﷺ والمؤمنين وحبهم ومناصرتهم والانتماء إلى جماعتهم .

3- عبادة الله بما أمر على لسان رسوله محمد صلى عليه وسلم .

فلِلا إله إلا الله ركنان :

أ- **نفي** .وهو " **لا إله** " أي نافياً جميع ما يعبد من دون الله .

ب- **إثبات** ." **إلا الله** " مثبتاً العبادة لله .

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ (الزخرف :26-28)

فقوله تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ** ﴾ وهذا موضع النفي . وهو " **لا إله** "

وقوله : ﴿ **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي** ﴾ وهذا موضع الإثبات .وهو " **إلا الله** "

وقال تعالى : ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ (الممتحنة :4)

قوله تعالى : ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ الأسوة المذكورة هنا هي أسوة الفرض لا أسوة الفضل .

قوله : ﴿ **إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ** ﴾فإذا أمرهم الله تعالى أن يقولوا هذا لقومهم وفيهم الأب والأخ والابن والعشيرة ممن تربوا في وسطهم ، وتربطهم صلات الدم ووشائج الرحم ، فقولها للكافر الأبعد أوجب وأولى.

قوله:﴿ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ قدّم الله سبحانه الأمر بـــالبراءة من المشركين العابدين على البراءة من الطواغيت المعبودين فقال:﴿ مِـــنكُمْ ﴾ أنتم أيها المشركون أولاً ، فالمرء قد يتبرأ من الطاغوت ولا يتبرأ مـــن أتباعه وأنصاره فلا يكون ءاتياً بالواجب عليه حتى يتبرأ منهم جميعاً ، بـــل يتبرأ من الأعوان والأنصار قبل البراءة من الطاغوت ذاته كما نصت عليـــه الآية .

قوله: ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ ، قوله ﴿بَـــدَا﴾ أي ظهر وبان ، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء لأن الأولى أهـــم مـــن الثانية فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فـــلا يكـــون ءاتيـــا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ، ولا بد أيضـــاً مـــن أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بيّنتين ، واعلم أنـــه وإن كانـــت البغضاء متعلقة بالقلب فإنه لا تنفعه حتى تظهر آثارها وتتبين علاماهما ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعـــة فحينئـــذ تكـــون العـــداوة والبغضاء ظاهرتين .

ويظهر أن السياق يقتضي تقديم البغضاء على العداوة لأنها سابقة لهـــا من حيث الوجود ، فالعداوة وهي فعل الجوارح لا تنشـــأ إلا أن يســـبقها بغضاء وهي فعل القلب ، وأفعال الجوارح مترتبة على عمل القلب ، إلا أن الله تعالى ولحكمة بالغة قدّم العداوة على البغضاء .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ ﴾. هو معنى ﴿ لا إله ﴾

أي : نعلن البراءة من المشركين والمرتدين وطواغيتهم ونعلن الكفر بهم وبطواغيتهم ومناهجهم وهيئاهم وقوانينهم ودساتيرهم . ونظهر العداوة والبغضاء لهم ولأحوالهم ولأوضاعهم الكفرية ، وسنعمل على جهادهم باليد واللسان ما أمكن .

قوله : ﴿ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ هو معنى : ﴿ إلا الله ﴾

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : 64)

قوله :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم .

قوله : ﴿ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا، ثم وصفها بقوله:﴿ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي عدل ونَصَف نستوي نحن وأنتم فيها، وهذه الكلمة هي "لا إله إلا الله "

ثم فسرها بقوله : ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ﴾ لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة للّه وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل .

قوله : ﴿ وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ أي لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى . لأننا إذا اتبعناه في تحليل ما حرمه الله أو تحريم ما أحله الله فقد اتخذناه رباً من دون الله .

قوله : ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي فإن أعرضوا عن التوحيد ورفضوا قبول تلك الدعوة العادلة فقولوا أنتم : اشهدوا يا معشر أهل الكتاب بأننا موحّدون مسلمون، مقرّون لله بالوحدانية مخلصون له العبادة . منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام ، غير متخذين أحداً ربا لا عيسى ولا عزيزاً ولا الملائكة ولا أي يشر ؛ لأنهم بشر مثلنا محدث كحدوثنا ، ولا نقبل من الرهبان شيئاً بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا، فنكون قد اتخذناهم أربابا .

فقوله : ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ ﴾ معنى ﴿ لا إله ﴾ وقوله : ﴿ إِلاَّ اللّهَ ﴾ فموضع الإثبات وهو " **إلا الله** "

وقال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة :256)

قوله : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**﴾ معنى ﴿ **لا إله** ﴾

وقوله : ﴿ **وَيُؤْمِن بِاللّهِ** ﴾ معنى ﴿ **إلا الله** ﴾

و ﴿**الْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ** ﴾ هي : **الإسلام** ، **التوحيد** .

فهذه الآية تبين أن الله جل جلاله قد افترض على جميع العباد الكفر بالطاغوت حتى يحققوا التوحيد ويعتبرون من المسلمين .

الطاغوت : ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

ومن هذا التعريف يتبين أن الطواغيت ثلاثة أنواع :

1- طواغيت العبادة : وهو يشمل كل من عبد من دون الله وهو راض ويشمل من دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ويشمل الشيطان أيضاً ، ويشمل الأصنام.

2- طواغيت الأتباع : ويشمل العلماء والعباد ، علماء السوء والعباد المنحرفين .

3- طواغيت الطاعة : ويشمل الأمراء ورؤساء العشائر الذين يحللون ويحرمون من دون الله ، ويشمل الكهان والسحرة والحكام الذين يحكمون بغير شرع الله والمشرعين .

أما كيفية الكفر بالطاغوت فتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ الكفر بجنس الطاغوت بالقلب وهو أن تبغضه بقلبك وتتمنى زواله وتعاديه وتنفر منه ، هذا بالقلب . وحكم هذا القسم فرض لازم لا يسقط بحال من الأحوال ، حتى مع الإكراه .

ب ـــ الكفر بجنس الطاغوت باللسان وذلك بالتصريح أن الطاغوت كافر وأنه باطل وأن عابديه كفَّار وهذا واجب مع الاستطاعة.قال تعالى : ﴿ **قُلْ يا أيُّها الكافِرون . لا أعْبُدُ ما تَعْبُدون** ﴾ ﴿ **قُلْ** ﴾ : أي بلسانك .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ** ﴾ (الزخرف :26-28) قوله : ﴿ **وَإِذْ قَالَ** ﴾ وهذا باللسان .

والدليل على أن الكفر بجنس الطاغوت باللسان يسقط مع العجز بشرط أن يكون عجزاً حقيقياً وملجئاً . عموم قوله الله تعالى :

﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم** ﴾ (التغابن: 16)

ج- الكفر بالطاغوت باليد . وهو تحطيمه وإزالته وهذا واجب مع الاستطاعة والدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم حطم الأصنام وأزالها في فتح مكة وأرسل من يزيلها .

رؤوس الطواغيت :

الطواغيت كثيرون باعتبار العدد لكن رؤوسهم وقادهم خمسة- عُرف ذلك بالاستقراء –

1 ـــ إبليس : ووجه كون إبليس والشيطان طاغوتاً لأنه تجاوز الكفر الذي وقع فيه إلى تزيين الكفر والدعوة إليه والأمر به ، وهذا النوع ، إبليس

والشيطان أكبر الطواغيت وأعظمها والسبب أنه جمع معاني كثيرة من معاني الطاغوت ، فهو يدعو لعبادة نفسه ، ويدعو لعبادة غيره ويدعو إلى تغيير أحكام الله ، ويعين من يدعى علم الغيب .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾ (يس :60-61)

2- الحاكم الجائر المغير لأحكام الله .وهو من يُشَرِّع ، وهذا القسم كافر بإطلاق ، وليس فيه تفصيل ، ولو شَرَّع حكماً واحداً يضاد به حكم الله حتى ولو كان يعتقد في قرارة نفسه أن ما شرَّعَه لا يجوز أن يحكم به أو أن حكم الله أفضل فلا عبرة باعتقاده ، فالكفر مناط بفعله وهو التشريع بغض النظر عن ما في قلبه ، ويدل عليه قوله تعالى :﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ** ﴾ الشورى :21

وقوله تعالى : ﴿ **فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة :22

وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا** ﴾ النساء :60

3- من حكم بغير ما أنزل الله .[1]

---

[1] **أنظر إلى " تفسير الداعية " أو كتابنا " الكفر بالطاغوت ركن التوحيد " أو كتابنا " الحكم لله " ستجد شرحاً وافياً حول هذا الموضوع .**

قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

(المائدة :44)

4 ــ من دعا الناس إلى عبادة نفسه أو أجبرهم على التحاكم إلى قوانينه الوضعية .

ومن رؤوس الطواغيت من دعا الناس إلى عبادة نفسه بالمعنى العام للعبادة . وكذلك من أجبر الناس إلى التحاكم إلى قوانينه الوضعية الغير معتمدة على شرع الله .كما يفعله حكام اليوم .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ** ﴾ (الأنبياء : 29)

5 ــ من ادعى شيئاً من علم الغيب .

قال تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ الجن :26-27

وقال تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ الأنعام :59

" **الغيب** " مصدر غاب يغيب وهو كل ما خفي عنك ويطلق على ما لا يقع تحت الحس ، وهو ينقسم إلى قسمين :

أ- ما يسمى الغيب المطلق ويسمى أيضاً غيب المستقبل . وهو ما لا يعلمه إلا الله . كعلم الساعة ، ومتى موت الإنسان ، وهي الخمس المجموعة في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾

(سورة لقمان :34)

ب- يسمى الغيب النسبي ويسمى بغيب الماضي والحاضر وهو ما خفي عليك وعلمه غيرك فما يدور خلف هذا الجدار هو بالنسبة لنا غيب وأما بالنسبة لمن حضره يعتبر شهادة .

وأصناف مدعى الغيب : المنجم والكاهن والعراف والساحر والرمال والعائف وغيره ممن يدعى علم الغيب بأي وسيلة ، والفرق بين هؤلاء أنهم كلهم يدعون علم الغيب ولكن تختلف الوسيلة التي يخبرون بها عن الغيب . فمن أخبر عن طريق النجوم فهو منجم ، ومن أخبر عن طريق الخطوط في الأرض فهو الرَّمَّال وصاحب الطَرْق . وإن أخبر عن الغيب عن طريق الطير فيسمى العَيّاف أو العائف ، وإن أخبر عن الغيب عن طريق الجن وما ينقلون

إليه من الأخبار فيسمى الكاهن والعرَّاف أيضاً إلا أن العَرَّاف يخبر عن السرقات ومكان الضالة بعد ما تخبره الشياطين وأما الكاهن فإنه يخبر عما في الضمير ، وكذلك الساحر يخبر عن الغيب عن طريق الجن .

بعض الأمور التي تعتبر من ادعاء علم الغيب :

1 - ما يسمى بقراءة الكف وتعتمد على تفسير الخطوط التي في كفك وتعرجاتها ثم يخبرك بعد الإطلاع على ذلك أنك سعيد أو شقي وهذا من ادعاء علم الغيب .

2 - ما يسمى بقراءة الفنجان ، وهو أن يجعلك تشرب في فنجاناً وبعد فراغك من شربه يديره عدة مرات ثم ينظر ما علق بجدران الفنجان من خطوط من بقايا القهوة فإن تشكل فيها ما يشبه الحية تشاءم ؛ وإن ظهر ما يشبه الوردة تفاءل ، فحثك على السفر أو الزواج حسب السؤال.

3- ما يسمى بقراءة النار وهي الإخبار عن الغيب عن طريق صور لهيب النار ، فإن تشكل ما يشبه الفأس أو المطرقة قال لك سيصيبك كارثة ، أو منعك من السفر ، وإن تشكل ما يشبه الشجرة حثك على الزواج أو نحو ذلك .

4 – ما يسمى فتح الكتاب : فلو أن إنساناً يريد أن يتزوج مثلاً فيأخذ كتاباً أو قرآناً ثم يفتحه بطريقة عشوائية وينظر إلى أول كلمة فإن كانت آية رحمة أو كلمة جميلة تزوج وإلا تشاءم وتركه ؛ وهذا كله من الكهانة وهي من إدعاء علم الغيب وهي كفر .

5– ومنه ما يسمى بتحضير الأرواح وهو عبارة عن استحضار جني يدعى بأدعية وتعاويذ وشركيات فيتقمص شخصية شخص أو صوته ويأتي بالأخبار الماضية أو المستقبلية ويدعي هذا الجني أنه روح فلان وهذا من ادعاء علم الغيب .

6– ما يسمى بحساب الجُمَل . وهي من ادعاء علم الغيب وهي أن تحسب حروف اسمك واسم أبيك واسم أمك ثم تقسم المجموع على شهور السنة والناتج هو خبر المستقبل ويكون مصحوباً بجدول فإن كان ناتج القسمة عشرة مثلاً قال لك : ارجع إلى الجدول وانظر إلى الرقم عشرة .

7 – ما يسمى في المجلات والجرائد بركن (أنت وحظك) وهو من التنجيم وادعاء علم الغيب فيقول من ولد في برج كذا فهو في هذا الأسبوع (شقي) مثلاً أو نحو ذلك .

بعض الأمور التي لا تعتبر من ادعاء علم الغيب :

1- الإخبار عن الكسوف والخسوف لا يعتبر من ادعاء علم الغيب إن أخبر به عن طريق الحساب واستخدام بعض الآلات الحديثة . إلا أنه لا ينبغي الجزم بأن الكسوف أو الخسوف سوف يحدث .

2- إخباريات الأرصاد الجوية عن هبوب الريح أو توقع المطر أو تغيرات الجو ؛ هذه لا تعتبر من إدعاء علم الغيب ، لأن هذه أمور تعرف بالحساب وتعرف بالآلات الحديثة إلا أنه لا يجوز الجزم بذلك ، بل يربط ذلك بمشيئة الله .

3- الإخبار عن المياه الجوفية في باطن الأرض والمعادن هذا إذا كانت بوسائل حسية حديثة فليست من ادعاء علم الغيب .

4 - إخبار ما يسمى بالقافي ويطلق عليه (المري) وهو الذي يخبر عن السرقة والضالة عن طريق تتبع الآثار أو البصمات وهذا لا يعتبر من ادعاء علم الغيب لأنه أخبر عن ذلك بطرق حسية معقولة .

حكم مدعي الغيب ومن ذهب إليه :

حكم مدعي الغيب ذاته كافر كفراً أكبر .

أما حكم من ذهب إليهم ففيه تفصيل :

أ – فإن ذهب إليهم وهو مصدق لهم أنهم يعلمون الغيب سواء الغيب المطلق أو الغيب النسبي فهذا كافر كفراً أكبر لأنه اعتقد أن هناك من يعلم الغيب غير الله . قال تعالى : ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ (النمل :65)

ب – وإن ذهب إليهم وهو يكره فعلهم ويعلم أنهم لا يعلمون الغيب . لكن ذهب يسألهم حاجة دنيوية أو يسألهم علاجاً شعبياً ، فهذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، ولا تقبل له صلاة أربعين يوماً .

قال رسول الله ﷺ :" **من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً** " (مسلم)

أي لا يؤجر على صلاة أربعين يوماً فيصلى بدون أجر وليس معنى ذلك أن يترك الصلاة بل يجب عليه أن يصلي لكن لا يؤجر لأن هذه السيئة ذهبت بأجر أربعين يوماً .

ج– أن يكره فعلهم ويعتقد أنهم لا يعلمون الغيب ولكن ذهب للفرجة والنزهة من باب الاستطلاع فهذا من كبائر الذنوب ولا تقبل له صلاة أربعين يوماً ، ومثله مشاهدته بالتلفزيون فكله لا يجوز .

معنى شهادة أن محمداً رسول الله :

أما معنى شهادة أن محمداً رسول الله : فهو طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع . وهذا هو توحيد الإتباع فلا يعبد الله إلا بما جاء عن رسوله ﷺ .

ودليل شهادة : أن محمداً رسول الله :

قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ التوبة: 128

وأما دليل معناها : فقوله تعالى :﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ آل عمران :31-32

قال أبن كثير في تفسير هذه الآيات : " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة اللّه، وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : " **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** " .....

ثم قال تعالى آمراً لكل أحد من خاص وعام : ﴿ **قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ** ﴾ أي تخالفوا عن أمره ، ﴿**فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر ، واللّه لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب للّه ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي

الأمي خاتم الرسل ، ورسول اللّه إلى جميع الثقلين الجن والإنس ، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه،والدخول في طاعته واتباع شريعته." (تفسير ابن كثير)

والدليل أيضاً على معناها قوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ الحشر :7

شروط لا إله إلا الله

وحتى تنفع لا إله إلا الله صاحبها يجب عليه أن يحقق شروطها ، فمن دون ذلك لا تنفعه ولو تلفظ بها في اليوم ألف مرة ، وكذلك ينبغي أن نعلم أنه ليس المراد من هذه الشروط عد ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له أعددها لم يحسن ذلك ، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم ، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها ، فالمقصود من هذه الشروط هو الالتزام بها وعدم فعل ما ينقضها .

وقد قال وهب بن منبه [1] لمن سأله : أليس (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة ؟ قال: بلى . ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتـــح لك ." [2]

وأسنان هذا المفتاح هي شروط (لا إله إلا الله) الآتية :-

1 - العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً، المنافي للجهل بذلك .

قال تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴾ [سورة محمد:19].

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[سورة الزخرف:86].

﴿**شَهِدَ بِالْحَقِّ** ﴾ أي: بـــ "لا إله إلا الله "

﴿ **وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم .

---

[1] وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وابن عمر وغيرهم .قال العجلي : تابعي ثقة وكان على قضاء صنعاء ووثقه أيضاً : أبو زرعة والنسائي وابن حبان .كان مولده سنة 34 هـــ ووفاته سنة 110 هـــ . انظر تهذيب التهذيب (167/11)

[2] رواه البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز (ج109/3) .

وقال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [سورة آل عمران:18].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

" **من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة** " مسلم

2- اليقين المنافي للشك .

معنى ذلك : أن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة، يقيناً جازماً، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن .

قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾

(الحجرات:15)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة** " وفي رواية " **لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة .** " رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً من حديث طويل قال رسول الله ﷺ :

" **من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة** " رواه مسلم

3- القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه .

وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلَها، وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى :

﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ . فانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [الزخرف:23-25].

وقال تعالى : ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة يونس :103].

ويقول تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** ﴾ الصافات:35- 36

4- الانقياد لما دلت عليه ، المنافي لترك ذلك .

قال تعالى : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾ [سورة الزمر:54].

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ [النساء : 125].

وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ [سورة لقمان :22].

﴿ **بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ أي بلا إله إلا الله .

وقال رسول الله ﷺ : " **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** "[1] وهذا هو تمام الانقياد وغايته .

وقال تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾

(النساء: 65)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها : " يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ، ولهذا قال: ﴿ **ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة، ولا منازعة، كما ورد في الحديث (**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**) "[2]

5- الصدق المنافي للكذب ، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه ، ويواطئ قلبه لسانه .

---

[1](رياض الصالحين ، وصححه النووي وقال ابن حجر: ورجاله ثقات)

[2] تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير

قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ .فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [سورة البقرة:8 -10].

وقال تعالى : ﴿ **الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [سورة العنكبوت:1 – 3].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار " متفق عليه

وقال ﷺ : **"شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه "** (أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي)

والتصديق بلا إله إلا الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة، والتصديق بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

6- الإخلاص ، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك .

قال تعالى : ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾[سورة الزمر : 3]

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [سورة البينة: 5].

وقال رسول الله ﷺ " **أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه** " (**أو نفسه**) رواه البخاري

وقال رسول الله ﷺ : " **إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل** " رواه مسلم

وقال رسول الله ﷺ : " **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها قلبه ، يصدق بها لسانه ، إلا فتق الله لها السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله** " رواه النسائي

وقال الفضيل بن عياض رحمة الله : " إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة "

إن الإسلام لابد فيه من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة (لا إله إلا الله) فمن أسلم لله ولغير الله فهو مشرك ، والله لا يغفر

أن يشرك به، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ (سورة غافر: 60)

7- المحبة لهذه الكلمة ، ولما اقتضته ودلت عليه ، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها ، وبغض ما ناقض ذلك .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ** ﴾ [سورة البقرة:165].

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [سورة المائدة: 54].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** " متفق عليه

وعلامة حب العبد ربه : هي تقديم ما يحبه الله على كل شيء وإن خالف هواه ، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه ، وموالاة من والى الله ورسوله. ومعاداة من عاداه ، واتباع رسوله، واقتفاء أثره وقبول هداه .

وأما دليل **الصلاة** ، **والزكاة** ، **وتفسير التوحيد**، فقوله تعالى :

﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [سورة البينة: 5].

إن الله سبحانه في هذه الآية الكريمة يبين أنه قد أمر جميع العباد بما فيهم اليهود والنصارى أن يعبدوه وحده ويخلصون له الدين والطاعة فلا يطيعون غير شرعة ولا يحكمون ويتحاكمون إلا إلى شرعة ولا يخلطون طاعتهم ربهم بأي شرك ، وأمرهم كذلك بأن يؤدوا الصلاة على الوجه الأكمل، في أوقاها بشروطها وخشوعها وآداها ، ويعطوا الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس .

قوله : ﴿**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ أي وذلك المذكور من العبادة والإخلاص ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، هو دين الملة المستقيمة الذي لا يقبل الله غيره .

أما دليل **الصيام** فقوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ البقرة :183

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾ ناداهم بلفظ الإيمان ليحرك فيهم مشاعر الطاعة ويُذْكي فيهم جَذْوة الإيمان .

﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ أي فرض عليكم صيام شهر رمضان .

﴿**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ أي كما فرض على الأمم قبلكم ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ أي لتكونوا من المتقين لله المجتنبين لمحارمه .

فرض صوم رمضان في السنة الثانية للهجرة .

وأما دليل **الحج** فقوله تعالى : ﴿ **وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ (آل عمران :97)

المرتبة الثانية لدين الإسلام :وهي الإيمان .

المرتبة الثانية لدين الإسلام هي : **الإيمان** . وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلَه إلاّ الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان .

والإيمان : لغة :التصديق :﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** ﴾ [1]

اصطلاحاً : الإيمان له معنيان : معنى عام وخاص ، فإذا تفرد عن الإسلام فيفسر بالمعنى العام ويكون الإيمان قول باللسان وعمل (سواءً بالجوارح أو القلب) واعتقاد بالجنان . أي هو الخضوع والإتيان بالدين كله عملاً واعتقاداً . والسلف يفسرون الإيمان بكلمات أقلها اثنتان ــ قول وفعل ــ وأكثرها ست كلمات ــ قول وعمل واعتقاد ونية ومتابعة وإخلاص .

وأما إن اجتمع مع الإسلام فيفسر بالتفسير الخاص : وهو التصديق والاعتقاد بما جاء من شرع الله . وعلى ذلك فالإيمان يطلق على العمل الباطن والإسلام على الأعمال الظاهرة .

وأركان الإيمان ستة :

1- الإيمان بالله .

2- الإيمان بالملائكة .

3- الإيمان بالكتب السماوية .

4- الإيمان بالرسل .

5- الإيمان باليوم الأخر .

6- الإيمان بالقدر خيره وشره كله من الله .

---

[1] سورة يوسف :17

والدليل قوله تعالى : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّين** ﴾

(البقرة : 177)

ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ (القمر :49)

1- **الإيمان بالله عز وجل** :- معناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه كما خلق الخلق لوحده فهو الوحيد صاحب الحق لوضع قانون ينظم حياتهم ، وأنه وحده المستحق أن يفرد بالعبادة من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع وتحاكم ، فلله تعالى الأمر والنهي والحكم والقضاء وهو الذي يستحق العبادة وحده وأنه المتصف بصفات الكمال كلها المنزه عن كل نقص من صفات المخلوقين ليس كمثله شيء وهو السميع العليم .

فالمؤمن بالله تعالى : هو المقر بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده خالق الخَلق ، ومالكهم ، ومحييهم ومميتهم ، ونافعهم ، وضارهم ، ومجيب دعائهم عند الاضطرار ، والقادر عليهم ، ومعطيهم ، ومانعهم ، ورازقهم ، وأنه كما له الخلق كله له الأمر كله في الدنيا والآخرة ، لا حاكم ولا

مُشَرِّع غيره ولا يتحاكم إلا لشرعه .فمن أركان الإيمان أن نحكم شريعة الله وحدها في كل أعمالنا الفردية والجماعية ، لأن الله سبحانه له الخلق ، ومن له الخلق فله الأمر. وكل حكم على خلاف حكم الله يمثل استنكافاً عن طاعته في ذلك الحكم ، فإذا كان ذلك طاعة لغير الله تعالى فهو شرك بالله فيما هو من خصائص ألوهيته ، وهو يمثل نقضاً لتوحيد الألوهية وإذا كان ذلك اتباعاً لهوى النفس فهو لون في ألوان عبادة الهوى.

وأما الذين يُقِرون بأن الله رب كل شيء ، وخالق كل شيء ، ولا يوحدونه في ألوهيته فيشركون معه غيره في عبادته فيحكمون بغير شرعه ويتحاكمون إلى غير شرعه ، ولا يُوحدونه في أسمائه وصفاته ، فيعطلونها أو يُشبهونها بصفات المخلوق ، أو يُؤولونها تأويلات فاسدة لا وجه لها ، فإن هذا التوحيد لا ينفعهم ولا يخرجهم من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان

2- **الإيمان بالملائكة** :- هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور ، وأنهم كما وصفهم الله : عباد مكرمون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها ، وأنهم مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية ، لهم قدرة على التمثل بأمثال الأشياء بإذن الله تعالى ، وأنهم ليسوا كالبشر فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون ، وأنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثا .

فما ورد تعيين اسمه في القرآن الكريم والسنة الصحيحة [كجبريل وميكال وإسرافيل ورضوان ومالك] ، وما ورد تعيين نوعه المخصوص كحملة العرش والحفظة والكتبة فيجب الإيمان بهم على التفصيل ، وأما البقية فيجب الإيمان بهم إجمالاً والله أعلم بعددهم لا يحصي عددهم إلا هو.

فمن أنكر وجود الملائكة ، كان إنكاره كفراً وضلالاً لأنه أنكر ما هو ثابت ثبوتاً صريحاً في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

3- **الإيمان بكتب الله** :- هو أن نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله ، ومن هذه الكتب ما سماه الله لنا في القرآن الكريم ومنها ما لم يسم ، والذي أخبرنا الله به عز وجل منها (التوراة والإنجيل والزبور والصحف التي أنزلها على إبراهيم وموسى) ، وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه ، كما يجب أن نؤمن أن جميع الكتب التي أنزلها الله نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنيعهم ، ونؤمن أن جميع الكتب ما عدا القرآن قد حرفت، أما القرآن الكريم فقد حفظه الله تعالى من التبديل والتحريف والتغيير ، وأن القرآن الكريم هو آخر كتاب نزل من عند الله وأن حكمه

باق إلى يوم القيامة دون تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، وأنه قد أنزل لجميع الإنس والجن ، وأنه يجب اتباع أمره واجتناب نهيه وتصديق خبره وتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة .

فالإيمان بالكتب التي نزلت قبل القرآن وطرأ عليها التحريف هو التصديق أنها من عند الله في أساسها وليس في وضعها الحالي بعد التحريف ، فوضعها الحالي لا نؤمن بشيء من محتوياته أنه من عند الله إلا بما ذكره القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ (النساء : 136)

4- **الإيمان برسل الله** :- هو التصديق الجازم بأن لله تعالى رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم ، فيجب علينا الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه وسنة رسوله ﷺ على التفصيل ، والإيمان جملة بأن لله رسلاً وأنبياء غيرهم لا يحصي عددهم إلا الله ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا .

فالمؤمنون يعتقدون إيماناً راسخاً ثابتاً لا يتزعزع بالرسل والأنبياء عليهم السلام .

فالمؤمن يعلن دائماً أنه لا يفرق بين أحدٍ من رسل الله في ذات الرسالة أو بين أحد من أنبيائه في ذات النبوة ، فهو يؤمن بهم جميعاً دون تفريق ويعظمهم جميعاً لأنهم هم المصطفون الأخيار .

إن الله سبحانه فضلَّ بعض الرسل علـــى بعـــض ،وخـــصَّ بعضـــهم بخصائص لم توجد في غيرهم ورفع رتبة بعضهم فوق رتبة الآخـــرين مـــن الرسل .

هذا والمؤمن يجب أن يعتقد أن النبوة فضل واختيار إلهي ، وهي هبة ربانية يهبها لمن يشاء من عباده ويخص بها من يشاء من خلقه ، وهي لا تنال بالجهد والتعب والرياضة ، ولا تدرك بكثرة المجاهدة والطاعات والعبادات وإنما هي بمحض الفضل الإلهي .وهي اصطفاء واختيار من الله تبارك وتعالى لأفضل خلقه وصفوة عباده، فيختارهم الله لحمل الرسالة ويصطفيهم من بين سائر البشر .

قال تعالى : **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}** [البقرة: 285].

وقال تعالى : **﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾** [البقرة: 253].

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: 75].

الفرق بين النبي والرسول :

الرسول .. لغة : المرسل أي المبعوث .

اصطلاحاً : من بعثه الله إلى قوم كفار وجاءهم بشرع جديد ، ولا يلزم من كونه رسولاً أن ينزل عليه كتاب بل قد يكون على كتاب من قبله فإسماعيل رسول وهو على شريعة أبيه إبراهيم .

قولنا : أتى بشرع جديد : أي جديد على الكفار وإن كان موجوداً عند آخرين .

والنبي .. لغة : مأخوذ من النبأ ومأخوذ من الارتفاع .

الفرق المشهور بين النبي والرسول : هو أن النبي من بعث بشرع و لم يؤمر بإبلاغه ، والرسول من أوحي إليه شرع وأمر بإبلاغه ، ولكن هذا الفرق فيه نظر من عدة وجوه :

أحدها : قال تعالى :﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...** ﴾ (الحج :52) ، فأثبت هنا أن النبي داخل ضمن من أرسل ومن لوازم ذلك أن يرسل إلى قوم ويبلغهم ما أرسل به ، فكيف يقال :و لم يؤمر بإبلاغه ؟

الثاني :ثبت أن النبي ﷺ قال : " **عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد** "(مسلم) وهذا دليل على أهم مبعوثون للبلاغ وأن من أطاعهم وصدقهم فهو معهم ومن عصاهم وكذبهم فقد خاب وخسر فكيف يقال : ولم يؤمر بإبلاغه ؟

الثالث : أن المقصود الأعظم من الوحي هداية الناس وإرشادهم ودلالتهم إلى الصراط المستقيم ، وما الفائدة من وحي لم يؤمر بإبلاغه من أوحي إليه ، مع أن الناس في زمنه محتاجون لما معه أشد من حاجتهم للطعام والشراب ، فيكف لا يلزم بإبلاغه مع شدة الحاجة وكثرة المخالفة .

الرابع : أن الواجب على أهل العلم إبلاغ الشريعة وتعليم الجاهل وإرشاد الضال وإفتاء السائل ، وقد توعدوا بالوعيد العظيم على كتم شيء من ذلك ، فإذا كان هذا هو الواجب في حق أهل العلم فكيف لا يكون واجباً في حق الأنبياء وهم أفضل وأكمل من أهل العلم ، بل هم سادات أهل العلم ، وأهل العلم إنما يصدرون عن قولهم ويبلغون شريعتهم،وهذا من باب الاستدلال بقياس الأولى وهو حجة بالاتفاق،قال تعالى :﴿**وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ (آل عمران :187)

فأنت ترى أن هذا القول ترد عليه هذه الواردات التي هي في ذاتها صحيحة ، ومجرد شهرته ليست بدليل على صحته .بل الصحيح أن النبي

أوحي إليه وأمر بالتبليغ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾(البقرة :213) فهذه الآية تبين أن النبي يبعث ويأمر بالتبليغ. وقال رسول الله ﷺ : " **أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي** ثم قال : **وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة** . " (متفق عليه)

أما الفرق بين الرسول والنبي فالفرق من وجهين :

1- من جهة المرسل إليهم . فالرسول مرسل إلى الكفار ، والنبي إلى المؤمنين .

2- من جهة الشرع . فالرسول أتى بشرع جديد والنبي على شريعة من قبله.

5- الإيمان باليوم الأخر :- الإيمان باليوم الآخر من أسس الإيمان. يجب التصديق به ، ويدخل في ذلك : الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها وبالموت وما بعدهُ من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور ، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع ، والحشر والنشر ووضع الموازين وبالصراط ، والحوض ، والشفاعة لمن أذن الله له وبالجنة ونعيمها وبالنار وعذابها وغير ذلك من الأمور التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو في الصحيح من السنة النبوية المطهرة .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: 7].

6- الإيمان بالقدر خيره وشره كله من الله :- هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون وبما سيكون من أعمال المخلوقات كلها، وصدور جميعها عن تقدير منه وخلقٍ لها خيرها وشرها . فقد شاء الله أن يخلق الخلائق ، وقضى أن تكون بأقدار وأوصاف محددة ، وهو العالم بما كان ويكون وما سيكون ، وكل ما في الوجود من حركات وسكنات إنما هو كائن بمشيئة الله سبحانه وتعالى ، ولا يحدث شيء ، إلا بقدرة الله ومشيئته ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

ولا يقبل الله من العبد إيمانه بالقضاء والقدر إلا إذا آمن بهذه الأشياء الأربعة :-

1- الإيمان بعلم الله القديم الأزلي وأنه عَلِمَ بأعمال العباد قبل أن يعملوها وكتبه في اللوح المحفوظ .

2- الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى .

3- الإيمان بأن الله تعالى أوجد جميع الخلق ، وأنه خالق كل شيء بما في ذلك أفعال العباد . وأن كل ما سواه مخلوق ، وأن ما في الكون بتقدير الله وإيجاده .

4- الإيمان بأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه،وما أخطأه لم يكن ليصيبه
.

إن كل شيء بقضاء الله وقدره . إن الله يخلق أفعال العباد كلها ولكن لأن الإنسان هو الذي يفعل وبمحض اختياره وإرادته ، فإنه يحاسب على فعله فإن كان خيراً فخير وإن كان شر فشر .

إن الله ﷻ خلق في الإنسان قابلية معرفة الخير من الشر ، والحق من الباطل وأعطاه حرية الاختيار .

فقال عز وجل :- ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾

(الإنسان :

3)

إن كل شيء يحصل في ملك الله بمشيئة الله وإرادته ، ولكن الله لا يرضى لعباده الكفر و لم يأمر به وإنما نهى عنه وأمر بالإيمان ورضي عنه .

إن الله ﷻ علم كل ما حصل وسيحصل في الأرض ، فعلمه لا يتغير ولا يتبدل ، فهو عالم بكل شيء ، عالم به متى يكون وكيف يكون قبل أن يكون . فليس في علم الله ماض ولا حاضر ولا مستقبل كل شيء علمه عنده ، فهو يعلم بالإنسان قبل أن يخلقه كيف يكون بعد أن يخلقه ، هل يؤمن أو يكفر وهل يموت على الإيمان أو الكفر . فإذا كتب الله علمه هذا في كتابه المحفوظ فإن كتابته هذه لا تتغير وسوف تتحقق كما كتبت ،

ولكن كتابة الله في اللوح المحفوظ لا تعني أنه قد أجبر العبد على الإيمان أو الكفر ، فإن الله ﷻ أعطى للعبد حرية اختيار الإيمان أو الكفر ، ولهذا يحاسبه على اختياره ، فيجازيه أو يكافئه ، فالعبد يختار الإيمان أو الكفر بمحض إرادته التي أعطاها الله له . أما كتابة الله ﷻ أفعال العباد منذ خلقهم إلى مماتهم قبل خلقهم وقبل فعلهم فهذا لا يعني إجبارهم على هذه الأفعال ، وإنما لأن الله يعلم كل شيء وليس في علمه جديد ، فليس في علم الله ماض ولا حاضر ولا مستقبل ، فعلم الله علم انكشاف ليس علم إجبار، وكتابته في اللوح المحفوظ كتابة علم لا كتابة إجبار.

قال تعالى : ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ [الفرقان : 2].

وقال تعالى : {**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (الحديد: 22-23)

وقال رسول الله ﷺ : "**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك** ". متفق عليه

المرتبة الثالثة لدين الإسلام هو : الإحسان .

الإحسان : تعريفه لغة : مشتق من الحسن ويطلق على الإتقان والإجادة . واصطلاحاً : فهو إتقان الظاهر والباطن أي إتقان الإسلام والإيمان . وهو أعلى المراتب فإذا أتقن الإنسان وأحسن في إسلامه وأتقن كذلك إيمانه فإنه يكون من المحسنين.

وللإحسان ركن واحد وهو " **أن تعبد الله كأنك تراه** " تعبد الله عبادة متقنة مجردة . ومعنى أن تعبد الله أي تذل وتخضع لله في أعمالك الظاهرة واعتقاداتك الباطنة.

وهذا الركن له مرتبتان :

أ – مرتبة الاستحضار : وتعريفها أن تعبد الله كأنك تراه [1] فتستحضر في عبادتك أنك بين يدي الله .

ب – مرتبة الإطلاع وهي : " **فإن لم تكن تراه فإنه يراك** " أي أن تعبد الله وتشعر أنه مطلع عليك ويراقبك وهذا يورث أن تحسن العبادة .والدليل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾(النحل :128)

﴿ **مُّحْسِنُونَ** ﴾ : أي متقنون الأعمال والاعتقادات .

---

[1]– **وهي مرتبة المحبة والتطلع والشوق وهي أكمل .**

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ (سورة لقمان :22)

وقوله تعالى : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ .الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** ﴾ (الشعراء : 217-219)

﴿ **الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ** ﴾ أي يطلع عليك ويراقبك وهذا يورث الإحسان في الإسلام والإيمان .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾

قوله :﴿ **وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** ﴾أي تشعر أن الله يشاهدك وهذا يورث الإحسان في الأعمال والاعتقادات.

وعن عمر رضي الله عنه قال : " بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ إذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثّياب شَدِيدُ سَوَادِ الشّعْرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أثَرُ السّفَرِ وَلاَ نَعْرِفُهُ حَتّى جَلَسَ إلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ فقَالَ يَا مُحمّدُ أخبِرْني عنِ الإسْلاَمُ ؟ قالَ رَسُولُ الله ﷺ : **الإسْلاَمُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لاَ إلَهَ إلاّ الله وأنّ مُحمّداً رَسُولُ الله وَتُقِيمَ الصّلاَةَ**

وَتُؤْتِي الزّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجّ الْبَيْتَ إنْ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلاً . قالَ صَدَقْتَ. قالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدّقُهُ. قالَ فَأَخْبِرْني عنِ الإيْمَانِ ؟ قالَ : **أنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَومِ الآخر وَتُؤْمِنَ بالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ.** قالَ صَدَقْتَ. قالَ فأَخْبِرْني عنِ الإحْسَانِ ؟ **قالَ أنْ تَعْبُدَ الله كَأَنّكَ تَرَاهُ ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنّهُ يَرَاكَ.** قَالَ فَأَخْبِرْني عنِ السّاعَةِ ؟ قالَ : **مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ.** قالَ فَأَخْبِرْني عنْ أمَارَاتِها ؟ **قالَ أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبّتَهَا، وَأنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشّاءِ يَتطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.** قالَ ثُمّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ ثَلاَثاً ثُمّ قالَ : **يَا عُمَرُ هَلْ تُدْرِي مَنِ السّائِلُ؟** قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ . **قالَ فإنّهُ جِبْرِيلُ أتَاكُمْ يُعَلّمُكُمْ دِينَكُم** " مسلم

معرفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً ، نبئ بإقرأ وأرسل بالمدثر ، وبلده مكة وهاجر إلى المدينة .

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ، ويدعو إلى التوحيد ، والدليل قوله تعالى :

﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ .وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ .** ﴾ (المدثر :1-7)

ومعنى : ﴿ **قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾ ينذر عن الشرك ، ويدعو إلى التوحيد . ﴿ **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** ﴾ أي : عظمه بالتوحيد . ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك ﴿ **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ **الرُّجْزَ** : الأصنام ، وهجرها تركها ، والبراءة منها وأهلها .

أخذ الرسول ﷺ على هذا عشر سنين ، يدعو إلى التوحيد ، وبعد العشر عرج به إلى السماء ، وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين ، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة .

الهجرة : لغة : الترك . اصطلاحاً : فهي ترك ما نهى الله عنه إلى ما أمر الله به ، وهذه الهجرة بالمعنى العام ، وأما تعريف الهجرة بالمعنى الخاصة : فهي : " الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، ومن بلد البدعة إلى بلد السنة ومن بلد الظلم إلى بلد العدل .

وبلد الشرك أو بلد الكفر هي الديار التي يكون فيها الغلبة والقوة للكفار أو المشركين وهي التي تجري فيها أحكام الكفر أو الشرك ولو كان فيها مسلمون . ولو ظهر فيها بعض خصال الإسلام إذا كان هذا الظهور بالخصال الإسلامية بسبب إذن الكفار لا بقوة المسلمين ،وأما ديار الإسلام فهي ما كان الغلبة والقوة للمسلمين وهي التي تجري فيها أحكام الإسلام .

والهجرة باقية وهي فرض على المسلمين إلى يوم القيامة .

والدليل قوله تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا .إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً . فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ (النساء : 97-99)

نزلت الآية الأولى في جماعة من أهل مكة كانوا قد أسلموا وأظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم الإيمان به، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا ، فلما كان أمر بدر خرج منهم قوم مع الكفار ؛ فنزلت الآية.

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ . (رواه البخاري)

وعن ابن عباس قال : " كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، قال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ الآية، قال: فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم ." (أخرجه ابن أبي حاتم)

فهذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ أي بتركهم الهجرة ﴿ **قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ** ﴾ أي لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة ؟ ﴿ **قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ** ﴾ أي لا نقدر على الخروج من البلد ، ولا الذهاب في الأرض ﴿ **قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً** ﴾ الآية

أما معنى الآية الثانية هو أن الذين لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال : ﴿ **لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً** ﴾ فهؤلاء يتجاوز اللّه عنهم بترك الهجرة .

وقال تعالى : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون** ﴾ (العنكبوت : 56)

ففي هذه الآية يأمر اللّه تعالى عباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين ، إلى أرض اللّه الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدوا اللّه ويعبدوه كما أمرهم .

والدليل من السنة على أن الهجرة باقية إلى يوم القيامة قوله صلى الله عليه وسلم " **لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها** " (رواه مسلم)

أنواع الهجرة :

1– الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام . وأما حكمها فواجبة على القادر إن كان قادراً على الهجرة ولا يستطيع إظهار دينه في بلد الشرك فيجب عليه الهجرة ،ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ ﴿**ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ بترك الهجرة مع القدرة عليها . أما إن كان في بلاد الشرك قادراً على إظهار دينه ويأمن على نفسه فالجمهور على أنه يستحب له الهجرة .

2- الهجرة من بلد البدعة التي تجري عليه فيها البدعة إلى بلد السنة. وهذه أيضاً واجبة .

ويدل على الوجوب قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (الأنعام :68) حكم الهجرة هنا للذي لا يستطيع إظهار السنة في هذا البلد ولا يأمن على نفسه بل تجري

عليه البدعة فيجب أن يهاجر ، وإن استطاع أن يظهر السنة فيستحب أن يهاجر إلا إن كان في البقاء مصلحة للمسلمين فله أن يبقى .

3 ــ الهجرة من بلد الخوف والظلم ، إذا كان في بلد مضطهد لقيامه بالدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فله أن يهاجر لبلد آخر يستطيع أن يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر .

واستدل على ذلك بفرار إبراهيم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ (الصافات :99)

وفعل نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى : ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ القصص :21

ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم " **خير مال المسلم غنم يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن** " (رواه البخاري)

4- بلد المعاصي التي غلب عليها الكسب الحرام ، فهذه من البلاد التي يهاجر منها .

هذا وكلما وجدت أسباب كل نوع وجبت الهجرة . فإذا وجد اضطهاد للمسلمين وليس هناك بلد إسلامي يهاجرون إليه هاجروا إلى أي بلد آمن حتى ولو كان كافراً كما حصل للصحابة عندما هاجروا من مكة إلى الحبشة . أما إذا وجد بلد إسلامي وحيد وهذا البلد قريب النشأة فيجب الهجرة إليه ليصبح المسلمون قوة واحدة كما فرض الهجرة إلى المدينة وكانت قريبة النشأة

، وهذه الهجرة حكمها حكم الجهاد ، فإذا قوي المسلمون وانتشرت البلاد الإسلامية فتجب الهجرة على العاجز إلى أي بلد إسلامي .

هذه التي مضت هي أنواع الهجرة باعتبار البلاد ، وإذا قلنا الهجرة واجبة فهي في حق غير القادر على إظهار جميع دينه ، وأما القادر فلا تجب عليه مادام أنه مظهر الإسلام والسنة لا تجري عليه أحكام الكفر أو البدعة أو المعصية ، ولكن يستحب الهجرة على قول الجمهور إلا إن كان فيه مصلحة للإسلام ظاهرة وأمن على نفسه فيبقى .

ويجب أن لا ننسى أن الهجرة في هذه الآونة قد تكون صعبة بسبب مسائل الحدود والإقامة والقوانين الوضعية .

فلما استقر الرسول ﷺ بالمدينة : أمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل الزكاة ، والصوم ، والحج ، والأذان ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام ؛ وأخذ على هذا عشر سنين ؛ وتوفي صلى الله عليه وسلم ودينه باق ، وهذا دينه ، لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه ، والخير الذي دل عليه : التوحيد ، وجميع ما يحبه الله ويرضاه ؛ والشر الذي حذر عنه : الشرك بالله ، وجميع ما يكرهه الله ويأباه .

وبعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين ، الجن والإنس ، والدليل قوله تعالى :

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** ﴾ (الأعراف :158)

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾ (الأحقاف :29)

وأكمل الله به الدين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ (المائدة : 3)

إن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يعلن كمال العقيدة وكمال الشريعة معاً . فهذا هو الدين . لهذا فلم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين نقصاً يستدعي الإكمال ، ولا قصوراً يستدعي الإضافة ، لا محلية أو زمانية ، تستدعي التطور أو التحوير وإلا فما هو بمؤمن ، وما هو بمقر بصدق الله ، وما هو بمرتض ما ارتضاه الله للمؤمنين .

إن شريعة ذلك الزمان الذي نزل فيه القرآن ، هي شريعة كل زمان ومكان ، فالله هو الذي خلق الإنسان ويعلم من خلق ، وهو الذي رضي له هذا الدين ، المحتوي على هذه الشريعة . فمن ترك شريعة الله وقوانينه وطبق شريعة البشر على الناس في الدماء والفروج والأموال،فإنه مهما ادعى عكس ذلك، فهو لم يرض بشريعة الله ودينه الذي ارتضاه الله للمؤمنين .

جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال:" يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال: وأي آية؟ قال قوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ**

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ..﴾ ، فقال عمر : واللّه إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول اللّه ﷺ ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ ، في يوم الجمعة ويوم عرفة ، وكلاهما بحمد الله لنا عيد ." (رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي)

ويجب على كل مسلم أن يؤمن أن الرسول صلى الله عليه وسلم مات يقيناً كموت بقية الناس .

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾ (الزمر :30-31)

ومعنى الموت : مفارقة الروح الجسد أي خروجها في هذه الحياة الدنيا ، وليس معنى الموت هو فناء الروح فإن الروح لا تفنى ، وإنما تنتقل إلى الملأ الأعلى إن كان مؤمناً أو إلى ما شاء الله من العذاب إن كان غير ذلك .

وهل مفارقة الروح للبدن بالموت مفارقة لا لقاء بعدها ؟

الجواب : لا .. بل تلتقي الروح بعد الموت بالبدن . لذلك لو مات الميت وانتقلت روحه فإذا وضع في القبر عادت الروح إذا جاء منكر ونكير للسؤال . ثم بعد ذلك تنتقل الروح إما إلى نعيم أو عذاب أو ما شاء الله .

والناس إذا ماتوا يبعثون ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾ (طه :55)

وقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا** ﴾ (نوح :17-18)

والناس بعد البعث محاسبون ، ومجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ﴾ (النجم :31)

ومن كذب بالبعث كفر ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ (التغابن : 7)

والبعث : لغة : الإرسال . وشرعاً : هو عودة الأرواح إلى الأجساد بعد النفخة الأخيرة .

وأول من يبعث من الناس الرسول صلى الله عليه وسلم . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر** " (رواه أحمد بسند حسن)

والناس يبعثون من قبورهم ، وهذا بالنسبة للمقبورين وإلاّ من حيث كانوا يبعثون .

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين .

" **مبشرين** " أي يخبرون الناس عن الثواب لمن وحد الله وأطاعه .

" **منذرين** " أي يخوفون من أشرك وعبد غير الله وعصاه بالنار والجزاء .

والدليل قوله تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء : 165)

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : 25)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت ﴾ (النحل : 36)

وأول الرسل إلى الأرض الذين بعثهم الله إلى قوم كفَّار يدعوهم إلى شرع جديد نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، والدليل قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب :40)

والدليل : على أن أولهم نوح عليه السلام ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ (النساء : 163)

نوح عليه السلام ليس هو أول نبي على الأرض , وإنما هو أول رسول أرسله الله في قوم كفَّار يدعوهم إلى شرع جديد ، فقبله آدم وهو نبي ثم بعد آدم عليه السلام النبي شيث ، وهو من أبناء آدم ثم إدريس عليه السلام وهو من أبناء شيث وكلهم قبل نوح ، ذكرهم ابن كثير في البداية والنهاية. قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾مريم:56

ثم بعد عشر قرون من آدم عليه السلام كانت على التوحيد عم الشرك فأرسل الله عز وجل نوحاً عليه السلام لقوم مشركين يدعوهم إلى شرع

جديد . فآدم عليه السلام نبي وليس رسولاً ، ويدل على ذلك ما رواه الطبراني والحاكم بسند صحيح أن الرسول ﷺ سئل أكان آدم نبياً ؟ قال : " **نعم ومكلماً** " . وحديث الشفاعة : قال رسول الله ﷺ "... **فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، أما ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟** .. " (متفق عليه) هذا المنطوق والمفهوم أنه ليس قبله رسول .

ووقع إشكال بين أهل العلم هل إدريس هو إلياس أم بينهما فرق ؟ والصحيح أن بينهما فرق . ذكر ابن جرير في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية فجعلا إدريس قبل نوح وإلياس من أولاد هارون مبعوث لبني إسرائيل .

وأما ما ذكره البخاري في صحيحه معلقاً عن ابن مسعود وابن عباس أن إدريس هو إلياس فقد ذكره البخاري بصيغة التمريض فقال : " وذكر عن ابن مسعود وعن ابن عباس أن إدريس إلياس " مما يشعر بضعف ما نقل عنهما .

أما أفضل الأنبياء فهم الرسل وأفضل الرسل الخمسة أولوا العزم وهم محمد ﷺ وإبراهيم وموسى ونوح وعيسى عليهم الصلاة والسلام وأفضل الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم بالإجماع ثم إبراهيم ، ثم وقع الخلاف في الثلاثة

الباقين ، فقال الحافظ بن حجر أفضلهم بعد إبراهيم موسى ثم عيسى ثم نوح ، نقل ذلك عنه السفاريني في السفارينية .

أما عدد الأنبياء فقد ورد أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ، والرسل ثلاثمائة وبضعة عشر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله كم عدة الأنبياء؟ قال : " **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً** ." (رواه أحمد وابن مردويه وابن أبي حاتم)

ولأن هذا الحديث غير متفق على صحته ،فالأحوط أن يؤمن المسلم بشكل عام بجميع الرسل والأنبياء والكتب التي أنزلها الله والتي لم تذكر في القرآن والسنة الصحيحة .والله أعلم بعدد الأنبياء والرسل وعدد الكتب السماوية.

قال تعالى : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾ (النساء : 164)

وكل أمة بعث الله فيها رسولاً ، وهؤلاء الرسل يدعون إلى إفراد الله بالعبادة والكفر بالطاغوت .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت** ﴾ (النحل : 36)

ورسولنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء لا نبي بعده وشريعته خاتمة الشرائع قد نسخت جميع الشرائع السابقة فلا يقبل الله من أحد ديناً إلا دين الإسلام

وشريعته . قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران :85)

فهذه الآية الكريمة تبين أن من آمن أو رضي أو طبق غير شريعة وقوانين الإسلام في كل مجالات الحياة فهو غير مسلم ومن الخاسرين في الآخرة .

قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّه** ﴾ (يوسف : 76)

﴿ **دِينِ الْمَلِكِ** ﴾ أي قانونه .

المسائل التي يجب على كل مسلم ومسلمة معرفتها

يجب على كل مسلم ومسلمة معرفة المسائل الأربعة التالية :

الأولى : العلم ؛ وهو : **معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .**

الثانية : العمل به . أي من الواجب بعد العلم العمل به .

الثالثة : الدعوة إليه . الدعوة إلى العمل بما علم .أي نشر العلم الذي تعلمه .

الرابعة : الصبر على الأذى فيه . أي يصبر على ما يواجهه في طلب العلم وما يصيبه من أذى في نشر العلم والعمل به . والدليل قوله تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر :1-3)

أقسم الله عز وجل في هذه الصورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر ، على أن الإنسان كل الإنسان في خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من أتصف بهذه الصفات الأربع : **الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر** . فسورة العصر تدل على الواجبات الأربع . قال البخاري رحمه الله تعالى : باب :

العلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ (سورة محمد:19) فبدأ في هذه الآية بالعلم ، قبل القول والعمل .

وهناك تلازم بين العلم والعمل ، فلا عمل بدون علم ولا علم بدون عمل ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ **غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم** ﴾ علموا و لم يعملوا وهم اليهود ﴿ **الضَّالين** ﴾ عملوا بدون علم وهم النصارى .

وليس هناك تلازم بين العمل والدعوة . بمعنى إنه لا يدعو إلّا بما عمل به ، أو لا يتعلم إلّا ما يدعو إليه بل لا يلزم ذلك . بل الإنسان يدعو بالذي عمل به والذي لم يعمل به ، فلو كان يعلم أن هذا حرام فيجب عليه أن يدعو إلى تركه وإن كان يعمله . والسبب لأن الذي دعا بما لم يعمل به وقع في خطيئة واحدة وهي عدم العمل بما دعا به . وأما إذا لم يدع وقع في خطيئتين عدم العمل وعدم الدعوة إليه . والعلم ينقسم إلى :

1- العلم الواجب :كعلم التوحيد والعقائد ومعرفة الشروط والأركان والواجبات والعبادات الواجبة والمعاملات الواجبة ومعرفة المحرمات ... الخ

2- العلم المستحب :كتعلم المستحبات وهذه باعتبار الأفراد أما باعتبار الأمة فلا بد على الكفاية من معرفة المستحبات في الجملة ولأنه من باب حفظ الدين .

3- ما هو فرض كفاية : كتعلم الطب والصناعات وهذا فرض كفاية ومثله علم اللغات ... الخ من العلوم المباحة والنافعة للمسلمين .

4- العلم المحرم : كتعلم السحر وعلم الموسيقى وعلم الربا ... الخ

وفرض على كل واحد معرفة التوحيد وأركان الإسلام بالدليل ، ولا يجوز التقليد في ذلك ، لكن العامي الذي لا يعرف الأدلة إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه ورسالة محمد ﷺ ويؤمن بالبعث بعد الموت وبالجنة والنار وأن الأمور الشركية التي تفعل في زمانه باطلة وضلال فإذا كان يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً لا شك فيه وابتعد عن الشرك فهو مسلم ، وإن لم يترجم بالدليل ، لأن عامة المسلمين ولو لقنوا الدليل فإنهم لا يفهمون المعنى غالباً .

ما يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمه

واعلم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة ، تعلم المسائل التالية والعمل بهن :

الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا ، ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولاً ، فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار .

والدليل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا .فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا** ﴾ (المزمل :15-16)

الثانية : أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما . والدليل قوله تعالى :

﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ (الجن :18)

﴿**الْمَسَاجِدَ** ﴾ : جمع مسجد ويقصد به السجود أي السجود يكون لله تعالى ، أو أعضاء السجود . ﴿ **لِلَّهِ** ﴾ : اللام للاستحقاق ومعنى الله هنا المعبود الخالق . ولا ناهية ، والنهي يقتضي التحريم وهو موضع الشاهد .

﴿ **تَدْعُوا** ﴾ : تدعو أعم من قولنا تعبد ، فمنع الدعاء ، لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين : 1- دعاء عبادة . 2- دعاء مسألة .

1- دعاء العبادة : أن تصلى وتصوم .. الخ . لو سألت لماذا تصلى لقلت لكي يغفر الله لي .. إذاً الصلاة هي دعاء الله المغفرة ، كأنك قلت اللهم اغفر لي فهي دعاء عملي .

2- دعاء المسألة : مثل يا الله وفقني .

وكلاهما محرم صرفه لغير الله وهو شرك أكبر وصاحبه مرتد .

الثالثة : أن من وحّد الله وأطاع الرسول ، لا تجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ، ولو كان أقرب قريب .

والدليل قوله تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (المجادلة :22)

وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ .** ﴾ (التوبة : 24)

الشرك وأنواعه

أنواع الشرك هي :

1– الشرك الأكبر . 2– الشرك الأصغر . 3– الشرك الخفي[1] .

1– الشرك الأكبر :–هو عدم إفراد الله جل جلاله بالنسك أو الشعائر التعبدية وكذلك عدم إفراده بالحكم والتشريع وكذلك عدم إفراده بالولاية والحب.

قال تعالى :﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَـــاي وَمَمَـــاتِي لِلَّـــهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْـــلِمِينَ** ﴾ (الأنعـــام :162-163)

---

[1] **وبعض أهل العلم ألحق الشرك الخفي بالشرك الأصغر .**

وقال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (التوبة : 31)

وقال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف : 40)

أنواع الشرك الأكبر :

النوع الأول : شرك الدعوة ، وهو شرك الدعاء .

والدليل قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ (العنكبوت : 65)

﴿ **إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ لأنهم إذا ركبوا في الفلك وجاءته مصيبة أخلصوا لله وإذا كانوا في البر كانوا في حال أمن فأشركوا .

النوع الثاني : شرك الإرادة . وهى النية والقصد .

وشرك الإرادة : هو إرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا .

قال تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ هود : 15-16

فقوله ﴿ يُرِيدُ ﴾ أي يريد بعمله الصالح ، وكونه صالحاً هذا قيد مهم خرج منه لو أراد بعمله الدنيوي الدنيا مثل إنسان عمل بيتاً فأتقنه يريد بذلك الدنيا فلا مانع لأن هذا ليس من العمل الصالح ، والعمل الصالح كالصلاة والجهاد والحج .

النوع الثالث : شرك الطاعة .

والدليل قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة :31

﴿ أَحْبَارَهُمْ ﴾ : علماؤهم ، ﴿ رُهْبَانَهُمْ ﴾ : عبَّادهم .

﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ أي : أطاعوهم في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله . وبذلك اتخذوهم أرباباً ، مع أنهم لا يعتقدون ربوبيتهم ، بل يقولون : ربنا وربهم الله . فمن أطاع إنساناً عالماً ، أو عابداً ، أو غيره، في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم الله ، فقد اتخذه رباً ، كالذين: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله 0

عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي " **يا ابن حاتم الق هذا الوثن من عنقك** " فألقيته ، ثم افتتح سورة براءة فقرأ حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ** ..﴾ فقلت : يا رسول الله ما كنا نعبدهم ، فقال النبي ﷺ : "**كانوا يحلون لكم الحرام فتستحلونه ويحرمون عليكم الحلال فتحرمونه**" قلت : بلى ، قال : " **فتلك عبادتهم** " (رواه ابن حزم وأحمد والترمذي)

قال ابن تيمية رحمه الله : " قال أبو البخترى أما أنهم لم يصلوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية ، وقال الربيع بن أنس قلت لأبي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بنى إسرائيل قال كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشيء ، فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم ، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، فقد بيّن النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال لا أنهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله فهذه عبادة للرجال. "

(الفتاوى 7 /67)

النوع الرابع : شرك الحب والموالاة .

من كانت موالاته ومعاداته ، وحبه وكرهه لله تعالى وفي الله ، بحيث يحب ما يحبه الله ، ويكره ما يكرهه الله ، ويوالي من يوالي الله ورسوله ،

ويعادي من يعادي الله ورسوله ، ويرضى ما يُرضي الله ، ويبغض ما يبغض الله تعالى ، فهو حينئذ يكون عبداً لله تعالى وحده ، قد صح إيمانه ، ومن كان مناط حبه وكرهه ، وموالاته ومعاداته غير الله تعالى ، فهو عبد لهذا الغير – مهما اختلفت وتعددت صوره وأشكاله –وداخل في عبادته وتقديسه أقر له بذلك أم لم يقر .

قال رسول الله ﷺ : " **من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان** " (رواه أبو داود وغيره بسند صحيح)

وقال ﷺ : " **أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله عز وجل** " رواه أحمد وغيره بسند صحيح

وكون ذلك أوثق عرى الإيمان ، فهو لتحقق كمال العبودية وأعلى مراتبها ودرجاتها ، وبالتالي فمن أعطى ذلك لغير الله تعالى فقد تحققت عبوديته لهذا الغير بأعلى مراتب العبودية ودرجاتها .

فلا يحب لذاته إلا الله تعالى ، وما سواه يحب له سبحانه وتعالى وليس معه ، وأيما مخلوق –أياً كانت صورته [1] – يُحَب لذاته أو مع الله ، بحيث

---

[1] **سواء كان بشراً أم أمراً مادياً كالتراب والوطن ، أو معنوياً كالمناهج والدساتير والأحزاب في بعض صورها .**

يُعقد عليه الولاء والبراء فيما أصاب وفيما لم يصب ، وفي الحق والباطل ، فقد اتُخذ نداً وعُبد من دون الله .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ (البقرة: 165)

النوع الخامس : شرك الخوف .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلاَ تَخافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران :175)

ويكون الخوف شركاً أكبر إذا خفت من المخلوق مما لا يقدر عليه المخلوق ، مثاله " تخاف من إنسان أو جن أن يقطعوا نسلك " وهذا لا يقدر عليه إلا الله ، " تخاف أن يصيبك بأمراض " " تخاف أن يصيبك بالفقر أو العاهات الخلقية " هذا كله شرك أكبر لأنها أشياء لا يقدر عليها إلا الله .

وكذلك الخوف من الجمادات والأموات مطلقاً أن يصيبوه بمكروه ، حتى ولو كان هذا المكروه يقدر عليه الميت لو كان حياً مثل " أن تخاف أن يضربك " فهذا شرك أكبر لأنك خفت منه ما لا يقدر عليه .

وكذلك أن تخاف من مخلوق فيؤدي خوفك منه إلى أن تعمل له عبادة كأن تذبح له ،كالخوف من شر الجن ، فتذبح لهم إذا سكنت بيتاً خوفاً أن يؤذوك فتذبح لهم حتى لا يؤذوك فهذا شرك أكبر .

النوع السادس : شرك التوكل .

التوكل : لغة : التفويض .

شرعاً : الاعتماد على الله لجلب الخير ودفع الشر .

قال تعالى : ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (**المائدة :23**)

وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُه** ﴾ (**الطلاق :3**)

ويكون التوكل توحيداً إذا اعتمد وفوّض أمره إلى الله وحده .

ويكون التوكل شركاً أكبراً في هذه الحالات :

- إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ،كالذي يعتمد على المخلوق في نزول المطر وحصول الرزق أو النسل أو اعتمد عليه في الشفاء والسلامة من الأمراض . وهذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله وهي شرك أكبر .

- الاعتماد على الأموات والجمادات كأن يثق بأن هذا الميت سوف يعطيه أو يدفع عنه ، وهو شرك أكبر .

النوع السابع : شرك التشريع .

خاصية التشريع من أخص خصائص الإلهية التي تفرد الله سبحانه وتعالى بها. وبالتالي فإن من يدعي من الخلق - وما أكثرهم في زماننا - هذه الخاصية لنفسه ، خاصية التشريع والتحليل والتحريم ، فقد ادعى الإلهية وجعل من نفسه نداً لله تعالى ، ومن أقر له بهذه الخاصية أو تابعه عليها فقد أقر له بالإلهية ورضيها له ، وتأله من دون الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف : 40)

وقال تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾

(الشورى : 21)

وقال تعالى : ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ (يونس : 59)

2- الشرك الأصغر : وهو كيسير الرياء ، والحلف بغير الله ، كما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : " **من حلف بغير الله فقد أشرك** "(رواه الترمذي)

ومن ذلك قول الرجل : ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل : ما شاء الله وشئت، فقال : " **أجعلتني لله نداً ، قل ما شاء الله وحده** " (رواه النسائي وابن ماجة)

وكذلك كل قول أو عمل أو اعتقاد وسيلة إلى الشرك الأكبر ما لم يبلغ الشرك الأكبر فهو شرك أصغر .

قال رسول الله ﷺ :" **إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** " ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللّه ؟ قال : " **الرياء ، يقول اللّه تعالى يوم القيامة إذا جاز الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟** ". (رواه الإمام أحمد)

واستدل على الشرك الأصغر بقوله تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ (الكهف :110)

وهذا الآية ظاهرها أنها في الشرك الأكبر لأن الله تعالى قال ﴿ **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ يعني لا يشرك شرك عبادة ، وشرك العبادة من حيث أصل العبادة لا يمكن أن يكون شركاً أصغر . هذا وإن كانت الآية في الشرك الأكبر لكن السلف يستدلون بالآيات التي نزلت في الأكبر على الأصغر من باب التغليظ ، لا ، أنه أكبر .

3 – الشرك الخفي .

الشرك الخفي : هو الشرك الذي لا يُعلم ، وبعضهم يسمي الشرك الخفي بشرك الشهوة الخفية .

والشهوة : توقان النفس وميل الطباع إلى المشتهي وليست من قبيل الإرادة. وقيل : الشهوة توقان النفس إلى ما يلذ ويسر . وهي أن يميل الإنسان إلى طبع له أو شهوة له ويعملها على قصد الطبع وينسب ذلك أنه

فعلها طاعة لله . والأمر الخفي في ذلك أنه فعلها لتوافقها مع طبعه فقــط ولولا ذلك لما فعلها.

وهناك فرق بين الهوى والشهوة فإن الهوى هو ميل الــنفس كالشــهوة وهذا صحيح وهذا هو القدر الذي يجتمعان فيه لكن الهوى ميل إلى مــا لا ينبغي ولذا قد ينتبه الإنسان له ، أما الشهوة فميل إلى ما ينبغي لكن قصده تحقيق لذّته بإدراكه لها ثم يُلبسه لباس الشرع .

وفى صحيح أبى حاتم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قــال : " **الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل** " فقال أبو بكــر يــا رسول الله كيف ننجوا منه وهو أخفى من دبيب النمــل فقــال : " **ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه وجله قل اللهم إني أعوذ بــك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم** "

الشرك الأكبر يخرج من الملة وأما الشرك الأصغر فلا يخرج من الملــة ولكنه أكبر من الكبائر . ولا يُكَفِّر الشرك أصغره وأكبره إلا التوبة منــه قبل الممات ، والأصغر لا يُكَفِّره في الدار الآخرة إلا كثرة الحسنات فــإن الأصغر لا يحبط إلا العمل الذي وقع فيه خاصة .

الكفر وأنواعه

ينقسم الكفر إلى :

1- الكفر الأكبر : هو جحد توحيد الله وتكذيب رسوله إما عناداً أو جهلاً أو تقليداً . وهو مخرج من الملة .

2- **الكفر الأصغر** : وهو من الكبائر غير مخرج من الملة .

أنواع الكفر الأكبر هي :

1- كفر الجهل :

والجهل بالحق نوعان :

أ- الجهل البسيط : وهو عدم السماع بالأمر ابتداء ، مثل حال بعض أهل الفترات ومن لم تبلغهم الدعوة .

يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (البقرة : 6)

فهذه الآية الكريمة تبين أن هناك أقواماً أثبت الله لهم الكفر قبل الرسالة وإقامة الحجة عليهم ، فمنهم من يؤمن بعد إقامة الحجة عليه ، ومنهم من يستمر على كفره .

ب - الجهل المركب : وهو اعتقاد الأمر على غير ما هو عليه. مثل حال كثير من النصارى الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ثم ضلوا من بعده وفسدت عقائدهم وتصوراتهم ، ومثل من يشبههم من المنتسبين إلى الإسلام من عبدة الطاغوت وعبدة النجوم ، وأصحاب نظريات وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، وعباد الأضرحة والأولياء والمشايخ ، ونحوهم من أصحاب العقائد الفاسدة .

2-كفر التكذيب .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىَ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ العنكبوت: 68

والتكذيب نوعان :

أ- التكذيب بالمخبر :- وهو أن يسمع الإنسان خبر الرسول ﷺ وما جاء به عن ربه ، فيكذبه في رسالته ويرد خبره ، كالذين اعتقدوا كـذب الرسل بقلوبهم .

ب- التكذيب بالخبر : وهو أن يكذب الإنسان خبراً معلوماً بالضرورة من دين الإسلام . فلا يحكم بإيمان إنسان لا يقر بفرضية الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصيام ، وان أظهر الإقرار بالشهادتين . أو لا يعترف بحرمة الزنا أو القتل أو الخمر أو السرقة أو الربا أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها الله ورسوله ﷺ وعلمت من الدين بالضرورة.

والمقصود من المعلوم من الدين بالضرورة : هو علم العامة. أي العلم الذي يعلمه كافة المسلمين من غير استثناء ، لا ينفرد به خاصتهم ولا يعذر بالجهل به عامتهم .

3-كفر الإعراض : وهو أن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ، ولا يواليه ولا يعاديه ، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة .

كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ :" والله لا أقول لك كلمة ، إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك ، وان كنت كاذباً ، فأنت أحقر من أن أكلمك ." (مدارج السالكين ج1 ص 338)

وقال تعالى :- ﴿ مَا خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاّ بِـالْحَقّ وَأَجَلٍ مّسَمًى وَالّذِينَ كَفَرُواْ عَمّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ (الأحقاف: 3)

4-كفر الشك في الحق :

قال الله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾

(الكهف: 35-38)

5- كفر الجحود والإنكار وكتمان الحق :

وهو أن يعرف الحق بقلبه ويصدقه ، ولكنه يكذبه بلسانه ويظهر عدم تصديقه . وإذا سمي هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح ، إذ هو تكذيب باللسان.

قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل : 14)

وقال تعالى : ﴿ **وَلَمّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدّقٌ لّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمّا جَآءَهُمْ مّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة :89)

وقال تعالى : ﴿ **الّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنّ فَرِيقاً مّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقّ مِن رّبّكَ فَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ (البقرة :146-147)

6- كفر العناد والاستكبار :

وهو أن يعرف الحق بقلبه ويصدقه بقلبه ولسانه ، ولكنه يأبى أن يذعن له ويلتزم به ويستسلم له بقلبه وجوارحه . وهو ككفر إبليس ، فانه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار ، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار .

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (البقرة :34)

ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول ، وأنه جاء بالحق من عند الله ، و لم ينقد له إباء واستكباراً ، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ **فَقَالُوَاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا**

وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُون ﴾[1] . وقول الأمم لرسلهم (**إِنْ أَنتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُنَا**)[2] وقوله (**كَذّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا**)[3] وهو كفر اليهود كما قـــال تعالى:(**فَلَمّا جَآءَهُمْ مّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ**)[4] وقال تعالى(**يَعْرِفُونَـــهُ كَمَـــا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**)[5] وهو كفر أبي طالب أيضاً ، فانه صدقه و لم يشـــك في صدقه ، ولكن أخذته الحمية ، وتعظيم آبائه ، أن يرغب عـــن ملتـــهم ، ويشهد عليهم بالكفر .

ويلاحظ أن هذا النوع الأخير من الكفر والذي يسبقه ، كلاهما سببه هو عدم الخضوع للحق والاستسلام له . ويكون التعبير عن ذلك الـــرفض للحق : إما بادعاء عدم تصديقه ، وهو كفر الجحود ، وإمـــا بـــالإعلان صراحة عن عدم الالتزام به ، وهو كفر الاستكبار .

2- **الكفر الأصغر** : وهو : كفر النعمة ، وهو لا يخرج من الملة .

---

[1] سورة المؤمنون :**47**.

[2] **سورة إبراهيم : 10** .

[3] **سورة الشمس : 11**.

[4] **سورة البقرة : 89** .

[5] **سورة البقرة :146**.

والدليل عليه، قوله تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ** ﴾ (النحل : 112)

النفاق وأنواعه

النفاق نوعان : **1- النفاق الاعتقادي** . **2- النفاق العملي** .

1- النفاق الاعتقادي : وينقسم إلى ستة أقسام هي :

أ- تكذيب الرسول ﷺ .

ب- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

ت- بغض الرسول ﷺ .

ث- بغض ما جاء به الرسول ﷺ .

ج- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ .

ح- الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ .

فهذه الأنواع الستة، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار .

قال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ .** ﴾ (المنافقون :2-3)

2- النفاق العملي : وهو خمسة أنواع هي :

أ- إذا حدث كذب . ب- إذا خاصم فجر . ت- إذا عاهد غدر .

ث- إذا ائتمن خان . ج- إذا وعد أخلف .

قال ﷺ : " **أربع من كن فيه كان منافقاً، أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** " (رواه البخاري)

البدعة وأنواعها

المعنى الشرعي للبدعة هو : إيجاد شيء لا أصل له في الدين .

المعنى اللغوي للبدعة هو : إيجاد شيء له أصل في الدين .

فمن أوجد شيئاً جديداً لا أصل له في الدين سواءً كان هذا الشيء من الاعتقاد أو العمل أو الأمور الظاهرة أو الباطنة ونسبه للإسلام فعمله هذا ضلال والإسلام بريء منه .

قال رسول الله ﷺ : " **كل بدعة ضلالة** " (متفق عليه)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** " (متفق عليه)

نفهم من هذان الحديثان أن كل البدع بالمعنى الشرعي ضلال .

وهناك رواية عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال:

خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر رضي الله عنه : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر : نِعْمَتْ البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون- يعني يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله." (رواه البخاري)

استعمل عمر رضي الله عنه " **البدعة** " على أصلها العام في اللغة فتطلق على كل ما هو محدث بالنسبة إلى أمر آخر ، فإن هذا الاجتماع محدث بعده ﷺ ، وباعتبار الحقيقة فليست ببدعة بالمعنى الشرعي فهي بدعة بالمعنى اللغوي لأن

لها أصل شرعي ، لأنه ﷺ إنما أمرهم بصلاتها في بيوتهم لعلة هي خشية الافتراض ، وقد زالت بوفاته ﷺ.

إذاً فالبدعة الشرعية التي كلها ضلال هي ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه،وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة، فقوله ﷺ " **كل بدعة ضلالة** " من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين . وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية ، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه في التراويح "نعمت البدعة هذه" ومن ذلك أذان الجمعة الأول زاده عثمان رضي الله عنه لحاجة الناس إليه وأقره علي رضي الله عنه واستمر عمل المسلمين عليه. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : "هو بدعة" ولعله أراد ، ما أراد أبوه في التراويح .

أما أنواع البدع بالمعنى الشرعي فهي :

1 – البدعة المكفرة :مثل صرف أحد العبادات (كالدعاء ، والإستغاثة ، والذبح ، والنذر ، والتحاكم ، وغيرها من العبادات) لغير الله تعالى .

2– البدعة المحرمة : كالبناء على القبور ، وتزينها ، وإضاءتها ، والتمسح بها ، وبناء المساجد عليها ، وسؤال الله بحق الميت .

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : " سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول :"... **ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم**

عن ذلك "

(رواه مسلم)

وقال رسول الله ﷺ " **لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** " (متفق عليه)

عن أبي هَيّاجٍ الأَسَدِيّ قال: " **بَعَثَنِي عَلِيّ قالَ لِي: أبَعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ لاَ أدَعَ قَبْراً مُشْرِفاً إلاّ سَوّيْتُهُ وَلاَ تِمْثَالاً إلاّ طَمَسْتُهُ** " (رواه مسلم وأبو داود)

عن جابر رضي الله عنه قال : " « **نَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ تَقْصِيصِ الْقُبُورِ أَوْ يُبْنَى عَلَيْهَا أَوْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ** » (رواه أبو داود والترمذي وأحمد)

3 – البدعة المكروهة كراهة تحريمية : مثل القول في الأذان "**حي على خير العمل** " أو " **أشهد أن علي ولي الله** " وكذلك إحياء ليلة الخامس عشر من شعبان ، وصلاة الألفية التي تقام في ليلة الخامس عشر من شهر شعبان (وهي مائة ركعة يقرأ فيها سورة الإخلاص ألف مرة) ، وصلاة ليلة أول جمعة من شهر رجب والتي تسمى صلاة الرغائب (فالأحاديث الواردة فيها كلها ضعيفة)

قال النووي في شرح مسلم (كتاب الصيام) : " واحتج به العلماء (يقصد حديث كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً) على كراهة هذه الصلاة المبتدعة التي تسمى الرغائب قاتل الله واضعها ومخترعها فإنها بدعة منكرة من

البدع التي هي ضلالة وجهالة وفيها منكرات ظاهرة ، وقد صنف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة في تقبيحها وتضليل مصليها ومبتدعها ودلائل قبحها وبطلانها وتضليل فاعلها أكثر من أن تحصر والله أعلم "

وكذلك ما يسمى بليلة المعراج التي يحتفل بها في ليلة السابع وعشرين من شهر رجب ، فهي أيضاً من البدع ، لأن حادثة الإسراء والمعراج لا تعرف في أي ليلة كانت من شهر رجب ، ولا يوجد دليل واحد صحيح يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم قد احتفلوا بهذه الليلة .

وما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في حادثة الإسراء والمعراج أكثره غير صحيح وابن عباس بريء منه .

4- البدعة المكروهة :مثل إطعام المساكين في كل يوم خميس من أيام رمضام. (إطعام المساكين عمل جيد وفيه ثواب كبير ولكن تحديد يوم معين لفعل ذلك بدعة)

وصلاة السنة بعد الفرض مباشرة من دون ذكر الله والتسبيح بدعة .

البدعة الدنيوية : بني الإسلام على أسس وقواعد ثابتة :

منها : " ما لم يوجد دليل على تحريم أكله وشربه فهو حلال "

ومنها : "كل مفيد مباح وكل ضار حرام ."

ومنها : "الحرام ما حرمه الله ورسوله والحلال ما أحله الله ورسوله "

أما الشيء الذي لا يوجد نص في حرمته أو حله فهو مما عفى الله عنه.

في الأمور الدنيوية لا يوجد بدعة بالمعنى الشرعي ، فهي إما حرام وإما حلال . فمثلاً : لباس الحرير والذهب للرجال حرام وللنساء حلال ، لوجود نص في ذلك. وكذلك حرم الشرع تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء في الملبس ، وكذلك حرم التشبه بالكفار في الملبس والمأكل . فما لا يوجد نص في حرمته من الألبسة فهو حلال .

أما النواحي الزراعية والصناعية وما شابههما فإن وجد فيها بدعة بالمعنى اللغوي فلا يوجد فيها بدعة بالمعنى الشرعي ، فما كان فيه فائدة للمسلمين و لم يأت دليل على حرمته فهو حلال .

نواقض الإسلام

إعلم أن نواقض الإسلام كثيرة ، وقد ذكرها العلماء في أبواب الردة وحكم المرتد وأنا هنا سأذكر أخطرها وأعظمها وأكثرها وقوعاً ، وما اتفق العلماء عليه .

الناقض الأول : الشرك في عبادة الله .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا** ﴾ النساء :116

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ المائدة :72

الشرك أعظم ذنب عُصي به الله تعالى وهو أشد نواقض الإسلام جُرماً . فهو هضم للربوبية ، وتنقص للألوهية ، وهو " تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله ".

الناقض الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط ، يدعوهم ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ، كفر إجماعاً .

وهذا الناقض هو الذي وقع فيه مشركو قريش ، حيث جعلوا مع الله وسائط تقربهم إلى الله زلفى ، مع إيمانهم بربوبية الله.

قال تعالى : ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ (الزمر : 3)

وقال تعالى : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (يونس :18)

وهذا الناقض وقع فيه كثير ممن ينتسب للإسلام في هذا العصر ، جعلوا بينهم وبين الله وسائط ، وهو الشرك الذي وقع فيه كفار قريش ، إلا أن

هؤلاء زعموا تصديقهم واتباعهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم أبعد عن هدي الرسل ، وقد أنكر نبي هذه الأمة هذا الشرك على كفار قريش وبين أنهم يعبدون من دون الله آلهة أخرى لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً وسماهم كفاراً ومشركين .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾ (سبأ :22-23)

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ (الزمر : 38)

وقال تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** ﴾ (مريم :81-82)

فمع إقرارهم بأن الله هو الخالق ، ولا يقدر على الخلق والرزق والإحياء والإماتة إلا الله، ومع هذا لم يصيروا مسلمين موحدين بل كانوا مشركين . وتبع المشركين على هذا كثير ممن يتسمى بالإسلام فعظّموا الأضرحة والمزارات وتقربوا إليها بالذبح والنذر وسألوها قضاء الحوائج ، وجعلوها وسائط من دون الله كما فعل كفار قريش وهو إشراك بالله تعالى .

الناقض الثالث : من لم يُكفِّر المُشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم.

إن الله سبحانه وتعالى بين لنا في القرآن الكريم وبشكل واضح صفات المسلم وصفات الكافر وصفات المشرك فمن حكم عليه الله بالكفر والشرك يجب أن نحكم عليه بالكفر والشرك دون تردد ولا شك ولا توقف ، ومن تردد أو شك أو توقف في الحكم بعد علمه به فقد خالف وأنكر وشك في حكم الله ، لهذا فهو كافر بالله يجب تكفيره وتكفير من لم يكفره .

فمن حكم الله بكفره من أهل الكتاب والمشركين وأهل الإلحاد وأهل الردة وغيرهم يجب القطع بكفرهم وهذا من لوازم التوحيد ، فالتوحيد لا بد فيه من أمرين :

الأول : الكفر بالطاغوت .

الثاني : الإيمان بالله .

وهذا هو معنى كلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**) .

فقولنا (**لا إله**) نفي لأحد يستحق العبادة وكفر بالطاغوت .

وقولنا (**إلا الله**) إيمان بالله واستثناء لعبوديته وحده .

قال تعالى مبيناً هذين الأمرين :

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة :265)

فمن لم يكفر المشركين أو أهل الكتاب أو توقف في كفرهم مع وضوح حالهم فهو كافر بالله وبكتابه وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مُكذّب لعُموم رسالته للناس أجمعين ، مرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام يخرجه من الملة ، فلا بد للمسلم من الجزم واعتقاد كفرهم .

ومن باب أولى كُفر من قال إن أهل الكتاب اليهود والنصارى أصحاب شريعة سماوية مجتهدون فيما هم عليه ، فهم على حق ، فهذا كافر بالله .

ومثله من قال : من أحب أن يتدين باليهودية أو النصرانية أو بالإسلام فهو مُخيّر في ذلك فكلهم على حق ، فهذا كافر بالله .

وهذا الناقض قد عمت به البلوى وطَمّت ، ونادى به كثير ممن طمس الله بصيرته ، فنادوا بِحُرية الأديان ووحدها والتقريب بينها ، وزعموا أن كلها على حق ، وأن لا عداوة مُطلقاً بين أهل الإسلام وغيرهم من الملل الكفرية ، وجعلوا تبيين هذا الناقض للناس وتوضيحه عنصرية وغُلوّاً وتشدداً ، وإحياء للعداوة والبغضاء بين الأمم والشعوب، وبقولهم هذا يُهدم الإسلام ويُثلم ، وهو ردّة وكفر .وهي دعوة مناقضة للتوحيد مباينة لدعوة الرسل ، تنوعت عباراهم في عدم تكفير المشركين وأهل الكتاب أو التشكيك في كفرهم بزعم جمع كلمة الناس ، ونبذ الكراهية من قلوب الشعوب ، وصاحب هذه الدعوى وهذه المزاعم قد جمع مع هذا الناقض المخرج من الملة ، اهام شريعة الله المُنزّهة بإفساد الشعوب وخلق الفتن والكراهية بين الناس التي لا ثمرة لها ،

ومصلحة المسلمين في غير ذلك ، فهذا وإن لم يقل هذا القول بلسان مقاله فإنه يقوله بلسان حاله والله المستعان .

وقال ﷺ : « **مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ , وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ , حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ . وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ عز وجل** » (رواه مسلم)

فلا يُكتفى بعصمة دم المسلم أن يقول : لا إله إلا الله ، بل لا بد أن يضيف إليها الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن لم يكفر بما يُعبد من دون الله ، لم يحرم دمه وماله ، والسيف مسلول عليه ؛ لإضاعته أصلاً من أصول ملة إبراهيم . التي أمرنا باتباعها والسير على منهجها دونَ تمييع لها مسايرة لشهوات أعداء الله .

قال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ (الممتحنة: 4)

هذه هي ملة إبراهيم التي من رغب عنها، فقد سفه نفسه .

وبهذا البيان يتبين لك ما عليه حكام البلاد اليوم التي تنتسب إلى الإسلام ؛ لأنهم والوا أهل الإشراك ، وقربوهم ، وعظموهم ، وجعلوا بينهم علاقات تدل على أنهم إخوان لهم ، إضافة إلى ذلك أنهم عادوا أهل الدين وآذوهم وأودعوهم في السجون ؛ فهل يبقى إسلام بعد هذا ؟! .

فلا بد لكل مسلم يدين دين الإسلام أن يُكَفِّرَ المشركين ، وأن يعاديهم ، وأن يبغضهم ، ويبغض من أحبهم ، أو جادل عنهم .

الناقض الرابع : من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، وكالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه .

يجب أن يعتقد المسلم أن قول النبي وفعله وتقريره وحي من الله تعالى ، فالسنة قسيمة للقرآن بالوحي .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ (النجم : 3-4)

فكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير فالأصل به أنه وحي من ربه بواسطة جبريل ، وإن لم يُسنِده عنه في كل حال .

روى الخطيب في الكفاية عن أحمد بن زيد بن هارون :" إنما هو صالح عن صالح وصالح عن تابع وتابع عن صاحب وصاحب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله عن جبرائيل وجبرئيل عن الله عز وجل ."

وهذا هو إسناد شريعة محمّـــد عليه الصلاة والسلام ، فلا يقول شيئاً في التشريع من تلقاء نفسه .

ولذا يسمي السلف القرآن والسنة (الوحيين) وهذا مُسلَّم لدى أهل السنة والجماعة ، وقد ترجم البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه (باب ذكر النبي وروايته عن ربه)

وفي هذا روى الدارمي وأبو داود في المراسيل والخطيب في الكفاية والفقيه والمتفقه وابن عبد البر في الجامع والمروزي في السنة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال :" كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ."

إذا عُلِم هذا عُلم أن من ردّ أو جحد السنة أو شيئاً منها ، فقد ردّ أو جحد القرآن أو شيئاً منه .

ومعارض السنة معارض القرآن ، فكلاهما من وحي الله ، وسنّة النبي خير هدي كما جاء في صحيح مسلم من حديث جابر مرفوعاً : " **خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد** ".

والوحيان ناسخان لكل شريعة سابقة ، وهما أصلح شريعة يهتدى ويقتدى بها ، فقد روى أحمد في مسنده من حديث محمد بن إسحاق عن داود بن

الحصين عن عكرمة عن بن عباس قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأديان أحب إلى الله ؟ قال : "**الحنيفية السمحة** ."[1]

وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كاملة لا نقص فيها .

قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ المائدة : 3

وألزم الله بلزومها .قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران :85)

فمن اعتقد أن شيئاً من هدي الشرائع الأخرى سواءً كانت شرائع سماوية كاليهودية والنصرانية المحرّفة ، أو التشريعات التي يضعها الناس ويقنّنونها من دون الله ، خير من هدي محمّد صلى الله عليه وسلم وأنفع للناس ، وأصلح لاستقامة حياتهم وأمنهم ومعيشتهم ، فهو كافر خارج من الملة بإجماع المسلمين .

---

[1]سنده جيّد (وداود بن الحصين في روايته نكارة عن عكرمه مما جاء من طريق إبراهيم الأسلمي عن داود خاصة وغالب رواية داود عن عكرمة ولذا ألحق الحُفّاظ النكارة بها)

فمن مقتضى الإيمان بالله ورسوله الخضوع لحكمه، والنزول عند شرعه ، والرضا بأمره ، ولزوم قضاءه في العقائد والأقوال والأفعال ، والرجوع إلى كتاب الله وسنته عند الاختلاف في الخصومات والدماء والأموال وسائر الحقوق ، فلا ينازع الله في حُكمه .

قال تعالى : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف :40)

وقال تعالى : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾{المائدة :50}

فيجب على الحُكام الحكم بحكم الله وشرعه ، وعلى المحكومين التحاكم لما أنزل الله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً .** ﴾ [النساء:60].

فقوله ﴿ **يَزْعُمُونَ** ﴾ دل على كذب دعواهم الإيمان بما أنزل الله لمخالفتهم لموجبها وعملهم بما ينافيها .

ثم بين وأقسم سبحانه وتعالى أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء :65)

فنفى الله الإيمان مؤكداً ذلك بالقسم عمن لم يتحاكم إلى ما أنزل الله ويرضى بحكمه ويسلم له .

ونفي الإيمان هنا يدل على أن تحكيم ما أنزل الله بين الناس إيمان ، وقُربة يتقرب بها إلى الله ، فيجب مع التحكيم اعتقاد ذلك ديناً وتعبداً ، لا أنه أصلح للناس فحسب .

ومن بدّل شريعة الله بغيرها من القوانين فهذا كفر أكبر .

والحكم بما أنزل الله ، والتحاكم إلى شرع الله وحده واعتقاد أن حكم الرسول أحسن من حكم غيره : من مقتضيات شهادة أن (لا إله إلا الله) ، ومن زعم أن حكم غير الرسول أحسن من حكم الرسول ؛ فهذا لم يعرف معنى (**لا إله إلا الله**) ، بل أتى بما يناقضها ؛ لأن الانقياد شرطٌ من شروط هذه الكلمة العظيمة ، التي بها قامت السماوات والأرض ، ومن أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، ومن أجلها شرع الجهاد ، ومن أجلها افترق الناس إلى شقي وسعيد ، فمن عرفها وعمل بها مستكملاً شروطها وأركانها ؛ فقد تبرأ من حكم غير الله والرسول . ومن حكم بالقوانين الوضعية الوضيعة أو تحاكم إليها فقد حكم بحكم الطاغوت وتحاكم إلى الطاغوت ، ومن فعل ذلك فقد نقض الشهادة وكفر بالله العظيم وآمن بالطاغوت .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**

 {الأحزاب : 36}

الناقض الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به كفر .

من كره وأبغض شيئاً مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من هدي وحُكم فقد كفر بالله تعالى ، وهو من صفات المنافقين النفاق الاعتقادي الأكبر الذي يخرج صاحبه من الإسلام وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

قال تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء : 65)

فمن كره شيئاً من شريعة الله وهدي محمد صلى الله عليه وسلم وحكمه سواءً كان أمراً أو نهياً مما جاء به من العقائد والشرائع فقد أسرف على نفسه وعَرَّضها لما لا طاقة له به . كما يصنعه العلمانيون والليبراليون ومن حذا حذوهم ممن اغتر بما عليه الغرب ، فكرهوا الحكم بما أنزل الله كحد السرقة وجلد شارب الخمر وقتل القاتل العمد ودية المرأة نصف دية الرجل فهؤلاء مبغضون لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله كفَّار خارجون من ملة الإسلام .ولو عمل أحدهم بما أبغضه من شريعة الله لم ينفعه

ذلك ، كمن كره تعدد الزوجات مطلقاً وأبغض هذا التشريع فهو كافر بالله وإن عدد وتزوج أكثر من واحدة .

ومثله من كره حكم الله وقضاءه في أن شهادة المرأتين بشهادة الرجل الواحد أو كره ما جاءت به بعض النصوص الثابتة بأخبار مغيبة بزعم أنها لا تتوافق مع العقل أو مع الواقع .

قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ (محمد :8-9)

فسماهم الله كفاراً بقوله ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ بسبب أنهم ﴿ **كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾ ولكون الكفر لا يبقى معه من عمل الخير شيء فإنه يحبطه بالكلية قال : ﴿ **فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ (محمد : 28)

وقد تجرأ كثير ممن يتسمى بالإسلام على كثير من أحكام الله وهدي نبيه تصريحاً أو تلميحاً بالكراهية لها ، فتنوعت أهوائهم بردها تارةً بأنها ليست مُلزمة ، وتارةً بأنها خاصة بزمان ولَّى وانقضى ، وكل هذا من محادَّة الله ورسوله .

الناقض السادس : الاستهزاء بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أو ثوابه أو عقابه كفر .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (التوبة : 65-66)

قولهم : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أي : إننا لم نقصد حقيقة الاستهزاء ، وإنما قصدنا الخوض واللعب ، نقطع به عناء الطريق ، ومع ذلك كفَّرهم الله -جل وعلا- ؛ لأن هذا الباب لا يدخله الخوض واللعب ؛ فهم كفروا بهذا الكلام ، مع أنهم كانوا من قبل مؤمنين .

فالاستهزاء بالله أو بالرسول أو بشيء من دين محمد وشريعته كفر ، وخروج من ملّة خير الأنام ، وإن كان المستهزئ مازحاً أو هازلاً .

والمستهزئ بالله أو بآياته أو برسوله أو بشيء من دينه وشريعته، كافر بالله حتى وإن زعم عدم قصده لحقيقة ما قال ، وإن صلى وصام ، فهو بذلك القول مرتد سواء اعتقده بقلبه أو اعتقد الإيمان بقلبه ، ولذا هؤلاء المستهزئون في الآية لم يكونوا يعلمون بكفرهم ، وظنّوا أنهم معذورون ، ومع هذا لم يقبل منهم ذلك ، و لم يمنعهم من الردّة ، وهذا حُكم الله يحكم ما يشاء لا مُعقّب لحكمه .

والاستهزاء على نوعين :

أحدهما : الاستهزاء الصريح كمن نزلت فيهم الآية ، أو كقول بعضهم عن الدين هذا دين خامس أو دين أخرق، والأمثلة في هذا النوع لا تحصى.

النوع الثاني : الاستهزاء غير الصريح كالغمز باليد وإخراج اللسان عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو عند شعائر الله ، وكرفع الصوت بالكلام عند قراءة القرآن أو عند سماع قول النبي صلى الله عليه وسلم استخفافاً بهما ، فالاستخفاف والاستهزاء شيء واحد ، وغير ذلك وهذا النوع بحر لا ساحل له .

والاستهزاء من أهل الدين والصلاح لأجل دينهم ، من الاستهزاء بالدين المقصود هنا .

ولعظيم خطر الاستهزاء بالدين حذر الله من الجلوس مع المستهزئين ،

فقال تعالى : ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ (النساء :140)

الناقض السابع : السحــــر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر .

قال تعالى : ﴿ **وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا**

نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾{البقرة : 102}

والسحر : عزائم ورقى ، قراءات وطلاسم يتوصل بها إلى استخدام الشياطين لإلحاق الضرر بالمسحور ، وله حقيقة عند جماهير أهل العلم ، فمنه ما يؤثر في قلب المسحور وعقله وإرادته ، فينصرف عن شيء ويميل لآخر ، ولهذا يُسمى الصرف والعطف أي صرف الرجل عما يهواه كصرفه عن زوجته ونحو ذلك ، والعطف بعكس ذلك .

والسحر يدخل في الشرك من جهتين :

الجهة الأولى : ما فيه من استخدام الجن والشياطين ، والتقرب إليهم من دون الله بما يريدونه ،ليوصوا الساحر إلى مبتغاه،والسحر من تعليم الشياطين كما قال تعالى :﴿ **وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** ﴾

الجهة الثانية : ما فيه من ادعاء علم الغيب ، ومنازعة الله في خصوصياته .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ (النمل :65)

ودعوى مشاركة الله في ذلك كفر وضلال .

والأصل في السحر أنه كفر وشرك ، وقد يكون منه ما هو دون الكفر ، والسحر في هذا الباب على قسمين :

القسم الأول : شرك ، وهو الذي يكون بواسطة الشياطين ، فيُتقرب إليهم ببذل القرابين والعبادة لهم من دون الله .

القسم الثاني : ظلم وعدوان ، وهو ما يكون بواسطة العقاقير والأدوية لأذية الخلق وصدهم عما يريدون .

وأما السحر الرياضي الذي يرجع إلى سرعة الحركة وقُوَّة الجسد وخِفَّة اليد والسحر بالتمويه ، وهو ما يكون بقلب الحقائق وإظهارها على غير حقيقتها ، فهذان من التدليس والخداع والغش ، وإنما أدخلت هذه الأنواع المذكورة في السحر للطافة مداركها وخفائها لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه .

الناقض الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .

إن مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين فتنة عظيمة قد عمَّت فأعمت، ورزية رمت فأصمت ، وفتنة دعت القلوب فأجابها كل قلب مفتون

بحب المشركين ، ولا سيما في هذا الزمن ، الذي كثر فيه الجهل ، وقل فيه العلم ، وتوفرت فيه أسباب الفتن ، وغلب الهوى واستحكم ، وانطمست أعلام السنن والآثار .

اعلم أن من ظاهر المشركين وناصرهم على المسلمين فقد تعرض لتهديد الله ووعيده .

قال الله جل وعلا : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ {المائدة : 51}

والنصوص في الكتاب والسنة في هذا الباب أكثر من أن تحصر ، وقد حرص الشارع على بيان هذا الأصل العظيم من الدين أشد بيان ، فتواترت به النصوص من الكتاب والسنة، وتظافرت فيه الأدلة، وذلك لأنه من أعظم أصول الملة، فبموالاة الكافرين ومعاداة المؤمنين تهدم الشريعة ويثلم الدين .

وقد وقع الجهل في هذا الباب ، والتسامح فيه، فأصبح اتِّباع الأهواء وملذات الدنيا وحب الرئاسة عذراً في موالاة الكافرين ومعاداة المؤمنين .

الناقض التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلَّم فهو كافر .

وذلك لتضمنه تكذيب قول الله تعالى : ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾ (الأنعام : 153)

وأخرج أحمد وأبو داود والطيالسي والدارمي وغيرهم عن ابن مسعود – رضي الله عنه– ؛ قال "خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال : " **هذا سبيل الله** " ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : " **هذه سبل متفرقة ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه** "، ثم قرأ : ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾ (الأنعام: 153) "

(وأخرجه الحاكم وقال : "صحيح الإسناد".

)

فمن رغب الخروج عن شريعة محمد ﷺ ، أو ظن الاستغناء عنها ؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه .

وهذا الناقض يتضمن إنكاراً لنصوص الكتاب والسنة التي تبين عموم الرسالة التي أرسل بها نبي الأمة صلى الله عليه وسلم ، وإبطالاً لها ، فقد أرسله الله للناس كافه .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾(سبأ :28)

﴿**كَافَّةً لِلنَّاسِ** ﴾ أي إلا إلى جميع المكلفين من الخلق .

﴿ **بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ أي تبشر من أطاعك وأمتثل أمرك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾

(الأعراف

:158)

وقال تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ (الفرقان :1).

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ (آل عمران :19)

أي لا دين عند الله يقبله سوى الإسلام ، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بنبي هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي سد جميع الطرق إلى الله إلا من جهته،فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺبدين غير شريعته فليس بمتقبل منه ذلك كما قال تعالى :

﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ {آل عمران

:85}

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**فُضّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرّعْبِ. وَأُحِلّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِداً. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافّةً. وَخُتِمَ بِيَ النّبِيّونَ** " (رواه مسلم)

ومن رد أو أنكر شيئاً من الأحكام في القرآن أو السنة الثابتة المعلومة بالضرورة ولو نصاً واحداً فقد كفر ، فكيف بمن رد رسالة محمد صلى الله

عليه وسلم بالجملة ، ومن آمن بشريعة محمد فيلزمه الإيمان بعموم رسالته، وأوامره ونواهيه ، وإلا لم ينفعه إيمانه ذلك .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنّهُ قَالَ : " **وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمّةِ يَهُودِيّ وَلاَ نَصْرَانِيّ ، ثُمّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلاّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النّارِ**". (رواه مسلم)

الناقض العاشر : الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾ {السجدة :22}

والإعراض عن دين الله لا يتعلمه الذي يكفر به صاحبه هو الإعراض عن تعلم أصل هذا الدين .

قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ** ﴾ (الأحقاف :3)

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ** ﴾ (السجدة :22)

وكما أن الكفر يكون بالاعتقاد وبالجحود ويكون بالفعل ويكون بالقول فكذلك يكون بالإعراض والترك والرفض.والإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به،ولا يبالي بما ترك من المأمورات،وما يقترف من المحرمات،ولا بما يجهل من أحكام يلزم منه لزوماً ظاهراً ويدل دلالة ظاهرة على عدم الإقرار

بالشهادتين باطناً ولو أقر بهما ظاهراً.والمعرض عن دين الله وعن تعلمه لا يعذر بجهله الذي يستطيع رفعه،وإلا لكان الجهل خيراً من العلم .

واعلم أنه لا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره .

القواعد التي تبين الفرق بين المؤمنين والمشركين

فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته فاعلم : أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلى مع الطهارة ، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة . فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في

النار عرفتَ أنّ أهمَّ ما عليك : معرفة ذلك ، لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾[النساء:116] وذلك بمعرفة ستة قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه .

القاعدة الأولى : أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقِرُّون بأنّ الله تعالى هو الخالِق المدبِّر والرازق والمحي والمميت ، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام.

والدليل : قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾[يونس:31].

وقوله تعالى : ﴿ **قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ . بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ (المؤمنون :84-90)

واعلم كذلك أن العلمانيين والقوميين والرأسماليين واللبراليين والديمقراطيين يقرون بالربوبية كذلك وعندهم بعض العبادات فلم يدخلهم ذلك في الإسلام لوقوعهم في الشرك الأكبر .

القاعدة الثانية : أن مشركي العرب كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى لا على أنها خلقتهم ورزقتهم ، فكانوا يقولون : ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة .فغايتهم التقرب إلى الله فلم تنفعهم نيتهم لوقوعهم في الشرك الأكبر . وكذلك من دخل البرلمانات الشركية أو حكم بغير شرع الله أو أقر بالحكم بغير شرع الله فلا تنفعه نيته خدمة الإسلام والمسلمين لأنه وقع في الشرك الأكبر .

فدليل القُربة قوله :﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ [الزمر : 3].

ودليل الشفاعة قوله : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (يونس : 18)

القاعدة الثالثة : جاء الرسول ﷺ إلى المشركين ولهم أرباب كثيرة ومختلفة فمنهم من يعبد الأصنام والأوثان ومنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن ومنهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد عيسى بن مريم ومنهم من يعبد الأنبياء ومنهم من يعبد الصالحين فلم يفرق بينهم في الحكم والكفر والقتال .

واعلم أن العلمانيين والقوميين والرأسماليين والاشتراكيين والليبراليين والديمقراطيين كذلك لهم آلهة كثيرة وهم طوائف باعتبار معبوديهم ، منهم

من يعبد الأمريكان ومنهم من يعبد الأوربيين ومنهم من يعبد الروس ومنهم من يعبد النظام العالمي الجديد ومنهم من يعبد الحكام ومنهم من يعبد النظريات ومنهم من يعبد الوطن ومنهم من يعبد القومية والجنس ويعبدون قيادييهم ومفكريهم فلا فرق بينهم من ناحية وقوعهم في الشرك الأكبر 0

والدليل قوله تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة:193].

ودليل عبادة الشمس والقمر قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾[فصلت:37].

ودليل عبادة الملائكة قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا** ﴾ [آل عمران:80].

وقوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ . فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ** ﴾ (سبأ :40-42)

ودليل عبادة الأنبياء قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾[المائدة:116].

ودليل عبادة الصالحين قوله تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً . أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ (الإسراء :56-57)

ودليل عبادة الأحجار والأشجار قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى** ﴾ (النجم:19-20) .

وحديث أبي واقدٍ الليثي رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ... الحديث .

القاعدة الرابعة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء في أناس لهم تشريعات وقوانين يفصلون فيها بينهم في الخصومات وغيرها ، ولهم عوائد جاهلية يسيرون عليها فلم يقبلوا حكم الله ولا هديه ، فكفَّرهم الله ورسوله وقاتلهم ، و لم يدخلهم في الإسلام ، فمن تشريعاتهم ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [1]

وقال تعالى عن قريش ومن تبعها : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ (الشورى :21)

واعلم أن العلمانيين والقوميين والرأسماليين والليبراليين والديمقراطيين لهم تشريعات وقوانين ومحاكم وضعية محلية أو إقليمية أو عالمية يفصلون فيها بينهم في الخصومات وغيرها ، ولهم عوائد جاهلية يسيرون عليها يسمونها حضارة وتنور وتطوير ، فلم يقبلوا حكم الله وحده ولا هديه وحده فهم مشركين فلابد من تكفيرهم والبراءة منهم .

القاعدة الخامسة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء إلى أناس يجعلون الدين في شيء دون شيء ، يعبدون الله في الشدة دون الرخاء فيشركون في الرخاء قال تعالى:﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾العنكبوت:65

أما مشركوا زماننا فهم أغلظ شركًا من الأوَّلين ، لأنَّ الأوَّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة ، ومشركوا زماننا شركهم دائم ؛ في الرخاء والشدّة.

---

[1] الأنعام :121

القاعدة السادسة : جاء الرسول ﷺ إلى أناس يجعلون لله شيئاً ولأوثانهم شيئاً مثل ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ (الأنعام : 136).

والعلمانيون والقوميون والرأسماليون واللبراليون والديمقراطيون يعبدون الله في المسجد وفي رمضان وفي النكاح والطلاق والأحوال الشخصية فقط ، وفي غير ذلك يرجعون إلى تشريعاتهم وعوا ئدهم الضالة 0

الحكمة في خلق الجن والإنس

قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ الذاريات : 56

قوله : ﴿ **إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ فُسِّر : إلا ليوحدون ، وهذا حق ، وفُسِّر : بمعنى يتذللون لي بالطاعة فِعلاً للمأمور ، وتركاً للمحظور ، ومن طاعته أن يوحد سبحانه وتعالى ؛ فهذه هي الحكمة من خلق الجن والإنس .

فهذه الآية تبين أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده لا شريك له .وأعظم ركن لهذه العبادة هو التوحيد فإذا لم يأتِ بهذا الركن العظيم لم يأتِ بهذه العبادة .

فهذه الآية تدل على أهمية التوحيد وعظم شأنه لأنه من أجله خُلق الثقلان ولا تصح العبادة إلا بالتوحيد فدل على عظم التوحيد .

قال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا** ﴾ (النساء :36)

فالله تعالى في هذه الآية الكريمة يأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك في عبادته شيئاً فقوله : ﴿ **وَلاَ تُشْرِكُواْ** ﴾ في مقابل " **لا إله** " ؛ لأنها نفي . تمنع عبادة غير الله مهما كان . وقوله : ﴿ **وَاعْبُدُواْ** ﴾ في مقابل "**إلا الله** " ؛ لأنها إثبات . تأمر بعبادة الله وحده . وقوله : ﴿**شيئاً**﴾ نكرة في سياق النهي ؛ فتعم كل شيء : لا نبياً ، ولا ملكاً ، ولا ولياً ، بل ولا أمراً من أمور الدنيا . قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ (النحل :36)

فلا تجعل الدنيا شريكاً مع الله ، والإنسان إذا كان همه الدنيا كان عابداً لها ؛ كما قال ﷺ : " **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميلة ، تعس عبد الخميصة** " رواه البخاري

واعلم أن العبادة مبنية على التوحيد ؛ فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة ، فهي باطلة ، قال ﷺ : " **قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه** " (مسلم)

فقريش كانوا يعبدون الله ويطوفون له ويصلون ويتصدقون ، ولكن على غير الإخلاص والوجه الشرعي ؛ فهي كالعدم لعدم الإتيان بالتوحيد .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ . وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِه** ﴾

[التوبة: 53-54].

الرسل ودعوة التوحيد

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى منذ نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ في كل أمة رسولاً يأمرهم بعبادة الله وحده واجتناب عبادة الطواغيت بجميع أنواعها وأشكالها . فجميع الرسل دينهم واحد هو التوحيد ، والتوحيد لا يستقيم ولا يتحقق إلا بعبادة الله وحده لا شريك له وبالكفر بجميع أنواع الطواغيت .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ (النحل :36)

قوله: ﴿ **وَلَقَدْ** ﴾ : اللام موطئة لقسم مقدر ، وقد: للتحقيق .وعليه ؛ فالجملة مؤكدة بالقسم المقدر ، واللام ، وقد .

قوله: ﴿ **بَعَثْنَا**﴾ ؛ أي: أخرجنا، وأرسلنا في كل أمة .

والأمة هنا: الطائفة من الناس .

فكل أمة بعث فيها رسول من عهد نوح إلى عهد نبينا محمد ﷺ.

قوله : ﴿ **أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ** ﴾ أي : تذللوا له بالعبادة .

قوله : ﴿ **وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾ أي : ابتعدوا عنه بأن تكونوا في جانب ، وهو في جانب ، **والطاغوت** : مشتق من الطغيان، وهو صفة مشبهة ،

والطغيان: مجاوزة الحد ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾ [الحاقة: 11] ﴿**طَغَى** ﴾ أي: تجاوز حده .

وأجمع ما قيل في تعريف الطاغوت هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله بأنه : " **ما تجاوز به العبد حده من متبوع ، أو معبود ، أو مطاع** ".

فالمتبوع مثل : الكهان ، والسحرة ، وعلماء السوء .

والمعبود مثل : الأصنام .

والمطاع مثل : الأمراء الخارجين عن طاعة الله ، فإذا اتخذهم الإنسان أرباباً يحل ما حرم الله من أجل تحليلهم له، ويحرم ما أحل الله من أجل تحريمهم له ؛ فهؤلاء طواغيت .

فهذه الآية تدل على إجماع الرسل عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى التوحيد ، وأنهم أرسلوا به .

وتدل أيضاً أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ، يتبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ **وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾ ،فمن عبَدَ الله و لم يكفر بالطاغوت ؛ فليس بموحد ، وهذه مسألة جهلها كثير من أدعياء الإسلام في زماننا الحاضر .

الحكمة من إرسال الرسل

إن الحكمة في إرسال الرسل هي :

1- إقامة الحجة :

قال تعالى : ﴿ **رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ النساء : 165

2- الرحمة :

لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء : 107].

3- بيان الطريق الموصل إلى الله تعالى : لأن الإنسان لا يعرف ما يجب لله على وجه التفصيل إلا عن طريق الرسل .

وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمة :

روى الترمذي[1] والطبراني عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال : من أراد أن ينظر إلى وصية رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : **﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾** (الأنعام :151)

يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى اللّه عليه وسلم في هذه الآية قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير اللّه وحرموا ما رزقهم اللّه وقتلوا أولادهم ، وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم **﴿ قُلْ ﴾** لهم **﴿ تَعَالَوْاْ ﴾** أي هلموا وأقبلوا **﴿ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾** أي أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لا تخرصاً ولا ظناً ، بل وحياً منه وأمراً من عنده ، فلله وحده الحق في تعين الحلال والحرام .

﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ فأول شيء حرمه الله على عباده هو الشرك بجميع أنواعه وأشكاله ، فأول واجب على المكلف هو عبادة الله وحده لا شريك له والابتعاد عن جميع أنواع الشرك بما فيه شرك التشريع والحاكمية المنتشر في زماننا الحاضر ، وبدون ذلك لا يمكن أن يتحقق التوحيد في الواقع العملي .

---

[1] **رواه الترمذي وقال: "حديث حسن غريب".**

والشرك المقصود في هذه الآية هو إعطاء حق التشريع لحياة الناس لغير الله تعالى .

فضل التوحيد

قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ الأنعام :82

قوله ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾ : الذين أخلصوا العبادة لله وحده و لم يشركوا به شيئاً . قوله ﴿ **وَلَمْ يَلْبِسُواْ** ﴾ أي: يخلطوا .

قوله ﴿ **بِظُلْمٍ** ﴾ الظلم هنا ما يقابل الإيمان ، وهو الشرك.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي ﷺ : " **ليس الأمر كما تظنون ، إنما المراد به الشرك ، ألم تسمعوا إلى قول الرجل الصالح** – يعني لقمان – : ﴿ **إن الشرك لظلمٌ عظيم** ﴾ " (متفق عليه)

والظلم أنواع :

1- أظلم الظلم ، وهو الشرك في حق الله .

2- ظلم الإنسان نفسه ؛ فلا يعطيها حقها ، مثل أن يصوم فلا يفطر ، ويقوم فلا ينام .

3- ظلم الإنسان غيره ، مثل أن يتعدى على شخص بالضرب ، أو القتل ، أو أخذ مال ، أو ما أشبه ذلك .

قوله ﴿ **الأَمْنُ** ﴾ ، أل فيها للجنس ، فالأمن إما أمن مطلق ، وإما مطلق أمن حسب الظلم الذي تلبس به .

وإذا انتفى الظلم ، حصل الأمن ، لكن هل هو أمنٌ كامل ؟

الجواب : أنه إن كان الإيمان كاملاً لم يخالطه معصيةٌ ؛ فالأمن أمنٌ مطلق ، أي كامل ، وإذا كان الإيمان مطلق إيمانٍ - غير كامل - ؛ فله مطلق الأمن ؛ أي : أمن ناقص .

مثال ذلك : مرتكب الكبيرة ، أمِنَ من الخلود في النار ، وغير آمن من العذاب ، بل هو تحت المشيئة ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النساء: 116].

فالأمن ينقسم إلى قسمين :

1- **الأمن المطلق** : وهو من مات على التوحيد و لم يصر على الكبائر فهذا له أمن كامل .

2-**الأمن المقيد** (غير الكامل): وهو من مات على التوحيد مع الإصرار على الكبائر فله الأمن من الخلود في النار .

قوله ﴿ **وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ أي: في الدنيا إلى شرع الله بالعلم والعمل .

فهذه الآية الكريمة تدل على فضائل التوحيد وهو استقرار الأمن ،فهي تبين أن من وحد الله و لم يخلط توحيده بشرك أكبر ومات على ذلك فله الأمن التام والاهتداء التام ويأمن مما وعد به المشركون من الخلود في النار

وأن من أتى بجنس الشرك وهو الشرك الأصغر والكبائر يفوته من الأمن والاهتداء بحسبه فيكون الأمن من تأبيد العذاب .

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (ﷺ) قَالَ: كُنْتُ رِديفَ النبي ﷺ. عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي : « **يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله ؟** » قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « **حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ أَنْ لاَ يُعَذّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا** » قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَفَلاَ أُبَشّرُ النّاسَ ؟ قَالَ: « **لاَ تُبَشّرْهُمْ فَيَتّكِلُوا** ». متفق عليه

قوله : " **رديف** " بمعنى رادف ؛ أي : راكب معه خلفه .

قوله : " **ما حق الله على العباد ؟** " أي : ما أوجبه عليهم ، وما يجب أن يعاملوه به ، وألقاه على معاذ بصيغة السؤال ؛ ليكون أشد حضوراً لقلبه حتى يفهم ما يقول ﷺ .

قوله : " **وما حق العباد على الله ؟** " أي : ما يجب أن يعاملهم به ، والعباد لم يوجبوا شيئاً ، بل الله أوجبه على نفسه فضلاً منه على عباده .

قال تعالى : ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (الأنعام: 54)

فأوجب سبحانه على نفسه أن يرحم من عمل سوءاً بجهالة ؛ أي: بسفه وعدم حسن تصرف ثم تاب من بعد ذلك وأصلح . ومعنى كتب ؛ أي : أوجب .

قوله : " **يعبدوه** " أي : يتذللوا له بالطاعة.

قوله : "**ولا يشركوا به شيئاً** " أي: في عبادته وما يختص به، وشيئاً نكرة في سياق النفي ؛ فتعم كل شيء لا رسولاً ولا ملكاً ولا ولياً ولا غيرهم .

وقوله :"**وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً** " وهذا الحق تفضل الله به على عباده ، و لم يوجبه عليه أحد ، ولا تظن أن قوله: " **من لا يشرك به شيئاً** " أنه مجرد عن العبادة ؛ لأن التقدير : من يعبده ولا يشرك به شيئاً ، و لم يذكر قوله: "**من يعبده** " ؛ لأنه مفهوم من قوله : "**وحق العباد** " ، ومن كان وصفه العبودية ؛ فلابد أن يكون عابداً.

قوله : " **أفلا أبشر الناس** " أي : أأسكت فلا أبشر الناس ؟

والبشارة: هي الإخبار بما يسر ، وقد تستعمل في الإخبار بما يضر ، ومنه قوله تعالى : ﴿**فَبَشِّرهُم بِعَذابٍ أليم**﴾ [الانشقاق: 24]، لكن الأكثر الأول .

قوله : " **لا تبشرهم** " أي : لا تخبرهم ، ولا ناهية.

ومعنى الحديث أن الله لا يخلد في العذاب من لا يشرك به شيئاً ، وأن المعاصي تكون مغفورة بتحقيق التوحيد ، ونهى ﷺ عن إخبارهم ؛ لئلا يعتمدوا على هذه البشرى دون تحقيق مقتضاها ؛ لأن تحقيق التوحيد يستلزم اجتناب المعاصي .

وأن معاذاً أخبر بها تأثماً ، أي خروجاً من إثم الكتمان عند موته بعد أن مات كثيرٌ من الصحابة ؛ وكأنه رضي الله عنه علم أن النبي ﷺ كان يخشى

أن يفتتن الناس بها ويتكلوا ، و لم يرد ﷺ كتمها مطلقاً ؛ لأنه لو أراد ذلك لم يخبر بها معاذاً ولا غيره .

فهذا الحديث يدل على جواز كتمان العلم للمصلحة . وهذا لا يعني جواز كتمان العلم على سبيل الإطلاق لأنه ليس بمصلحة فهو غير جائز ، ولهذا أخبر النبي ﷺ معاذاً و لم يكتم ذلك مطلقاً ، وأما كتمان العلم في بعض الأحوال ، أو عن بعض الأشخاص لا على سبيل الإطلاق ؛ فجائزٌ للمصلحة ؛ كما كتم النبي ﷺ ذلك عن بقية الصحابة خشية أن يتَّكلوا عليه ، وقال لمعاذ : " **لا تُبَشّرهم فيتّكلوا** ".

عن عبادة بن الصامت ﷺ ؛ قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ شهدَ أَنّ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ , وَأَنّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ , وَأَنَّ عِيسَىَ عَبْدُ اللّهِ وَرسوله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنّةَ حَقّ , وَالنّارَ حَقّ ؛ أَدْخَلَهُ الله الْجَنّةَ على ما كان من العمل**» متفق عليه

قوله : " **من شهد أن لا اله إلا الله** " فمن شهد أي عرف معناها فقالها بلسانه وبقلبه وجوارحه صادقاً مخلصاً تاركاً لجميع أنواع الشرك الأكبر .

ويتبين لك خطأ المغرورين الذين أخذوا حديث عبادة على إطلاقه و لم يقيدوه ، قالوا : يكفي أن يقال لا إله إلا الله ولا يشترط الإخلاص والصدق فيها ولا العمل ولا البراءة من الشرك وأهله .

وقوله : "**ورسوله** " أي: المبعوث بما أوحى إليه، فليس كاذباً على الله.

قوله : "**وإن عيسى عبد الله ورسوله** "، الكلام فيها كالكلام في شهادة أن محمداً رسول الله ، إلا أننا نؤمن برسالة عيسى ، ولا يلزمنا اتباعه إذا خالفت شريعته شريعتنا.

أما عقيدتنا نحن فيه : فنشهد أنه عبد الله ورسوله ، وأن أمه صديقة ؛ كما أخبر الله تعالى بذلك ، وأنها أحصنت فرجها ، وأنَّها عذراء ، ولكن مثله عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له : كن ؛ فيكون .

وفي قوله : " **عبد الله** " ، رد على النصارى .

وفي قوله : " **ورسوله** " ، رد على اليهود .

قوله : " **وكلمته ألقاها إلى مريم** " ، أطلق الله عليه كلمة ؛ لأنه خلق بالكلمة عليه السلام ؛ فالحديث ليس على ظاهره ؛ إذ عيسى عليه السلام ليس كلمة ؛ لأنه يأكل ، ويشرب ، ويبول ، ويتغوط ، وتجري عليه جميع الأحوال البشرية ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: 59].

وعيسى عليه السلام ليس كلمة الله ؛ إذ إن كلام الله وصف قائم به، لا بائن منه ، أما عيسى ؛ فهو ذات بائنة عن الله – سبحانه – ، يذهب ويجيء ، ويأكل الطعام ويشرب .

قوله : " **ألقاها إلى مريم** " ، أي : وجَّهها إليها بقوله: ﴿**كن فيكون**﴾؛ كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: 59].

قوله : "**وروح منه** " ، أي : صار جسده عليه السلام بالكلمة، فنفخت فيه هذه الروح التي هي من الله ؛ أي : خلق من مخلوقاته أضيفت إليه تعالى للتشريف والتكريم .

وعيسى عليه السلام ليس روحاً ، بل جسد ذو روح .

قال الله تعالى :﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَام** ﴾ [المائدة: 75].

فبالكلمة صار جسداً ، وبالروح صار جسداً وروحاً.

قوله : " **منه** "، هذه هي التي أضلّت النصارى ، فظنوا أنه جزء من الله ، فضلوا وأضلوا كثيراً ، ولكننا نقول : إن الله قد أعمى بصائركم ؛ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ؛ فمن المعلوم أن عيسى عليه السلام كان يأكل الطعام ، وهذا شيء معروف ، ومن المعلوم أيضاً أن اليهود يقولون : إنهم صلبوه ، وهل يمكن لمن كان جزءاً من الرب أن ينفصل عن الرب ويأكل ويشرب ويُدَّعى أنه قتل وصلب ؟!

وعلى هذا تكون " **من** " للابتداء ، وليس للتبعيض ؛ فهي كقوله تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ**﴾ الجاثية: 13 فلا يمكن أن نقول: إن الشمس والقمر والأنهار جزء من الله ،

وهذا لم يقل به أحد . فقوله : " **منه** " ؛ أي : روح صادرة من الله – عز وجل –، وليست جزءً من الله كما تزعم النصارى .

وأعلم أن ما أضافه الله إلى نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : العين القائمة بنفسها ، وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه ، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل عموم الخلق ؛ كقوله تعالى﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ**﴾ الجاثية: 13وقوله تعالى : ﴿ **إن أرضي واسعة**﴾ [العنكبوت: 56].

وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفه ، كقوله تعالى : ﴿ **وَطَهِّر بَيْتِي للطَّائفين**﴾ (الحج: 26) ، وكقوله تعالى : ﴿**نَاقَةُ اللهِ وَسُقْياها**﴾ (الشمس: 13) وهذا القسم مخلوق .

الثاني : أن يكون شيئاً مضافاً إلى عين مخلوقة يقوم بها ، مثاله قوله تعالى : ﴿ **وَروحٌ مِنْه** ﴾ [النساء : 171] ؛ فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفاً ؛ فهي روح من الأرواح التي خلقها الله ، وليست جزءاً من روح الله ؛ إذ أنَّ هذه الروح حَلَّت في عيسى عليه السلام ، وهو عين منفصلة عن الله ، وهذا القسم مخلوق أيضاً .

الثالث : أن يكون وصفاً غير مضاف إلى عين مخلوقة ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي**﴾

(الأعراف: 144) ، فالرسالة والكلام أضيفا إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، فإذا أضاف الله لنفسه صفة ؛ فهذه الصفة غير مخلوقة .

فالأعيان القائمة بنفسها والمتصل بهذه الأعيان مخلوقة ، والوصف الذي لم يذكر له عين يقوم بها غير مخلوق ؛ لأنه يكون من صفات الله ، وصفات الله غير مخلوقة . وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى:" **كَلِمَتُه ،وَرُوحٌ مِنْه** " ؛ فكلمته هذه وصف مضاف إلى الله ، وعلى هذا ، فتكون كلمته صفة من صفات الله . "**وروح منه** " :هذه أضيفت إلى عين ، لأن الروح حلت في عيسى ، فهي مخلوقة.

قوله : " **أدخله الله الجنة** " إدخال الجنة ينقسم إلى قسمين :

الأول : إدخال كامل لم يسبق بعذاب لمن أتمَّ العمل .

الثاني : إدخال ناقص مسبوق بعذاب لمن نقَّص العمل .

فالمؤمن إذا غلبت سيئاته حسناته ، إن شاء الله عذَّبه بقدر عمله، وإن شاء لم يعذِّبه ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النساء :116]

وعن عتبان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**فَإِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاّ الله , يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله** ».متفق عليه

قوله : " **فإن الله حرم على النَّار** " ، أي : منع من النار ، أو منع النار أن تصيبه .

قوله : " **من قال : لا إله إلا الله** " ، أي : بشرط الإخلاص ، بدليل قوله : " **يبتغي بذلك وجه الله** " ، أي : يطلب وجه الله ، ومن طلب وجهاً ؛ فلا بد أن يعمل كل ما في وسعه للوصول إليه ؛ لأن مبتغي الشيء يسعى في الوصول إليه ؛ فالحديث واضح الدلالة على شرطية العمل لمن قال : **لا إله إلا الله** ، حيث قال : " **يبتغي بذلك وجه الله** " لأنَّ المبتغي لا بد أن يُكمِّل وسائل البغية ، وإذا أكملها حرمت عليه النار تحريماً مطلقاً ، فإنْ أتى بالحسنات على الوجه الأكمل ؛ فإنَّ النار تحرم عليه تحريماً مطلقاً، وإن أتى بشيء ناقص ، فإن الابتغاء فيه نقص ، فيكون تحريم النار عليه فيه نقص ، لكن يمنعه ما معه من التوحيد من الخلود في النار ، وكذا من زنى ، أو شرب الخمر ، أو سرق ، فإذا فعل شيئاً من ذلك ثم قال حين فعله : أشهد أن لا إله إلا الله ابتغي بذلك وجه الله ؛ فهو كاذب في زعمه ؛ لأن النبي ﷺ قال : " **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** " (متفق عليه)، فضلاً عن أن يكون مبتغياً وجه الله.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ؛ يقول: « **قال الله تعالى: يا ابنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَني بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمّ لَقِيتَني لاَ تُشْرِكُ بي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** ».رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب.

قوله : " **بقراب الأرض** " ، أي : ما يقاربها ؛ إما ملئاً ، أو ثقلاً ، أو حجماً.

قوله : " **خطايا** "، جمع خطيئة ، وهي الذنب ، والخطايا الذنوب ، ولو كانت صغيرة .

قوله : " **لا تشرك بي شيئاً** " ، أي : لقيتني في حال لا تشرك بي شيئاً.

قوله : "**شيئاً** " نكرة في سياق النفي تفيد العموم ؛ أي : لا شركاً أصغر ولا أكبر .

وهذا قيد عظيم قد يتهاون به الإنسان ، ويقول : أنا غير مشرك وهو لا يدري ؛ فحب المال مثلاً بحيث يلهي عن طاعة الله من الإشراك ، قال النبي ﷺ : " **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميلة ، تعس عبد الخميصة** " (رواه البخاري) فسمى النبي ﷺ من كان هذا همه سماه : عبداً له .

قوله : " **لأتيتك بقرابها مغفرة** " ، أي : أن حسنة التوحيد عظيمة تكفر الخطايا الكبيرة إذا لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً ، والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه . فالإنسان قد تغلبه نفسه أحياناً ؛ فيقع في الخطايا ، لكنه مخلص لله في عبادته وطاعته ؛ فحسنة التوحيد تكفر عنه الخطايا إذا لقي الله بها.

فمن جاء مع التوحيد وقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل ، فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه فإن كمل توحيد العبد وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب .

وتحقيق التوحيد : تخليصه من الشرك ، ولا يكون إلا بأمور ثلاثة :

الأول : **العلم** ؛ فلا يمكن أن تحقق شيئاً قبل أن تعلمه ، قال الله تعالى : **﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾** [محمد: 19].

الثاني : **الاعتقاد** ، فإذا علمت و لم تعتقد واستكبرت ؛ لم تحقق التوحيد ، قال الله تعالى عن الكافرين : ﴿ **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [ص:5] ؛ فما اعتقدوا انفراد الله بالألوهية .

الثالث : **الانقياد** ، فإذا علمت واعتقدت و لم تنقد ؛ لم تحقق التوحيد.

قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** ﴾ (الصافات:35- 36)

فإذا حصل هذا وحقق التوحيد ؛ فإن الجنة مضمونة له بإذن الله .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **قال موسى يا رب علمني شيئاً أذكرك أدعوك به . قال : قل يا موسى لا إله إلا الله قال : كل عبادك يقولون هذا . قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأراضين السبع في كفه ، ولا إله إلا الله في كفه مالت بهن لا إله إلا الله** "[1]

---

[1] ابن حبان (**2324**)، والحاكم (**528/1**) – وصححه ووافقه الذهبي ــ، وقال الحافظ في "الفتح": أخرجه النسائي بسند صحيح .

قوله : " **كل عبادك يقولون هذا** "، ليس المعنى أنها كلمة هينة كلٌّ يقولها ؛ لأنَّ موسى عليه الصلاة والسلام يعلم عِظَم هذه الكلمة، ولكنه أراد شيئاً يختص به ؛ لأن تخصيص الإنسان بالأمر يدل على منقبة له ورفعة ؛ فبين الله لموسى أنه مهما أعطي فلن يعطى أفضل من هذه الكلمة، وأنَّ **لا إله إلا الله** أعظم من السماوات والأرض وما فيهن ؛ لأنها تميل بهن وترجح ، فدل ذلك على فضل لا إله إلا الله وعظَمها، لكن لابد من الإتيان بشروطها ، أما مجرد أن يقولها القائل بلسانه ؛ فكم من إنسان يقولها لكنها عنده كالريشة لا تساوي شيئاً ؛ لأنَّه لم يقلها على الوجه الذي تمت به الشروط وانتفت به الموانع .

قوله : " **مالت** " أي : رجحت حتى يملن .

فقوله هنا (**لو أن السماوات السبع وعامِرَهُنَّ غيري**) يعني من يعمر السموات ، والله جل وعلا في هذا الاستثناء في قوله (**غيري**) يعني إلا أنا هذا يحتمل أن يكون الاستثناء راجع إلى الذات وراجع إلى الصفات،

وهناك من أهل العلم من يضعف هذا الحديث لأنه من رواية أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه ، وأبو السمح هو دراج بن سمعان ضعيف في أبي الهيثم . علما بأن الحديث له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما رواه أحمد .

ومعلوم أن الأدلة دلت على أن الله جل وعلا مستو على عرشه بائن مـــن خلقه جل وعلا ، والسماوات من خلقه.

فعُلم من ذلك أن قوله " **وعامرهن غيري** " راجع إلى عمارة السماء بصفات الله جل وعلا وبما يستحقه سبحانه من التعلق والعبودية ، وما فيها من علم الله ورحمته وقدرته وتصريفه للأمر وتدبيره ونحو ذلك من المعاني.

وهنا يجب أن تعرف أن كون الله تعالى في السماء -كما جاء بالحديث الشريف- ليس ككون الملائكة في السماء ؛ فكون الملائكة في السماء كون حاجي ، فهم ساكنون في السماء ؛ لأنهم محتاجون إلى السماء ، لكن الرب تبارك وتعالى ليس محتاجاً إليها ، بل إن السماء وغير السماء محتاج إلى الله تعالى ؛ فلا يظن ظانٌّ أن السماء تقل الله أو تظله أو تحيط به ، وعليه ؛ فالسماوات باعتبار الملائكة أمكنة مقلة للملائكة ، وما فوقهم منها مظل لهم ، أما بالنسبة لله فإنه تعالى مستوٍ على عرشه ، لا يقله شيء من خلقه.

هذا واعلم أن فضل **لا إله إلا الله** المعيَّن لا يُعرف إلا من جهة الوحي وقبل أن يوحى لكل نبي لا يعرف فضلها ، ولا بد في كل شريعة ذكر فضل هذه الكلمة ، ثم النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه بمعرفة هذا الفضل المعيَّن لم يكن يعلم هذا الفضل ، فالكلام على فضلها ، أما معرفة **لا إله إلا الله** : فلا يمكن أن يُبعث نبي ابتداء إلا ويعلمها لأن أول مهمته الدعوة

إلى هذه الكلمة وكيف يدعو وهو لا يعلمها ، أما فضلها ،كم لها من حسنة وكم تكفر من الذنوب قد يُعلّم بها وينبه على فضلها فيما بعد .

ولذلك في هذا الحديث موسى عليه الصلاة والسلام يعرف معنى **لا إله إلا الله** وهو أول من جاء بها إلى بني إسرائيل أما الفضل الخاص فنُبه عليه.

والخلاصة : أن من أتى بلا إله إلا الله مع شروطها وترك الشرك الأكبر والأصغر ولم يأتِ بذنوب وسيئات واستمر على هذه الحالة حتى مات فهذا الشخص هو أكمل الموحدين وبالتالي يدخل الجنة ويحرم على النار مطلقاً.

ومن أتى بلا إله إلا الله مخلصاً من الشرك الأكبر دون الأصغر ولكن عنده حسنات كثيرة ، فإذا رجحت حسناته على سيئاته فإنه سيدخل الجنة دون دخوله للنار ، أما إذا رجحت سيئاته على حسناته فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه بقدر سيئاته ثم بعد ذلك يدخل الجنة بفضل لا إله إلا الله ، وإن شاء عفى عنه وأدخله الجنة بدون دخوله للنار .

الخوف من الشرك

قال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء :116]

فالشرك لا يغفره الله أبداً إذا مات الإنسان عليه ، لأنه جناية على حق الله الخاص ، وهو التوحيد .

أما المعاصي ، كالزنى والسرقة ، فقد يكون للإنسان فيها حظ نفس بما نال من شهوة ، أما الشرك ، فهو اعتداء على حق الله تعالى ، وليس للإنسان فيه حظ نفس ، وليس شهوة يريد الإنسان أن ينال مراده ، ولكنه ظلم ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلمٌ عظيم** ﴾ [لقمان: 13].

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ** ﴾ [إبراهيم : 35-36]

فإبراهيم عليه السلام يخاف الشرك على نفسه ، وهو خليل الرحمن وإمام الحنفاء ، فما بالك بنا نحن إذن ؟.

وإذا كان إبراهيم عليه السلام خاف الشرك وهو إمام الموحدين ومن أبعد الناس عن الشرك فيجب علينا أن نخاف من الشرك أضعافاً مضاعفة ونبتعد عن الشرك أضعافاً مضاعفة .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار** " (رواه البخاري .)

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنّةَ, وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النّارَ** ». (مسلم)

قوله : " **لا يشرك به شيئاً** " أي لم يتخذ معه شريكاً في الإلهية ولا في الخلق ولا في العبادة .

قوله : "**دخل الجنة** "، وهذا الدخول لا ينافي أن يعذب بقدر الذنوب إن كانت عليه ذنوب ، لدلالة نصوص الوعيد على ذلك ، وهذا إذا لم يغفر الله له ، لأنه داخل تحت المشيئة.

قوله " **ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار** " أي ومن مات على الشرك الأكبر لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلد في النار .

فهذان الحديثان الشريفان يدلان على أن من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان أعبد الناس ، وهذه المسألة العظيمة التي لم يعرفها أكثر ممن يدعي الدين وهي : تكفير من أشرك الشرك الأكبر وحبوط عمله ولو كان من أزهد الناس وأعبدهم .

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: 108]

قوله :﴿ أَدْعُو إِلَى اللّهِ ﴾ فيدعو إلى الله لا إلى حزب أو تجمع أو تيار أو دولة أو جمعية أو أصول مبتدعة أو قبيلة أو جنسية،وإنما يدعو إلى الله متجرداً في ذلك.

قوله : ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ البصيرة : هي العلم واليقين وهو أن يدعو إلى الله عن علم لا عن جهل ، فتضمنت هذه الدعوة الإخلاص والعلم ، لأن أكثر ما يفسد الدعوة عدم الإخلاص ، أو عدم العلم ، وليس المقصود بالعلم في قوله

﴿ **عَلَى بَصِيرَةٍ** ﴾ العلم بالشرع فقط ، بل يشمل ، العلم بالشرع ، والعلم بحال المدعو ، والعلم بالسبيل الموصل إلى المقصود ، وهو الحكمة.

فيكون بصيراً بحكم الشرع ، وبصيراً بحال المدعو ، وبصيراً بالطريق الموصلة لتحقيق الدعوة .

قوله : ﴿ **أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ أي : أنا ومن اتبعني على بصيرة ، أي: في عبادتي ودعوتي . فأتباعه هم أهل البصيرة وهم الدعاة .

قوله : ﴿ **وَسُبْحَانَ اللّهِ** ﴾ أي : أن أكون أدعو على غير بصيرة **!**

وقوله : ﴿ **وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ فيها إبعاد المسلم عن المشركين ، لئلا يصير منهم ،ولو لم يشرك . لقوله تعالى :﴿ **وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ و لم يقل : " **وما أنا مشرك** "،لأنه إذا كان بينهم،ولو لم يكن مشركاً ،فهو في ظاهره منهم .

وهذه الآية تبين أصل من أصول وقواعد الدعوة وهى أن الدعوة يجب أن تكون بعيدة عن الشرك فلا يجوز ونحن ندعو إلى الله أن نتلبس بشيء من الشرك أو الكفر في طريق الدعوة ،كما يفعله البرلمانيون ، فليس الغاية تبرر الوسيلة ، فإذا كان الشرك قبيحاً ومسبة لله فكيف يكون طريقاً إلى الله وإلى الدعوة إليه ، وهذه فيها قاعدة من قواعد الدعوة تدل على أن الشرك ليس من وسائل الدعوة إلى الله.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له : « **إنّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا**

تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله (وفي رواية: **إلى أن يوحّدوا الله**)، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ. فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدّ على فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ, فَإِيّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّهِ حِجَابٌ** ».

(متفق عليه)

قوله : " **من أهل الكتاب** " (**من**) بيانية ، والمراد بالكتاب: التوراة والإنجيل ، فيكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى ، وهم أكثر أهل اليمن في ذلك الوقت ، وإن كان في اليمن مشركون ، لكن الأكثر اليهود النصارى ، ولهذا اعتمد الأكثر .

وأخبره النبي ﷺ بذلك ، لأمرين :

الأول : أن يكون بصيراً بأحوال من يدعو .

الثاني : أن يكون مستعداً لهم ، لأنهم أهل كتاب ، وعندهم علم .

والظاهر أنه يريد أن يبين أن أول ما يكون هي الشهادة ، وإذا كان كذلك ، يكون " **أول** " مرفوعاً على أنه اسم يكن ، أي: أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله .

قوله: "**شهادة** "، فالشهادة هنا العلم والنطق باللسان ، لأن الشاهد مخبر عن علم ، وهذا المقام لا يكفي فيه مجرد الإخبار ، بل لابد من علم وإخبار وقبول وإقرار وإذعان ، أي : انقياد .

فهذا يدل على أن التوحيد أول واجب على المكلف لهذا يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة .

إنَّ أول واجب هو إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه وهو أول ما دعت إليه الرسل . فقد علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يُؤمر به الخلق شهادة أن **لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله** فبذلك يصير الكافر مسلماً والعدو ولياً والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال .

ويدل الحديث أيضاً على أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرف معنى " **لا إله إلا الله** " أو يعرفها ولا يعمل بها ، إذ لو كانوا يعرفون لا إله إلا الله ويعملون بها ما احتاجوا إلى الدعوة إليها .كذلك فأن الإنسان قد يكون قارئاً عالماً وهو لا يعرف معنى " **لا إله إلا الله** " أو يعرفه ولا يعمل به ، حتى قد يوجد ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها .

ينبه الحديث أيضاً على أن التعليم يجب أن يكون بالتدريج ، فأول ما يبدأ به ، تعليم التوحيد والكفر بالطاغوت ، حتى إذا أتقن هذا الباب انتُقل إلى تعليم الأركان الأربعة وأولها تعليم الصلاة ثم الزكاة وهكذا ، ويكون التدرج بحسب الأهمية الشرعية .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر :« **لأعطين الرايةَ غداً رجلاً يُحِبّ اللهَ ورسوله ويُحبّه اللهُ ورسولهُ يَفتحُ اللهُ على يديهِ**». فباتَ الناسُ يَدوكون (أي : يخوضون) ليلَتَهم أيُّهم يُعطاها. فلما أصبحوا الناسُ غَدَوا على رسولِ الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها , فقال: «**أينَ عليّ بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يَشتكي عينَيهِ: فأرسلوا إليه .فأوتي به فبَصَقَ في عينَيه , ثُمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَأَ كأنْ لم يكنْ به وَجَع , فأعطاهُ الراية ,فقال: «**انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحَتهم, ثم ادُعهم إلى الإسلام, وَأَخْبِرْهُم بما يَجِبُ عليهم من حقّ اللّهِ فيه , فواللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بكَ رجُلاً واحداً خيرٌ لكَ مِن حُمْرُ النّعَم**».(متفق عليه)

قوله : " **انفذ على رسلك** " أي : مَهْلك ، مأخوذ من رسل الناقة ، أي : حليبها يحلب شيئاً فشيئاً ، والمعنى : امش هويناً هويناً، لأن المقام خطير ، لأنه يخشى من كمين ، واليهود خبثاء أهل غدر .

قوله : " **وأخبرهم بما يجب عليهم** "، أي : فلا تكفي الدعوة إلى الإسلام فقط ، بل يخبرهم بما يجب عليهم فيه حتى يقتنعوا به ويلتزموا ، لكن على الترتيب الذي في حديث بعث معاذ .

وقوله : " **لأن يهدي الله بك** "، و لم يقل : لأن تهدي ، لأن الذي يهدي هو الله . والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق والدلالة.

وحمر النعم : هي الإبل الحمراء ، وذكرها لأنها مرغوبة عند العرب ، وهي أحسن وأنفس ما يكون من الإبل عندهم .

تفله ﷺ في عيني علي رضي الله عنه علم من أعلام النبوة خاص به ﷺ. لأنه بصق في عينيه ، فبرأ كأن لم يكن به وجع .

معنى شهادة أن لا إله إلا الله

لقد شرحت معنى " **لا إله إلا الله** " بشكل مفصل سابقاً وهنا في هذا الفصل سوف أتناول هذا الموضوع على ضوء بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ليزداد الأمر وضوحاً .

قال تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً . أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾

(الإسراء 56-57) قوله : ﴿**يبتغون**﴾ : يطلبون . وقوله : ﴿**الوسيلة**﴾ أي : الشيء الذي يوصلهم إلى الله ، يعني : يطلبون ما يكون وسيلة إلى الله - سبحانه وتعالى - أيهم أقرب إلى الله، وكذلك أيضاً يرجون رحمته ويخافون عذابه .

يقول تعالى في هذه الآية الكريمة :﴿**قُل**﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير اللّه ﴿ **ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ** ﴾ من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم ، فإنهم ﴿ **لاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ** ﴾ أي بالكلية ، ﴿

وَلاَ تَحْوِيلاً ﴾ أي بأن يحولوه إلى غيركم ، فالذي يقدر على ذلك هو اللّه وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر .

قال ابن عباس رضي الله عنه :" كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة والمسيح وعزيراً ، وهم الذين يدعون " يعني الملائكة ، والمسيح وعزيراً.

وروى البخاري عن عبد اللّه بن مسعود في قوله: ﴿ **أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾ قال:" كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم."

يدل قول ابن مسعود هذا أن " **الوسيلة** " في الآية هي الإسلام .

وقوله تعالى : ﴿ **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** ﴾ يدل على أنه لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء ، فبالخوف ينكف عن المناهي ، وبالرجاء يكثر من الطاعات .

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ أي ينبغي أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عياذاً باللّه منه

إن هذه الآية الكريمة تقرر معنى التوحيد وأن دعاء غير الله شرك ينافي التوحيد ، وتبين أن التوحيد أن لا يُدعى إلا الله وحده .

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يبين لمن يدعون غير الله أن هؤلاء الذين تدعوهم هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، فكيف تدعوهم وهم محتاجون مفتقرون ؟! فهذا سفه في الحقيقة ، وهذا ينطبق على

كل من دعي وهو داع لله ، كعيسى بن مريم ، والملائكة ، والأولياء ، والصالحين ، وأما الشجر والحجر ، فلا يدخل في الآية .

فهؤلاء الذين زعمتم أنهم أولياء من دون الله لا يملكون كشف الضر ولا تحويله من مكان إلى مكان ، لأنهم هم بأنفسهم يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، وقد قال تعالى مبيناً حال هؤلاء المدعوين : ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ. إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر: 13،14].

إن التوحيد يتضمن البراءة من الشرك ، بحيث لا يدعو مع الله أحداً ، لا ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلاً ، وهؤلاء الذين يدعون الأنبياء والملائكة لم يتبرؤا من الشرك ، بل هم واقعون فيه ،ومن العجب أنهم يدعون من هم في حاجة إلى ما يقربهم إلى الله تعالى ، فهم غير مستغنين عن الله بأنفسهم ،فكيف يغنون غيرهم ؟!

فتبين أن معنى التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله هو ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين والإستشفاع بهم إلى الله في كشف الضر وتحويله وأنه لابد من مفارقة لدين المشركين .

الوسيلة في الآية : هي الطاعة والعمل الصالح .

وليس معنى الوسيلة في الآية كما يظنها المبتدعة أن تجعل لك واسطة أي أحد الصالحين الأموات يتوسط لك عند الله وهو وسيلتك في هذا ، وبعضهم

يقول أن معناها أن تدعو الله عند قبر صالح فيكون وسيلتك إلى الله ، وكل هذا انحراف وضلال .

واعلم أن دعاء المخلوق ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : جائز ، وهو أن تدعو مخلوقاً بأمر من الأمور التي يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة معلومة، فهذا ليس من دعاء العبادة، بل هو من الأمور الجائزة ، قال ﷺ : " **وإذا دعاك فأجبه** " [1]

الثاني : أن تدعو مخلوقاً مطلقاً ، سواء كان حياً أو ميتاً فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فهذا شرك أكبر لأنك جعلته نداً لله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، مثل : يا فلان ! اجعل ما في بطن امرأتي ذكراً .

الثالث : أن تدعو مخلوقاً ميتاً لا يجيب بالوسائل الحسية المعلومة ، فهذا شرك أكبر أيضاً لأنه لا يدعا من كانت هذه حاله حتى يعتقد أن له تصرفاً خفياً في الكون .

قال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (التوبة :31)

---

[1] **البخاري: كتاب الجنائز/باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم: كتاب السلام/ باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.**

روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن عدي بن حاتم رضي اللّه عنه : أنه لما بلغته دعوة رسول اللّه ﷺ فر إلى الشام ، وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم مَنَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها ، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول اللّه ﷺ ، فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيساً في قومه طيئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول اللّه ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ** ﴾ قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: " **بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم** " وقال رسول اللّه ﷺ : "**يا عدي ما تقول ؟ أيضرك أن يقال اللّه أكبر ؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من اللّه ؟ أيضرك أن يقال لا إله إلا اللّه ، فهل تعلم إلهاً غير اللّه ؟** " ثم دعاه إلى الإسلام ، فأسلم وشهد شهادة الحق ، قال: فلقد رأيت وجهه استبشر ، ثم قال : "**إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون** ". وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد اللّه بن عباس وغيرهما في تفسير هذه الآية . إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا .

وقال الربيع بن أنس قلت لأبي العالية " كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل قال كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشيء ، فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم ، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ."

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ أي الذي ما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ .

قوله : ﴿ لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه .

فظهر بهذا أن الآية دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله واتبعه فيما لم يأذن به الله فقد اتخذه رباً معبوداً .

ودلت هذه الآية أيضاً أن الطاعة في تحريم الحلال وتحليل الحرام هي عبادة لغير الله تعالى ولهذا فسرت العبادة بالطاعة وفسر الإله بالمعبود المطاع ، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك فقد عبده ، إذ معنى التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله يقتضي إفراد الله بالطاعة وإفراد الرسول بالمتابعة ، وهذا أعظم ما يبين التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله لأنها تقتضي نفي الشرك في الطاعة .

قال تعالى : **﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾** (البقرة : 165)

قوله: ﴿**أنداداً**﴾ : جمع ند ، وهو الشبيه والنظير ، ولهذا قال النبي صلى اللّه عليه وسلم لمن قال له ما شاء الله وشئت : " **أجعلتني لله نداً ؟! بل ما شاء الله وحده** " (النسائي وابن ماجة)

وقوله: ﴿ **يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾: هذا وجه المشابهة، أي: الندية في المحبة يحبوهم كحب الله.

أي : يجعلون محبة الأصنام مساوية لمحبة الله ، فيكون في قلوبهم محبة لله ومحبة للأصنام ، ويجعلون محبة الأصنام كمحبة الله ، فيكون المصدر مضافاً إلى مفعوله ، أي يحبون الأصنام كحبهم لله.

ذكر أهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أهم يحبون الله حباً عظيماً و لم يدخلهم في الإسلام ، فما بالك برجل يحب غير الله أكثر من محبته لله ؟! وما بالك برجل يحب غير الله ولا يحب الله ؟! فهذا أقبح وأعظم ، وهذا موجود في كثير من المنتسبين للإسلام اليوم ، فإنهم يحبون أولياءهم أكثر مما يحبون الله ، ولهذا لو قيل له : أحلف بالله ، حلف صادقاً أو كاذباً ، أما الولي ، فلا يحلف به إلا صادقاً.

وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾. أي : والذين آمنوا أشد حباً لله من هؤلاء لله ، لأن محبة المؤمنين خالصة ، ومحبة هؤلاء فيها شرك بين الله وبين أصنامهم .

والمحبة أنواع :

الأول : المحبة لله ، وهذه لا تنافي التوحيد ، بل هي من كماله، فأوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله.

والمحبة لله هي أن تحب هذا الشيء ، لأن الله يحبه ، سواء كان شخصاً أو عملاً ، وهذا من تمام التوحيد .

الثاني : المحبة الطبيعية التي لا يؤثرها المرء على محبة الله ، فهذه لا تنافي محبة الله ، كمحبة الزوجة ، والولد ، والمال ، ولهذا لما سئل النبي ﷺ : من أحب الناس إليك ؟ قال : " **عائشة** ". قيل : فمن الرجال ؟ قال : " **أبوها** ". (البخاري)

ومن ذلك محبة الطعام والشراب واللباس .

الثالث : المحبة مع الله التي تنافي محبة الله ، وهي أن تكون محبة غير الله كمحبة الله أو أكثر من محبة الله ، بحيث إذا تعارضت محبة الله ومحبة غيره قدم محبة غير الله ، وذلك إذا جعل هذه المحبة نداً لمحبة الله يقدمها على محبة الله أو يساويها بها .

اعلم أن معنى الشهادة إفراد الله بأصل الحب ، فالتوحيد هو إفراد الله بالمحبة .

والقاعدة أن من أحب شيئاً ففعل من أجله كفراً أو شركاً فقد اتخذه إلهاً فليس من أهل لا إله إلا الله و لم يعرف التوحيد و لم يعمل به هذه هي القاعدة .

قال صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ, وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ, حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ عز وجل** ».رواه مسلم

وهذا الحديث من أعظم ما يبين معنى (**لا إله إلا الله**) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار

بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه .

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

ولبس الحلقة ونحوها إن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله ، فهو مشرك شركاً أكبر في توحيد الربوبية ، لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً غيره .

وإن اعتقد أنها سبب ، ولكنه ليس مؤثراً بنفسه ، فهو مشرك شركاً أصغر لأنه لما اعتقد أن ما ليس بسبب سبباً فقد شارك الله تعالى في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب ، والله تعالى لم يجعله سبباً.

قال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ (الزمر :38)

قول تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم** ﴾ أي: أخبروني .

وقوله : ﴿ **تَدْعُونَ** ﴾ ، المراد بالدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة ، فهم يدعون هذه الأصنام دعاء عبادة ، فيتعبدون لها بالنذر والذبح والركوع والسجود ، ويدعونها دعاء مسألة لدفع الضرر أو جلب النفع .

فالله سبحانه إذا أراد بعبده ضراً لا تستطيع الأصنام أن تكشفه، وإن أراده برحمة لا تستطيع أن تمسك الرحمة عنه ، فهي لا تكشف الضرر ، ولا تمنع النفع ، فلماذا تعبد ؟

وقوله : ﴿ **كَاشِفَاتُ** ﴾، يشمل الدفع والرفع ، فهي لا تكشف الضر بدفعه وإبعاده ، ولا تكشفه برفعه وإزالته .

قوله: ﴿ **عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ أي : أن المتوكل حقيقة هو المتوكل على الله ، أما الذي يتوكل على الأصنام والأولياء والأضرحة، فليس بمتوكل على الله تعالى .

لقد كان المشركون يقرون حين يسألون أن الله هو خالق السماوات الأرض . فإذا كان الله هو خالق السماوات والأرض ، فهل يملك أحد أو شيء في هذه السماوات والأرض أن يكشف ضراً أراد الله أن يصيب به عبداً من عباده ؟ أم يملك أحد أو شيء في هذه السماوات والأرض أن يحبس رحمة أراد الله أن تنال عبداً من عباده ؟ والجواب القاطع : أن لا ..

فإذا تقرر هذا فما الذي يخشاه داعية الله ؟ ما الذي يخشاه وما الذي يرجوه ؟ وليس أحد بكاشف الضر عنه ؟ وليس أحد بمانع الرحمة عنه ؟ وما الذي يقلقه أو يخيفه أو يصده عن طريقه ؟

إنه متى استقرت هذه الحقيقة في قلب مؤمن فقد انتهى الأمر بالنسبة إليه وقد أنقطع الجدل ، وانقطع الخوف ، وانقطع الأمل ، إلا في جناب الله سبحانه وتعالى . فهو كاف عبده وعليه يتوكل وحده .

فالضار النافع هو الله فمن استعان بنبي أو مَلَك أو بولي ميت لجلب منفعة أو لدفع ضرر أو استعان بأي مخلوق لجلب منفعة أو لدفع ضرر لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك مع الله الشرك الأكبر .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ ﷺ أَنّ النّبيّ ﷺ رَأَىَ رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ . فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟**» قَالَ: هَذِهِ مِنَ الْوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «**انْزِعْهَا, فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً، فإنَّكَ لوْ مِتَّ وهي عليْك، ما أَفْلَحتَ أبداً**». "[1]

" **من الواهنة** " أي : لبستها بسبب الواهنة، وهي مرض يوهن الإنسان ويضعفه، قد يكون في الجسم كله وقد يكون في بعض الأعضاء كوجع في الذراع أو العضد .

---

[1] مسند الإمام أحمد (445/4) – واللفظ له ــ، وابن ماجة (كتاب الطب، باب تعليق التمائم) وليس فيه: "فإنك لو مت..." إلخ. وفي "الزوائد": "إسناده حسن ، لأن مبارك هذا هو ابن فضالة".ورواه ابن حبان أيضاً (1410) بلفظ "إنك إن مت وهي عليك وكلت إليها".ومن طريق أبي عامر الخراز عن الحسن عن عمران بنحوه ، رواه ابن حبان (1411) والحاكم (216/4)، وصححه ووافقه الذهبي

" **إنها لا تزيدك إلا وهناً** " أي : وهناً في النفس لا في الجسم ، وربما تزيده وهناً في الجسم ، أما وهن النفس ، فلأن الإنسان إذا تعلقت نفسه بهذه الأمور ضعفت واعتمدت عليها ونسيت الاعتماد على الله عز وجل والانفعال النفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان ، فأحياناً يتوهم الصحيح أنه مريض فيمرض ، وأحياناً يتناسى الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحاً، فانفعال النفس بالشيء له أثر بالغ ، ولهذا تجد بعض الذين يصابون بالأمراض النفسية يكون أصل إصابتهم ضعف النفس من أول الأمر ، حتى يظن الإنسان أنه مريض بكذا أو بكذا ، فيزداد عليه الوهم حتى يصبح الموهوم حقيقة.فهذا الذي لبس الحلقة من الواهنة لا تزيده إلى وهناً، لأنه سوف يعتقد أنها ما دامت عليه فهو سالم ، فإذا نزعها عاد إليه الوهن ، وهذا بلا شك ضعف في النفس .

"**ما أفلحت** " : الفلاح هو النجاة من المرهوب وحصول المطلوب .

ولبس الحلقة ونحوها إن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله ، فهو مشرك شركاً أكبر في توحيد الربوبية . وإن اعتقد أنها سبب ، ولكنه ليس مؤثراً بنفسه ، فهو مشرك شركاً أصغر . لقوله : " **لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً** " ، وانتفاء الفلاح دليل على الخيبة والخسران .

رأى حذيفة رضي الله عنه رجلاً في يده خيط من الحمى ، فقطعه، وتلا قوله: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ (يوسف: 106) "

(رواه أبي حاتم بسند صحيح)

قوله : "**من الحمى** " ، "من" هنا للسببية، أي: في يده خيط لبسه من أجل الحمى لتبرد عليه ، أو يشفى منها.

قوله: " **فقطعه** " أي: قطع الخيط ، وفعله هذا من تغيير المنكر باليد، وهذا يدل على غيرة السلف الصالح وقوتهم في تغيير المنكر باليد وغيرها.

وقوله : ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ ، أي وتلا حذيفة هذه الآية. والمراد بها المشركون الذين يؤمنون بتوحيد الربوبية ويكفرون بتوحيد الألوهية.

وقوله: ﴿**وهم مشركون**﴾ أي: وهم متلبسون بالشرك ، وكلام حذيفة في رجل مسلم لبس خيطاً لتبريد الحمى أو الشفاء منها. وفيه دليل على أن الإنسان قد يجتمع فيه إيمان وشرك ، ولكن ليس الشرك الأكبر ، لأن الشرك الأكبر لا يجتمع مع الإيمان ، ولكن المراد هنا الشرك الأصغر ، وهذا أمر معلوم .

وفيه دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات الدالة على الشرك الأكبر على الشرك الأصغر .

وعن عقبة بن عامر مرفوعاً : "**من تعلق تميمة ، فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة ، فلا ودع الله له** " (أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي)

قوله : " **من تعلق تميمة** " : أي علق بها قلبه واعتمد عليها في جلب النفع ودفع الضرر ، **والتميمة** : شيء يعلق على الأولاد من خرز أو غيره يتقون به العين.

" **فلا أتم الله له** " أي من تعلق تميمة، فإن الله لا يتم له، فيكون موكولاً إلى هذه التميمة ، ومن وكل إلى مخلوق ، فقد خذل .

هذا الحديث يدل على جواز الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له .

وفي رواية : « **من تعلَّق تميمةً** ، **فقد أشْرَك** » (رواه أحمد والحاكم)

قوله : " **فقد أشرك** " ، هذا الشرك يكون أكبر إن اعتقد أنها ترفع أو تدفع بذاتها دون أمر الله ، وإلا فهو شرك أصغر .

ما جاء في الرقى والتمائم

عن أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيّ ﷺ ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ. فَأَرْسَلَ رَسُولاً: «**أَنْ لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ وَتَرٍ , أَوْ قِلاَدَةٌ , إِلاّ قُطِعَتْ** ». (متفق عليه)

القلائد كانت تتخذ من الأوتار ، ويعتقدون أن ذلك يدفع العين عن البعير ، وهذا اعتقاد فاسد ، لأنه تعلق بما ليس بسبب ، وقد سبق أن التعلق بما ليس بسبب شرعي أو حسي شرك ، لأنه بتعلقه أثبت للأشياء سبباً لم يثبته الله لا بشرعه ولا بقدره ، ولهذا أمر النبي ﷺ أن نقطع هذه القلائد .

فلا يجوز أن تعلق في أعناق الإبل أشياء تجعل سبباً في جلب منفعة أو دفع مضرة ، وهي ليس كذلك لا شرعاً ولا قدراً ، لأنه شرك ، ولا يلزم أن تكون القلادة في الرقبة ، بل لو جعلت في اليد أو الرجل ، فلها حكم الرقبة ، لأن العلة هي هذه القلادة ،وليس مكان وضعها، فالمكان لا يؤثر .

أما إذا كانت هذه القلادة من غير وتر ، وإنما تستعمل للقيادة كالزمام ، فهذا لا بأس به لعدم الاعتقاد الفاسد ، وكان الناس يعملون ذلك كثيراً من الصوف أو غيره .

وعن ابن مسعود ﷺ ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ :

« إنَّ الرُّقَى وَالتَّمائمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْك »[1]

قوله : "**إن الرقى** "، جمع رقية، وهذه ليست على عمومها، بل هي عام أريد به خاص ، وهو الرقي بغير ما ورد به الشرع ، أما ما ورد به الشرع ، فليست من الشرك ،قال رسول الله ﷺ في الفاتحة : "**وما يدريك أنها رقية** " (متفق عليه)

المراد بالرقى في الحديث ما كان فيه شرك ، لأن كلام النبي ﷺ لا يناقض بعضه بعضاً ، فالرقى المشروعة التي ورد بها الشرع جائزة .

وكذا الرقى المباحة التي يرقى بها الإنسان المريض بدعاء من عنده ليس فيه شرك جائز أيضاً .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " **أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أسترقي من العين.**" متفق عليه

شروط جواز الرقية :

الأول :أن لا يعتقد أنها تنفع بذاتها دون الله ، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله ، فهو شرك أكبر ، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

---

[1] أحمد (381/1) وحسنه احمد شاكر ، وأبو داود (212/5)، والحاكم في (418/4) – وقال: "صحيح الإسناد على شرط الشيخين"، وأقره الذهبي .

الثاني : أن لا تكون مما يخالف الشرع ، كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله ، أو استغاثة بالجن ، وما أشبه ذلك ، فإنها محرمة ، بل شرك .

الثالث : أن تكون مفهومة معلومة ، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة ، فإنها لا تجوز .

قوله : " **التمائم** " وهي : شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين ، وهي من الشرك ، لأن الشارع لم يجعلها سبباً تتقى به العين .

أما إذا كان الإنسان يلبس أبناءه ملابس رثة وبالية خوفاً من العين ، فلا بأس به ، لأنه لم يفعل شيئاً ، وإنما ترك شيئاً ، وهو التحسين والتجميل ، وقد ذكر ابن القيم في "زاد المعاد" أن عثمان رضي الله عنه رأى صبياً مليحاً ، فقال : دسموا نونته ، والنونة: هي التي تخرج في الوجه عندما يضحك الصبي كالنقوة ، ومعنى دسموا ، أي : سودوا .

قوله: " **التولة** " ، شيء يعلقونه على الزوج ، يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها والزوج إلى امرأته ، وهذا شرك ، لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدري للمحب .

ومثل ذلك الدبلة ، والدبلة: خاتم يشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج ، وإذا ألقاه الزوج ، قالت المرأة : إنه لا يحبها ، فهم يعتقدون فيه النفع والضرر ، ويقولون : إنه ما دام في يد الزوج ، فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة ، والعكس بالعكس ، فإذا وجدت هذه النية ، فإنه من الشرك الأصغر ، وإن لم توجد هذه النية - وهي بعيدة ألا تصحبها ــ ، ففيه تشبه بالنصارى ،

فإنها مأخوذة منهم .وإن كانت من الذهب ، فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث ، وهو لبس الذهب ، فهي إما من الشرك ، أو مضاهاة النصارى ، أو تحريم النوع إن كانت للرجال ، فإن خلت من ذلك ،فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم.

وقوله : "**شرك** "، هل هي شرك أصغر أو أكبر ؟

نقول : بحسب ما يريد الإنسان منها ، إن اتخذها معتقداً أن المسبب للمحبة هو الله ، فهي شرك أصغر ، وإن اعتقد أنها تفعل بنفسها ، فهي شرك أكبر .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : " **من تعلق شيئاً، وكل إليه** "

(رواه أبو داود وأحمد والترمذي

)

قوله : "**من تعلق** "، أي: اعتمد عليه وجعله همه ومبلغ علمه، وصار يعلق رجاءه به وزوال خوفه به .

قوله : " **شيئاً** " نكرة في سياق الشرط ، فتعم جميع الأشياء .

قوله : "**وكل إليه** "، أي: أسند إليه ، وفوض .

أقسام التعلق بغير الله :

الأول : ما ينافي التوحيد من أصله ،وهو أن يتعلق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير ، ويعتمد عليه اعتماداً معرضاً عن الله ، مثل تعلق عباد القبور

بمن فيها عند حلول المصائب ، ولهذا إذا مستهم الضراء الشديدة يقولون : يا فلان ! أنقذنا ، فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة.

الثاني : ما ينافي كمال التوحيد ، وهو أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبب ، وهو الله - عز وجل - ، وعدم صرف قلبه إليه ، فهذا نوع من الشرك ، ولا نقول شرك أكبر ، وإنما هو شرك أصغر ، لأن هذا السبب جعله الله سبباً .

الثالث : أن يتعلق بالسبب تعلقاً مجرداً لكونه سبباً فقط ، مع اعتماده الأصلي على الله ، فيعتقد أن هذا السبب من الله ، وأن الله لو شاء لأبطل أثره ، ولو شاء لأبقاه ، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله عز وجل ، فهذا لا ينافي التوحيد لا كمالاً ولا أصلاً ، وعلى هذا لا إثم فيه.

فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقاً كاملاً ، مع الغفلة عن المسبب ، فهو قد وقع في نوع من الشرك ، أما إذا اعتقد أن المرتب سبب ، والمسبب هو الله - سبحانه وتعالى - ، وجعل الاعتماد على الله ، وهو يشعر أن المرتب سبب ، فهذا لا ينافي التوكل .

وقد كان الرسول ﷺ يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبب ، وهو الله - عز وجل – .

وجاء في الحديث : **"من تَعَلَّق "** و لم يقل : من عَلَّق ، لأن المتعلق بالشيء يتعلق به بقلبه وبنفسه ، بحيث ينزل خوفه ورجاءه وأمله به ، وليس كذلك من علق .

أما إذا كان المُعَلَّق من القرآن أو الأدعية المباحة والأذكار الواردة، فهذه المسألة اختلف فيها السلف ، فمنهم من رخص في ذلك لعموم قوله: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: 82]، و لم يذكر الوسيلة التي نتوصل بها إلى الاستشفاء بهذا القرآن ، فدل على أن كل وسيلة يتوصل بها إلى ذلك فهي جائزة ، كما لو كان القرآن دواءاً حسياً.

ومنهم من منع ذلك وقال:لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء به، لأن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة ، وهي القراءة به ، بمعنى أنك تقرأ على المريض به ، فلا نتجاوزها ، فلو جعلنا الاستشفاء بالقرآن على صفة لم ترد ، فمعنى ذلك أننا فعلنا سبباً ليس مشروعاً ، ومن الذين منعوا ابن مسعود رضي الله عنه .

وعن رويفع رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ :" **يا رويفع ! لعل الحياة ستطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته ، أو تقلد وتراً ، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمداً بريء منه** " (أحمد وأبو داود)

قوله : "**من عقد لحيته** " ، اللحية عند العرب كانت لا تقص ولا تحلق ، كما أن ذلك هو السنة ، لكنهم كانوا يعقدون لحاهم لأسباب :

منها : الافتخار والعظمة ، فتجد أحدهم يعقد أطرافها ، أو يعقدها من الوسط عقدة واحدة ليعلم أنه رجل عظيم ، وأنه سيد في قومه .

الثاني : الخوف من العين ، لأنها إذا كانت حسنة وجميلة ثم عقدت أصبحت قبيحة ، فمن عقدها لذلك ، فإن الرسول ﷺ بريء منه.

قوله : " **أو تقلد وتراً** "، الوتر : سلك من العصب يؤخذ من الشاة، وتتخذ للقوس وتراً ، ويستعملونها في أعناق إبلهم أو خيلهم ، أو في أعناقهم ، يزعمون أنه يمنع العين ، وهذا من الشرك .

قوله : " **أو استنجى برجيع دابة** " . الاستنجاء : مأخوذ من النجو، وهو إزالة أثر الخارج من السبيلين ، لأن الإنسان الذي يتمسح بعد الخلاء يزيل أثره . ورجيع الدابة : هو روثها .

قوله : " **أو عظم** ". العظم معروف وإنما تبرأ النبي ﷺ ممن استنجى بهما، لأن الروث علف بهائم الجن والعظم طعامهم .

وكل ذنب قرن بالبراءة من فاعلة ، فهو من كبائر الذنوب ، كما هو معروف عند أهل العلم .

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : "**من قطع تميمة من إنسان ، كان كعدل رقبة** ". (رواء وكيع ،مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الطب)

ووجه المشابهة بين قطع التميمة وعتق الرقبة : أنه إذا قطع التميمة من إنسان ، فقد أنقذه من رق الشرك ، فهو كمن أعتقه ، بل أبلغ .

فهو من باب القياس ، فمن أنقذ نفساً من الشرك ، فهو كمن أنقذها من الرق لأنه أنقذه من رق الشيطان والهوى .

من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾

(النجم :19-20)

﴿اللَّاتَ ﴾ صخرة بيضاء منقوشة ، عليها بيت بالطائف ، له أستار وسدنة ، وهي لأهل الطائف ومن حولهم من العرب . يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش .

عن ابن عباس رضي اللّه عنه قال :" كان اللات رجلاً يبيع السويق والسمن عند صخرة ويصبه عليها، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظاماً لصاحب السويق ." (أخرجه البخاري)

فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

﴿الْعُزَّى﴾ ، مؤنث أعز ، مشتق من اسم الله العزيز وهو صنم تعبده قريش وبنو كنانة . وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف ، وكانت قريش تعظمها كما قال أبو سفيان يوم أُحُد:" لنا العزى ولا عزى

لكم " ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: **"قولوا اللّه مولانا ولا مولى لكم "**

قال ابن اسحاق: كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها ، كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب تطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها ، فكانت لقريش ولبني كنانة (العزى) بنخلة ، وكان سدنتها وحجابها (بني شيبان) من سليم حلفاء بني هاشم .

قال ابن هشام : وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما أفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال: **"ايت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى "** فأتاها فعضدها فلما جاء إليه قال: **"هل رأيت شيئاً "** قال: لا. قال: **" فأعضد الثانية "** فأتاها فعضدها، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **"هل رأيت شيئا "** قال: لا. قال: **"فاعضد الثالثة"** فأتاها فإذا هو بحبشية نافشة شعرها،واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها، وخلفها دبية السلمى وكان سادنها فقال:

يا عز كفرانك لا سبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حممة ، ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: **" تلك العزى ولن تعبد أبدا "**.

المقصود أن العزى اسم لشجرة كانت في ذلك الموضع ، وفي الحقيقة تعلق الناس كان بتلك الشجرة وبالمرأة التي كانت تخدم ذلك الشرك، فلو قُطعت

الأشجار وبقيت المرأة فإن المرأة ستغري الناس مرة أخرى بما تذكره لهم أو ما تحكيه لهم أو ما تجيب به مطلبهم عن طريق الجن ، فيكون الشرك ما انقطع ، ولهذا قال النبي ﷺ «**تلك العُزَّى**». يعني في الحقيقة هي المرأة التي تغري الناس بذلك وإلاّ فهي شجرة .

﴿**مَنَاةَ** ﴾ قيل: مشتقة من المنان ، وقيل: من منى ، لكثرة ما يمنى عنده من الدماء بمعنى يراق ، ومنه سميت منى ، لكثرة ما يراق فيها من الدماء .

وكان هذا الصنم بين مكة والمدينة لهذيل وخزاعة ، وكان الأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة ، وفي عام الفتح بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه فهدمها .

قوله: ﴿ **الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى** ﴾ ، إشارة إلى أن التي تعظمونها، وتذبحون عندها، وتكثر إراقة الدماء حولها : أنها أخرى بمعنى متأخرة ، أي: ذميمة حقيرة ، مأخوذة من قولهم : فلا أخر ، أي : ذميم ، حقير ، متأخر .

فالعرب كانوا يعبدون كثير من الأصنام وإنما ذكرت هذه الأصنام الثلاثة لأنها اشهر الأصنام وأعظمها عند العرب .

عن أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سِدْرَة يعكفون عندها ويَنُطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسولَ الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السنن!**

قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: 138]. **لَتَرْكَبُنّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »**

(أحمد والترمذي وقال: "حسن صحيح")

قوله "**ونحن حدثاء عهد بكفر** " يدل أن الذين طلبوا كانوا حدثاء عهد بالكفر ، وطلبوا و لم يفعلوا ، وقد نص العلماء على أنهم طلبوا مجرد المشابهة في أن تكون لهم شجرة ينوطون بها السلاح يستمدون بها وليس منها النصر بسبب ما ينزل من البركة عليها من قبل الله ﷻ . ولذلك سألوا النبي ﷺ ذلك فقالوا : " **اجعل لنا ذات أنواط** " فهم لم يدَّعوا فيها هذا من قبل نفوسهم ولكن أرادوا أن يكون ذلك من الله عن طريق نبيه ومصطفاه ﷺ وكما قلت من قبل : يستمدون بها النصر وليس منها كما في الحديث الصحيح (**مُطِرْنَا بنوء كذا**) أي : بسبب النجم لا به ، لأن القول مُطِرنا بسبب النجم فهذا يكون ابتداع وشرك أصغر ومن قال : إن النجم هو الذي أنزل المطر فهذا شرك أكبر بالله في ربوبيته . فهم طلبوا النصر بها ، ولكن المحذور الذي وقعوا فيه هو مشابهتهم للمشركين فقطع النبي ﷺ مادة المشابهة من جذرها ، وقال: " **قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)** "

ومن المعلوم أن المشبه يشبه المشبه به في وجه أو في بعض الأوجه دون بقيتها فأنه لا يماثله ويشابهه تماماً في جميع الوجوه وإلا كان فرداً من جنسه وهذا كقول النبي ﷺ : " **مدمن الخمر كعابد وثن** " (ابن حاجة) وقوله صلى الله عليه وسلم :" **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته** " (رواه البخاري) . ومن المعلوم هنا أن التشبيه في الرؤية والوضوح لا في الشكل والاستدارة (والعياذ بالله من ذلك) وكذلك هنا أن بني إسرائيل طلبوا مشابهة المشركين ولكن في الشرك الأكبر وأنتم طلبتم مشابهة المشركين إلا أنه في الشرك الأصغر ، أو أن طلبهم هذا قد يؤول إلى الشرك الأكبر مع طول الزمان لأن البدع بريد الشرك الأكبر ، فأول شرك وقع على وجه الأرض كان بدايته تصوير الأصنام على صور الصالحين ، ثم لما تنسخ العلم عبدت ، فكان تصوير الأصنام ذريعة إلى الشرك فيما بعد مع أن مجرد الوقوف عليها ليس بشرك ، وكما حرم بناء المساجد على القبور أيضاً لهذا المعنى :لأنها تؤول بأصحابها إلى الشرك الأكبر .

فإن قيل فإن كان سؤالهم مجرد المشابهة فلم قال ﷺ : " **قلتم كما قال بنو إسرائيل** " ؟

الجواب :- هذا من باب ما يؤول إليه الأمر ومن باب التغليظ كما غلظ النبي ﷺ على من قال له " **ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني لله نداً** ".

قال الشاطبي :-" (في معرض اتباع الأمم السابقة خاصة أهل الكتاب في بدعهم) قال فقوله ﷺ : **"حتى تأخذ أمتي بما أخذ القرون من قبلها "** يدل على أنها تأخذ بمثل ما أخذوا به إلا أنه لا يتعين في الاتباع لهم أعيان بدعهم ، بل قد تتبعها في أعيانها وتتبعها في أشباهها ، فالذي يدل على الأول قوله : " **لتتبعن سنن من كان قبلكم** " الحديث فإنه قال فيه :- " **حتى لو دخلوا في جحر ضب خرب لاتبعتموهم** ".والذي يدل على الثاني قوله :" فقلنا :يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط،فقال عليه السلام : **هذا كما قالت بنو إسرائيل : اجعل لنا إلهاً** " الحديث.

فإن اتخاذ ذات أنواط يشبه اتخاذ الآلهة من دون الله لا أنه هو بنفسه ، فلذلك لا يلزم الاعتبار بالمنصوص عليه ما لم ينص عليه مثله من كل وجه والله أعلم ." اهـ (الاعتصام ج2 ص 245-246)

قلت :- فهذا النص من الإمام الأصولي يدل على أن : القوم لم يطلبوا الشرك الأكبر بل مجرد المشابهة وأنه يشبه طلب بني إسرائيل لا أنه نفسه ، وأنه لا يلزم التشابه بينهما من كل وجه فلذلك لا يلزم الاعتبار بالمنصوص عليه ، ما لم ينص عليه من كل وجه .

قوله: "يعكفون عندها"، أي: يقيمون عليها، والعكوف: ملازمة الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾ [البقرة: 187].

قوله : "ينوطون " ، أي: يعلقون بها أسلحتهم تبركاً.

قوله: "يقال: لها ذات أنواط "، أي: أنها تلقب بهذا اللقب لأنه تناط فيها الأسلحة ، وتعلق عليها رجاء بركتها.وهو أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط كما أن للمشركين ذات أنواط ، وهم إنما أرادوا أن يتبركوا بهذه الشجرة لا أن يعبدوها، فدل ذلك على أن التبرك بالأشجار ممنوع ، وأن هذا من سنن الضالين السابقين من الأمم.

التبرك : تفعُّلٌ من البركة، وهو طلب البركة، والبركة مأخوذة من حيث الاشتقاق من مادة بُرُوك أو من كلمة بِرْكة. أما البروك فبروك البعير يدلّ على ملازمته وثبوته في ذلك المكان.والبِرْكة وهي مجمع الماء يدل على كثرة الماء في هذا الموضع وعلى لزومه له وعلى ثباته في هذا الموضع .

فيكون إذاً معنى **البركة** كثرة الشيء الذي فيه الخير وثباته ولزومه.

فالتبرك : هو طلب الخير الكثير وطلب ثباته وطلب لزومه , تبرَّك يعني طلب البركة، والنصوص في القرآن والسنة دَلَّت على أنَّ البركة من الله جل وعلا ، وأن الخلق لا أحد يبارك أحداً وإنما هو جل وعلا يبارك ، قال سبحانه ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**﴾[الفرقان:1]؛ يعني عَظُم خير من نزل الفرقان على عبده وكثر ودام وثبت ، وقال : ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾[الملك:1] وقال سبحانه ﴿**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ**﴾[الصافات:113]، وقال ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا**﴾[مريم:131]، فالذي يُبارك هو الله جل وعلا ، فلا يجوز للمخلوق أن يقول باركتُ على الشيء أو أبارك

فعلكم ؛ لأن لفظ البركة ومعنى البركة ، إنما من الله ؛ لأن الخير كثرته وثباته ولزومه إنما هو من الذي بيده الأمر .

والنصوص في الكتاب والسنة دلت على أن البركة التي أعطاها الله جل وعلا بالأشياء :

- إمَّا تكون الأشياء هذه أمكنة أو أزمنة .

- وإمَّا أن تكون تلك الأشياء من بني آدم ؛ يعني مخلوقات آدمية.

أمَّا الأمكنة والأزمنة : فظاهر أن الله جل وعلا حين بارك بعض الأماكن كبيت الله الحرام ، وكما حول بيت المقدس ﴿**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾[الإسراء:1]، بالأرض المباركة ونحو ذلك , أنَّ معنى أنها المباركة أن يكون فيها الخير الكثير اللازم الدائم لها ، ليكون ذلك أشجع في أن يلازمها أهلُها الذين دُعوا إليها.

وهذا لا يعني أن يُتمسح بأرضها ، أو أن يُتمسح بحيطانها ، فهذه بركة لازمة لا تنتقل بالذات ؛ فبركة الأماكن أو بركة الأرض ونحو ذلك هي بركة لا تنتقل بالذات ؛ يعني إذا لمست الأرض أو دفنت فيها أو تبركت بها فإن البركة لا تنتقل بالذات ، وإنما الأرض المباركة من جهة المعنى .

كذلك بيت الله الحرام هو مُبَارَك لا من جهة ذاته ؛ يعني أن يُتمسح به فتنتقل البركة ، وإنما هو مبارك من جهة ذاته من جهة المعنى ؛ يعني اجتمعت فيه البركة التي جعلها الله في هذه البِنية من جهة تعلق القلوب بها وكثرة الخير الذي يكون لمن أرادها وأتاها وطاف بها وتعبَّد عندها.

حتى الحجر الأسود هو حجر مُبَارَك ، ولكن بركته لأجل العبادة ؛ يعني أنه من استلمه تَعبُّداً مطيعاً للنبي ﷺ في استلامه له وفي تقبيله فإنه يناله به بركة الإتباع ، وقد قال عمر رضي الله عنه لّما قَبَّل الحجر :" **إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.**"

فقوله " **لا تنفع ولا تضر** " يعني لا تنقل لأحد شيء من النفع ولا تدفع عن أحد شيء من الضر– هذا من جهة الأمكنة.

وأمَّا الأزمنة : فمعنى كون الزمان مباركاً مثل شهر رمضان أو بعض أيام الله الفاضلة ؛ يعني أن من تعبد فيها ورَامَ الخير فيها ، فإنه يناله من كثرة الثواب ما لا يناله في زمان آخر .

والقسم الثاني وهو البركة المنوطة ببني آدم : فالبركة التي جعلها الله جل وعلا في الناس إنما هي البركة فيمن آمن ؛ لأن البركة من الله جل وعلا ، وجعل بركته للمؤمنين به ، وسادة المؤمنين هم الأنبياء والرسل ، والأنبياء والرسل بركتهم بركة ذاتية ؛ يعني أن أجسامهم مباركة ، فالله جل وعلا جعل جسد آدم مباركاً، وجعل جسد إبراهيم عليه السلام مباركاً، وجعل جسد نوح مباركاً، وهكذا جسد عيسى وموسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، جعل أجسادهم مباركة ؛ بمعنى أنه لو تبرك أحد من أقوامهم بأجسادهم إما بالتمسح بها أو بأخذ عَرَقها أو بأخذ بعض الشعر فهذا جائز ؛ لأن الله جعل أجسادهم مباركة.

وهكذا النبي محمد بن عبد الله ﷺ جسده أيضاً جسد مبارك ، ولهذا جاءت الأدلة في السنة أن الصحابة كانوا يتبركون بعرقه , يتبركون بشعره، وإذا توضأ اقتتلوا على وَضوئه ، وهكذا في أشياء شتى . ذلك لأن أجساد الأنبياء فيها بركة ذاتية يمكن معها نقل أثر هذه البركة أو نقل البركة والفضل والخير من أجسادهم إلى غيرهم . وهذا مخصوص بالأنبياء والرسل ، أما غيرهم فلم يرد دليل على أنَّ ثَمَّ مِن أصحاب الأنبياءِ مَن بركتهم بركة ذاتية ، حتى أفضل هذه الأمة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقد جاء بالتواتر القطعي أنَّ الصحابة والتابعين والمخضرمين لم يكونوا يتبركون بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي بجنس تبركهم بالنبي ﷺ بالتبرك بالشعر أو بالوضوء أو بالنُّخامة أو بالعَرَق أو بالملابس ونحو ذلك. فعلمنا من ذلك التواتر القطعي أنَّ بركة أبي بكر وعمر إنما هي بركة عمل ، ليست بركة ذات تنتقل كما هي بركة النبي ﷺ .ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « **إنَّ منَ الشجَر لَمَا بَرَكَتُه كبركةِ المسلم** »، فدلَّ على أن في كل مسلم بركة ، وأيضاً فقد روى البخاري قال أحد الصحابة : "**ما هذه بأَوَّلِ برَكَتِكمْ يا آلَ أبي بكرٍ** ." هذه البركة التي أُضيفت لكل مسلم وأضيفت لآل أبي بكر بركة عمل ، فهذه البركة راجعة إلى الإيمان وإلى العلم والدعوة والعمل .

وخلاصة القول : كل مسلم فيه بركة،هذه البركة ليست بركة ذات ، وإنما هي بركة عمل ، بركة ما معه من الإسلام والإيمان وما في قلبه من الإيقان

والتعظيم لله جل وعلا والإجلال له ، والإتباع لرسوله ﷺ .هذه البركة لا تنتقل ، وبالتالي يكون التبرك بأهل الصلاح هو الإقتداء بهم في صلاحهم ؛ والتبرك بأهل العلم هو الأخذ من علمهم والاستفادة من علومهم ، وهكذا ، ولا يجوز أن يُتبرك بهم بمعنى يتمسح بهم أو يُتبرك بريقهم ؛ لأن أهل الحق من هذه الأمة لم يفعلوا ذلك مع خير هذه الأمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وهذا أمر مقطوع به.

هذا وتَبرُّك المشركين هو أنهم كانوا يرجون كثرة الخير ودوام الخير ولزوم الخير وثبات الخير بالتوجه إلى الآلــــهة.

واعلم أن التبرك بالشجر أو الحجر أو بالقبر أو ببقاع مختلفة قد يكون شركاً أكبر وقد يكون شركاً أصغر :

يكون **شركاً أكبر** : إذا طلب بركتها معتقداً أن هذا الشجر أو الحجر أو القبر إذا تمسح به أو تمرَّغ عليه أو التصق به يتوسط له عند الله ، فإذا اعتقد فيه أنه وسيلة إلى الله ، فهذا اتخاذ إله مع الله جل وعلا وشرك أكبر ، وهذا هو الذي كان يزعمه أهل الجاهلية للأحجار والأشجار التي يعبدونها، وبالقبور التي يتبركون بها، يعتقدون أنهم إذا عكفوا عندها وتمسحوا بها وبالقبور أو تثروا التراب عليها فإن هذه البقعة أو صاحب هذه البقعة أو الرَّوحانية ؛ الروح التي تخدم هذه البقعة أنه يتوسط لهم عند الله جل وعلا،

فهذا راجع إلى اتخاذ أنداد مع الله جل وعلا .قال سبحانه ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[الزمر:3].

ويكون **التبرك شركاً أصغر**: إذا كان هذا التبرك بنثر التراب عليه ، أو إلصاق الجسم بذلك ، أو التبرك بعين ونحوها ، إذا كان من جهة أنه جعله سبباً لحصول البركة ، بدون اعتقاد أنه يوصل إلى الله ؛ يعني جعله سبباً مثل ما يجعل لابس التميمة أو لابس الحلقة أو لابس الخيط ، جعل تلك الأشياء سبباً، فإذا أخذ تراب القبر ونثره عليه لاعتقاده أن هذا التراب مبارك وإذا لامس جسمه فإن جسمه يتبارك من جهة السببية فهذا شرك أصغر ؛ لأنه ما صرف عبادة لغير الله جل وعلا ، وإنما اعتقد ما ليس سبباً مأذوناً به شرعاً سبباً.

وأما إذا تمسح بها –كما هي الحال الأولى– تمسح بها وتمرغ بها والتصق بها لتوصله إلى الله جل وعلا ، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة .

حكم الذبح لغير الله

قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (الأنعام : 162-163)

قوله : ﴿ **قُلْ** ﴾ : الخطاب للنبي ﷺ ، أي: قل لهؤلاء المشركين معلناً لهم قيامك بالتوحيد الخالص .

قوله : ﴿ **إِنَّ صَلاَتِي** ﴾ الصلاة في اللغة: الدعاء ، وفي الشرع: عبادة لله ذات أقوال وأفعال معلومة ، مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم .

قوله: ﴿ **وَنُسُكِي**﴾ ، النسك لغة : العبادة ، وفي الشرع : ذبح القربان.

قوله: ﴿ **لاَ شَرِيكَ لَهُ** ﴾ ، لا شريك له في عبادته ولا في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته .

وقال تعالى : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ (الكوثر :2)

قوله : ﴿ **وَانْحَرْ** ﴾ المراد بالنحر : الذبح ، أي اجعل نحرك لله كما أن صلاتك له ،فأفادت هذه الآية الكريمة أن النحر من العبادة ولهذا أمر الله به وقرنه بالصلاة .

وقوله: ﴿ **وَانْحَرْ** ﴾ مطلق ، فيدخل فيه كل ما ثبت في الشرع مشروعيته ، وهي ثلاثة أشياء : الأضاحي ، والهدايا والعقائق ، فهذه الثلاثة يطلب من الإنسان أن يفعلها.

عن علي رضي الله عنه قال : **"حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لَعَنَ الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غير منار الأرض "** رواه مسلم

قوله: " **لَعَنَ الله** "، اللعن من الله : الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، فإذا قيل: لعنه الله ، فالمعنى : طرده وأبعده عن رحمته ، وإذا قيل : اللهم العن فلاناً ، فالمعنى أبعده عن رحمتك واطرده عنها.

قوله : " **من ذبح لغير الله** "، عام يشمل من ذبح بعيراً ، أو بقرة ، أو دجاجة ، أو غيرها .

قوله : " **لغير الله** "، يشمل كل من سوى الله حتى لو ذبح لنبي ، أو ملك ، أو جني ، أو غيرهم .

قوله : "**منار الأرض** " ، أي: علاماتها ومراسيمها التي تحدد بين الجيران ، فمن غيرها ظلماً ، فهو ملعون .

الذبح لغير الله ينقسم إلى قسمين :

1- أن يذبح لغير الله تقرباً وتعظيماً، فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة.

2- أن يذبح لغير الله فرحاً وإكراماً ، فهذا لا يخرج من الملة ، بل هو من الأمور العادية التي قد تكون مطلوبة أحياناً وغير مطلوبة أحياناً، فالأصل أنها مباحة .

فلو قدم الحاكم المسلم إلى بلد ، فذبح له ، فإن كان تقرباً وتعظيماً ، فإنه شرك أكبر ، وتحرم هذه الذبائح ، وعلامة ذلك : تذبح في وجهه ثم تترك غير مهتماً بها .

أما لو ذبحنا له إكراماً وضيافة ، وطبخت ، وأكلت ، فهذا من باب الإكرام ، وليس بشرك .

عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : "**دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب** " قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : "**مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرب. قال: ليس عندي شيء أقربه. قالوا له : قرب ولو ذباباً. فقرب ذباباً، فخلوا سبيله ، فدخل النار . وقالوا للآخر: قرب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل . فضربوا عنقه، فدخل الجنة** " رواه أحمد في "الزهد" [1]

---

[1]في الحديث علتان : الأولى : أن طارق بن شهاب اتفقوا على أنه لم يسمع من النبي ﷺ ، واختلفوا في صحبته، والأكثرون على أنه صحابي .لكن إذا قلنا : إنه صحابي ، فلا يضر عدم سماعه من النبي ﷺ ، لأن مرسل الصحابي حجة، وإن كان غير صحابي ، فإنه مرسل غير صحابي ، وهو من أقسام الضعيف . الثانية : أن الحديث معنعن من قبل الأعمش ، وهو من المدلسين ، وهذا آفة في الحديث .ثم للحديث علة ثالثة، وهي أن الإمام أحمد رواه عن طارق عن سلمان موقوفاً من قوله، وكذا أبو نعيم وابن أبي شيبة، فيحتمل أن سلمان أخذه عن بني إسرائيل .

قوله : " **في ذباب** " في : للسببية، وليست للظرفية، أي: بسبب ذباب.

قوله: "**فدخل النار**"، مع أنه ذبح شيئاً حقيراً لا يؤكل ، لكن لما نوى التقرب به إلى هذا الصنم ، صار مشركاً ، فدخل النار .

فإنَّ قوله : "**قرب ولو ذباباً** " يقتضي أنه فعله قاصداً التقرب ، أما لو فعله تخلصاً من شرهم ، فإنه لا يكفر لعدم قصد التقرب .

وظاهر القصة أن الرجل ذبح بنية التقرب ، لأن الأصل أن الفعل المبني على طلب يكون موافقاً لهذا الطلب .

أنه لو فعله بقصد التخلص و لم ينو التقرب لهذا الصنم لا يكفر ، لعموم قوله تعالى : ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النحل: 106]

وهذا الذي فعل ما يوجب الكفر تخلصاً مطمئن قلبه بالإيمان.

والصواب أيضاً : أنه لا فرق بين القول المكره عليه والفعل ، وإن كان بعض العلماء يفرق ويقول : إذا أكره على القول لم يكفر ، وإذا أكره على الفعل كفر ، ويستدل بقصة الذباب ، وقصة الذباب فيها نظر من حيث

صحتها ، وفيها نظر من حيث الدلالة ، لما سبق أن الفعل المبني على طلب يكون موافقاً لهذا الطلب .

ولو فرض أن الرجل تقرب بالذباب تخلصاً من شرهم ، فإن لدينا : نصاً محكماً في الموضوع ، وهو قوله تعالى : ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ** ...﴾ [النحل: 106] الآية ، و لم يقل : بالقول ، فما دام عندنا نص قرآني صحيح ، فإنه لو وردت السنة الصحيحة على وجه مشتبه ، فإنها تحمل على النص المحكم .

الخلاصة : أن من أكره على الكفر ، لم يكن كافراً ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان و لم يشرح بالكفر صدراً .

مسألة :

هل الأولى للإنسان إذا أكره على الكفر أن يصبر ولو قتل ، أو يوافق ظاهراً ويتأول ؟

هذه المسألة فيها تفصيل :

أولاً : أن يوافق ظاهراً وباطناً، وهذا لا يجوز لأنه ردة .

ثانياً : أن يوافق ظاهراً لا باطناً ، ولكن يقصد التخلص من الإكراه ، فهذا جائز .

ثالثاً : أن لا يوافق لا ظاهراً ولا باطناً ويقتل ، وهذا جائز ، وهو من الصبر .

لكن أيهما أولى أن يصبر ولو قتل ، أو أن يوافق ظاهراً ؟

فيه تفصيل :

إذا كان موافقة الإكراه لا يترتب عليه ضرر في الدين للعامة ، فإن الأولى أن يوافق ظاهراً لا باطناً ، لا سيما إذا كان بقاؤه فيه مصلحة للناس مثل : العالم الذي ينتفع الناس من علمه أو القائد ذو الخبرة العالية وما شابه ذلك .

أما إذا كان في موافقته وعدم صبره ضرر على الإسلام ، فإنه يصبر ، وقد يجب الصبر ، لأنه من باب الصبر على الجهاد في سبيل الله ، وليس من باب إبقاء النفس ، ولهذا لما شكى الصحابة للنبي ﷺ ما يجدونه من مضايقة المشركين ، قص عليهم قصة الرجل فيمن كان قبلنا بأن الإنسان كان يمشط ما بين لحمه وجلده بأمشاط الحديد[1] ويصبر ، فكأنه يقول لهم : اصبروا على الأذى .

ولو حصل من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت موافقة للمشركين وهم قلة، لحصل بذلك ضرر عظيم على الإسلام .

والإمام أحمد رحمه الله في المحنة المشهورة (في مسألة خلق القرآن) لو وافقهم ظاهراً ، لحصل في ذلك مضرة على الإسلام .

---

[1] **البخاري: كتاب فضائل الصحابة/ باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه.**

حكم الاستعاذة والاستغاثة بغير الله

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن: 6)

قوله : ﴿ يَعُوذُونَ﴾ ، الجملة خبر كان ، ويقال : عاذ به ولاذ به ، فالعياذ مما يخاف ، واللياذ فيما يؤمل .

قوله: ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ أي: يلتجئون إليهم مما يحاذرونه، يظنون أنهم يعيذونهم، ولكن زادوهم رهقاً ، أي: خوفاً وذعراً ، وكان العرب في الجاهلية إذا نزلوا في وادٍ نادوا بأعلى أصواتهم :أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه .

قوله : ﴿رَهَقًا﴾، أي: ذعراً وخوفاً ، بل الرهق أشد من مجرد الذعر والخوف ، فكأنهم مع ذعرهم وخوفهم أرهقهم وأضعفهم ، فالذعر والخوف في القلوب والرهق في الأبدان .

وهذه الآية تدل على أن الاستعاذة بالجن حرام ، لأنها لا تفيد المستعيذ ، بل تزيده رهقاً ، فعقب بنقيض قصده ، وهذا ظاهر .

في هذه الآية الكريمة ذم الله تعالى المستعيذين بغير الله ،والمستعيذ بالشيء لا شك أنه قد علق رجاءه به ،واعتمد عليه ، وهذا نوع من الشرك .

والاستعاذة بالمخلوق ، ففيها تفصيل ، فإن كان المخلوق لا يقدر عليه ، فهي من الشرك ، ومن ذلك أيضاً الاستعاذة بأصحاب القبور ، فإهم لا ينفعون ولا يضرون ، فالاستعاذة هم شرك أكبر ، سواء كان عند قبورهم أم بعيداً عنهم .

أما الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه ، فهي جائزة ، وهو مقتضى الأحاديث الواردة في "صحيح البخاري ومسلم" لما ذكر النبي ﷺ الفتن ، قال : **"فمن وجد من ذلك ملجأ، فليعذ به "**

وكذلك قصة المرأة التي عاذت بأم سلمة[1] ، والغلام الذي عاذ بالنبي ﷺ [2]، وكذلك في قصة الذين يستعيذون بالحرم والكعبة[3]، وما أشبه ذلك .

وهذا هو مقتضى النظر ، فإذا اعترضني قطاع طريق ، فعذت بإنسان يستطيع أن يخلصني منهم ، فلا شيء فيه .

لكن تعليق القلب بالمخلوق لا شك أنه من الشرك ، فإذا علقت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين ، وجعلته ملجأ ، فهذا شرك ، لأن هذا لا يكون إلا الله .

---

[1]مسلم: كتاب الحدود/ باب حد قطع السارق الشريف وغيره....

[2]مسلم: كتاب الإيمان/ باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده.

[3]مسلم: كتاب الفتن/ باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

أما الاستغاثة فهي : دعاء بإزالة الشدة فقط ، والدعاء عام لكونه لجلب منفعة ، أو لدفع مضرة.

فمن استغاث بغير الله بما لا يقدر عليه المستغاث به ، إما لكونه ميتاً ، أو غائباً، أو يكون الشيء مما لا يقدر على إزالته إلا الله تعالى ، فلو استغاث بميت ليدافع عنه أو بغائب أو بحي حاضر لينزل المطر فهذا كله من الشرك . أما لو استغاث بحي حاضر فيما يقدر عليه كان جائزاً ، قال الله تعالى: ﴿ **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** ﴾ (القصص: 15)

وإذا طلبت من أحد الغوث وهو قادر عليه ، فإنه يجب عليك تصحيحاً لتوحيدك أن تعتقد أنه مجرد سبب ، وأنه لا تأثير له بذاته في إزالة الشدة ، لأنك ربما تعتمد عليه وتنسى خالق السبب،وهذا قادح في كمال التوحيد .

قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ . وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [يونس : 106-107].

قوله : ﴿ **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ** ﴾ ، الدعاء : طلب ما ينفع ، أو طلب دفع ما يضر .

قوله : ﴿ مَا لاَ يَنفَعُكَ ﴾، أي : ما لا يجلب لك النفع لو عبدته.

﴿ وَلاَ يَضُرُّكَ ﴾ : قيل : لا يدفع عنك الضر ، وقيل : لو تركت عبادته لا يضرك ، لأنه لا يستطيع الانتقام ، وهو الظاهر من اللفظ .

قوله: ﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾، أي : إن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، والخطاب للرسول ﷺ .

قوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ أي: يصيبك بضر ، كالمرض ، والفقر ، ونحوه . أي: ما أحد يكشفه أبداً إذا مسك الله بضر إلا الله ، وهذا كقول النبي ﷺ : **"واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك "** [1]

فإن كان لا يكشف الضر إلا الله ، وجب أن تكون العبادة له وحده والاستغاثة به وحده .

قوله: ﴿ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ ﴾، أي: لا يستطيع أن يرد فضل الله أبداً ، ولو اجتمعت الأمة على ذلك ، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : **"اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت "** (متفق عليه)

---

[1] أحمد (293/1) – وصححه أحمد شاكر ، الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح" .

لهذا يجب علينا أن نعتمد على الله في جلب المنافع ، ودفع المضار ، وبقاء ما أنعم علينا به ، ونعلم أن الأمة مهما بلغت من المكر والكيد والحيل لتمنع فضل الله ، فإنها لا تستطيع .

قوله: ﴿ **مَن يَشَاء** ﴾ ، كل فعل مقيد بالمشيئة ، فإنه مقيد بالحكمة ، لأن مشيئة الله ليس مجردة ، يفعل ما يشاء لمجرد أنه يفعله فقط ، لأن من صفات الله الحكمة ، ومن أسمائه الحكيم .

قوله: ﴿ **مِنْ عِبَادِهِ** ﴾، العبودية هنا عامة ، لأن قوله: ﴿ **بِخَيْرٍ** ﴾ يشمل خير الدنيا والآخرة ، وخير الدنيا يصيب الكفار .

قوله: ﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾، أي: ذو المغفرة، والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه، مأخوذة من المغفر ، وهو ما يتقى به السهام ، والمغفرة فيه ستر ووقاية. ﴿**والرحيم** ﴾، أي: ذو الرحمة ، وهي صفة تليق بالله عز وجل ، تقتضي الإحسان والإنعام .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الأحقاف: 5].

قوله : ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ** ﴾ أي لا أحد أضل . والضلال : أن يتيه الإنسان عن الطريق الصحيح .أي : بين لي عن أحد أضل ممن يدعو من دون الله ؟

قوله : ﴿ **مِمَّن يَدْعُو** ﴾ ويراد بالدعاء هنا دعاء المسألة ودعاء العبادة.

قوله : ﴿ **مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ** ﴾، أي لو بقي كل عمر الدنيا يدعو ما استجاب له ، لأن هذه الأصنام غافلة دعوة هؤلاء إياهم .

قال الله تعالى : ﴿ **إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ** ﴾ [فاطر: 14]

وقال تعالى : ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ** ﴾ (الأعراف :191-192)

قوله : ﴿ **أَيُشْرِكُونَ** ﴾ ، الاستفهام للإنكار والتوبيخ،أي: يشركونه مع الله

قوله : ﴿ **شَيْئاً** ﴾ ، نكرة في سياق النفي ، فتفيد العموم .

قوله : ﴿ **وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ ، وصف هذه الأصنام بالعجز والنقص .

والرب المعبود لا يمكن أن يكون مخلوقاً ، بل هو الخالق ، فلا يجوز عليه الحدوث ولا الفناء .

والمخلوق: حادث ، والحادث يجوز عليه العدم ، لأن ما جاز انعدامه أولاً، جاز عقلاً انعدامه آخراً .

فكيف يعبد هؤلاء من دون الله ، إذ المخلوق هو بنفسه مفتقر إلى خالقه وهو حادث بعد أن لم يكن ، فهو ناقص في إيجاده وبقائه ؟!

قوله : ﴿ **وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا** ﴾ أي : لا يقدرون على نصرهم لو هاجمهم عدو ، لأن هؤلاء المعبودين قاصرون .

والنصر : الدفع عن المخذول بحيث ينتصر على عدوه.

قوله: ﴿ **وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ** ﴾ أي : زيادة على ذلك هم عاجزون عن الانتصار لأنفسهم ، فكيف ينصرون غيرهم ؟!

فبين الله تعالى عجز هذه الأصنام ، وأنها لا تصلح أن تكون معبودة من أربعة وجوه هي :

1- أنها لا تخلق ، ومن لا يخلق لا يستحق أن يعبد .

2- أنهم مخلوقون من العدم ، فهم مفتقرون إلى غيرهم ابتداءً ودواماً.

3- أنهم لا يستطيعون نصر الداعين لهم .

4- أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم .

كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق . فقاموا إلى رسول الله ، فقالوا : يا رسول الله ! إنَّا نستغيث بك من هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : " **إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله** " [1]

---

[1]الطبراني "المعجم الكبير"، وذكر الهيثمي في "مجمع الزوائد":" رجاله رجال الصحيح،غير ابن لهيعة،وهو حسن الحديث،وابن لهيعة خلط في آخر عمره لاحتراق كتبه"

قوله: "**نستغيث**"، أي: نطلب الغوث وهو إزالة الشدة. واعلم أن أذية المنافقين للمسلمين ليست بالضرب أو القتل ، لأنهم يتظاهرون بمحبة المسلمين ، ولكن بالقول والتعريض كما صنعوا في قصة الإفك .

قوله: " **من هذا المنافق** "، إما بزجره ، أو تعزيره ، أو بما يناسب المقام.

قوله : " **إنه لا يستغاث بي** " ، ظاهر هذه الجملة النفي مطلقاً، ويحتمل أن المراد : لا يستغاث به في هذه القضية المعينة.

فعلى الأول : يكون نفي الاستغاثة من باب سد الذرائع والتأدب في اللفظ ، وليس من باب الحكم بالعموم ، لأن نفي الاستغاثة بالرسول ﷺ ليس على إطلاقه ، بل تجوز الاستغاثة به فيما يقدر عليه.

أما إذا قلنا : إن النفي عائد إلى القضية المعينة التي استغاثوا بالنبي ﷺ منها، فإنه يكون على الحقيقة ، أي: على النفي الحقيقي ، أي: لا يستغاث بي في مثل هذه القضية ، لأن النبي ﷺ كان يعامل المنافقين معاملة المسلمين ، ولا يمكنه حسب الحكم الظاهر للمنافقين أن ينتقم من هذا المنافق انتقاماً ظاهراً ، إذ إن المنافقين يستترون ، وعلى هذا ، فلا يستغاث للتخلص من المنافق إلا بالله .

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : شج النبي ﷺ يوم أحد ، وكسرت رباعيته ، فقال : " **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟** "، فنزلت: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾[آل عمران: 128] رواه مسلم

فوله: "**شج** "، الشجة: الجرح في الرأس والوجه خاصة .

قوله: "**وكسرت رباعيته**"، الأسنان المتوسطان يسميان ثنايا ، وما يليهما يسميان رباعيتين .

قوله :(**يُفلح**) من الفلاح وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب .

قوله: "فنزلت: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ** ... ﴾"، أي: نزلت هذه الآية ، والخطاب فيها للرسول ﷺ .

قوله : ﴿**الأَمْرِ**﴾ ، أي : الشأن، والمراد : شأن الخلق ، فشأن الخلق إلى خالقهم ، حتى النبي ﷺ ليس له فيهم شيء .

ففي الآية خطاب للرسول ﷺ وقد شج وجهه، وكسرت رباعيته، ومع ذلك ما عذره الله - سبحانه - في كلمة واحدة : " **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم** ؟ "، فإذا كان الأمر كذلك ، فما بالك بمن سواه ؟ فليس لهم من الأمر شيء ، كالأصنام ، والأوثان ، والأولياء ، والأنبياء ، فالأمر كله لله وحده، كما أنه الخالق وحده ، والحمد لله الذي لم يجعل أمرنا إلى أحد سواه ، لأن المخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فكيف يملك لغيره ؟

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : "**اللهم العن فلاناً وفلاناً** " بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ، "ربنا ولك الحمد"، فأنزل الله : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ** ...﴾ (رواه البخاري)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء : 214]، فقال : "**يا معشر قريش** (أو كلمة نحوها) **اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنكِ من الله شيئاً**." رواه مسلم

قوله: " **لا أغني عنكم من الله شيئاً** "، هذا هو الشاهد ، أي: لا أدفع أو لا أنفع ، أي: لا أنفعكم بدفع شيء عنكم دون الله ، ولا أمنعكم من شيء أراده الله لكم ، فالنبي ﷺ لا يغني عن أحد شيئاً حتى عن أبيه وأمه . لأن الأمر بيد الله ، ولهذا أمر الله نبيه بذلك ، فقال: ﴿ **قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا . قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً** ﴾ (الجن: 21-22)

قوله: "**يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت**"، أي : اطلبي من مالي ما شئت ، فلن أمنعك لأنه ﷺ مالك لماله ، ولكن بالنسبة لحق الله قال : " **لا أغني عنك من الله شيئاً** ".

فهذا كلام النبي ﷺ لأقاربه الأقربين : عمه ، وعمته ، وابنته ، فما بالك بمن هم أبعد ؟! فعدم إغنائه عنهم شيئاً من باب أولى ، فهؤلاء الذين يتعلقون بالرسول ﷺ ويلوذون به ويستجيرون به ، الموجودون في هذا الزمن وقبله قد

غرهم الشيطان واجتالهم عن طريق الحق ، لأنهم تعلقوا بما ليس بمتعلق ، إذ الذي ينفع بالنسبة للرسول ﷺ هو الإيمان به واتباعه .

أما دعاؤه والتعلق به ورجاؤه فيما يؤمل،وخشيته فيما يخاف منه ، فهذا شرك بالله ، وهو مما يبعد عن الرسول ﷺ ، وعن النجاة من عذاب الله .

وإذا كان القرب من النبي ﷺ لا يغني عن القريب شيئاً ، دل ذلك على منع التوسل بجاه النبي ﷺ ، لأن جاه النبي ﷺ لا ينتفع به إلا النبي ﷺ ، ولهذا كان أصح قولي أهل العلم تحريم التوسل بجاه النبي ﷺ .

قوله: ﴿ **أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ ، فتاب عليهم ، فآمنوا ، وهذا دليل على كمال سلطان الله وقدرته ، فهؤلاء الذين جرى منهم ما جرى تاب الله عليهم وآمنوا ، لأن الأمر كله بيده سبحانه ، وهو الذي يذل من يشاء ويعز من يشاء ، ومن ذلك ما جرى من عمر رضي الله عنه قبل إسلامه من العداوة الظاهرة للإسلام ، وما جرى منه بعد إسلامه من الولاية والنصرة لدين الله تعالى ، فرسول الله ﷺ ومن دونه لا يستطيعون أن يغيروا شيئاً من أمر الله . و " **فلاناً وفلاناً** " : بينه من الرواية الثانية أنهم : صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام .

وقد أسلم هؤلاء الثلاثة وحسن إسلامهم رضي الله عنهم ، فتأمل الآن أن العداوة قد تنقلب ولاية ، لان القلوب بيد الله – سبحانه وتعالى - ، ولو أن الأمر كان على ظن النبي ﷺ ، لبقي هؤلاء على الكفر حتى الموت، إذ لو

قبلت الدعوة عليهم ، وطردوا عن الرحمة ، لم يبق إلا العذاب .ولكن النبي ﷺ ليس له من الأمر شيء ، فالأمر كله لله ، ولهذا هدى الله هؤلاء القوم ، وصاروا من أولياء الله الذابين عن دينه ، بعد أن كانوا من أعداء الله القائمين ضده ، ولله - سبحانه - يمن على من يشاء من عباده .

قال تعالى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ النمل :62

قوله : ﴿ **وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾أي: يزيل السوء،والسوء:ما يسوء المرء، وهو دون الضرر ،لأن الإنسان قد يساء بما لا يضره ،لكن كل ضرر سوء.

قوله : ﴿ **أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ** ﴾ الاستفهام للإنكار ، أو بمعنى النفي ، وهما متقاربان ، أي : هل أحد مع الله يفعل ذلك ؟!

الجواب : لا ، وإذا كان ذلك ، فيجب أن تصرف العبادة لله وحده ، وكذلك الدعاء ، فالواجب على العبد أن يوجه السؤال إلى الله تعالى ، ولا يطلب من أحد أن يزيل ضرورته ويكشف سوءه وهو لا يستطيع .

الرزق

قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (العنكبوت :17)

اعلم أنه كما أن الجنة لا تطلب إلا من الله فكذلك الرزق لا يطلب إلا من الله .فمن آمن أن غير الله يمكن أن يرزق أو أن يمنع الرزق أو أن يكثر من الرزق فقد أشرك مع الله . فالرازق هو الله ليس غيره ، ولقد عين الله رزق العباد قبل أن يخلقهم كما عين آجالهم . فلا يستطيع أحد من الخلق أن يغير رزق أحد من العباد ، لأن رزقهم قد عينه الله ، فما على المسلم إلا أن يجتهد على أن يحصل على رزقه من الحلال ، لأن ما يأكله في الحرام هو رزقه لا رزق غيره .

قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾

(الروم

40)

وقال تعالى :﴿ **وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾{الزاريات : 22}

وعن الحسن ابن علي رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : " **فو الذي نفس أبي القاسم بيده : إن أحدكم ليطلبه رزقه كما يطلبه أجله ، فإن تعسر عليكم شيء منه فاطلبوه بطاعة الله عز وجل** ." (رواه الطبراني ، كنز العمال)

الشفاعة

قال تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام: 51]

قوله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ** ﴾، الإنذار : هو الإعلام المتضمن للتخويف، أما مجرد الخبر ، فليس بإنذار ، والخطاب للنبي ﷺ .والضمير في ﴿**بِه**﴾ يعود للقرآن ، وقوله : ﴿ **يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ** ﴾ أي: يخافون مما يقع لهم من سوء العذاب في ذلك الحشر . والحشر : الجمع ، وقد ضمن هنا معنى الضم والانتهاء ، فمعنى يحشرون ، أي : يجمعون حتى ينتهوا إلى الله .

قوله: ﴿ **لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ** ﴾، ﴿ **وَلِيٌّ** ﴾، أي : ناصر ينصرهم . ﴿ **وَلاَ شَفِيعٌ** ﴾، أي: شافع يتوسط لهم ، وهذا محل الشاهد.

ففي هذه الآية نفى الشفاعة من دون الله ، أي من دون إذنه ، ومفهومها : أنها ثابتة بإذنه ، فهذا يدل على أن الشفاعة من دونه مستحيلة ، وبإذنه جائزة وممكنة . أما عند الملوك ، فجائزة بإذنهم وبغير إذنهم ، فيمكن لمن كان قريباً من السلطان أن يشفع بدون أن يستأذن .

ويفيد قوله : ﴿ **من دُونِهِ** ﴾ أن لهم بإذنه ولياً وشفيعاً .

وقال تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (الزمر: 44)

قوله: ﴿ لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ أي: لله وحده الشفاعة كلها، لا يوجد شيء منها خارج عن إذن الله وإرادته . فأفادت الآية في قوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾ أن هناك أنواعاً للشفاعة.

وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه﴾ (البقرة: 255)

قوله : ﴿ مَن ذَا الَّذِي ﴾، أي: لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه .

فالمعنى : إنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذن الله .

قوله : ﴿ عِنْدَهُ ﴾ أي : فلا يشفع أحد عنده ولو كان مقرباً ، كالملائكة المقربين ، إلا بإذنه الكوني ، والإذن لا يكون إلا بعد الرضا .

وأفادت الآية : أنه يشترط للشفاعة إذن الله فيها لكمال سلطانه جل وعلا ، فإنه كلما كمل سلطان الملك ، فإنه لا أحد يتكلم عنده ولو كان بخير إلا بعد إذنه .

قال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (النجم : 26)

والمعنى : ما أكثر الملائكة الذين في السماء ، ومع ذلك لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا بعد إذن الله ورضاه .

قوله : ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى ﴾ فهذا يدل أن للشفاعة شرطان ، هما :

الأول : الإذن من الله ، لقوله: ﴿ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ ﴾.

والثاني : رضاه عن الشافع والمشفوع له ، لقوله : ﴿ **وَيَرْضَى**﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** ﴾ [الأنبياء: 28]

فلا بد من إذنه تعالى ورضاه عن الشافع والمشفوع له ، إلا في التخفيف عن أبي طالب في النار .

قال تعالى : ﴿ **وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ الزخرف :86

سأل أبو هريرة رسول الله ﷺ : من اسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال له النبي ﷺ : " **من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه** "(رواه البخاري)

قوله :" **خالصاً** " أي : سالماً من كل شوب ، فلا يشوبها شرك ولا رياء ولا سمعة ، بل هي شهادة يقين .

ولا إله إلا الله معناها : لا معبود بحق إلا الله ، وليس المعنى : لا معبود إلا الله ، لأنه لو كان كذلك ، لكان الواقع يكذب هذا ، إذ إن هناك معبودات من دون الله تعبد وتسمى آلهة ، ولكنها باطلة ، وحينئذ يتعين أن يكون المراد لا إله حق إلا الله.

ولا إله إلا الله تتضمن نفياً وإثباتاً ، هذا هو التوحيد ، لأن الإثبات المجرد لا يمنع المشاركة ، والنفي المجرد تعطيل محض ، فلو قلت: لا إله معناه عطلت كل إله ، ولو قلت: الله إله ما وحدت ، لأن مثل هذه الصيغة لا تمنع المشاركة ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿**وإلهكم إله واحد**﴾ [البقرة: 163] لما جاء الإثبات فقط أكده بقوله : **واحد** .

فحقيقة أمر الشفاعة ، أي الفائدة منها : أن الله عز وجل أراد أن يغفر للمشفوع له ، ولكن بواسطة هذه الشفاعة . ولو شاء الله لغفر له بلا شفاعة ، ولكنه أراد بيان فضل هذا الشافع وإكرامه أمام الناس .

والمشركون يبررون شركهم ودعائهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم : " نحن ندعوهم ، مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون ، ولكن حيث أن لهم عند الله جاهاً عظيماً ومقامات عالية ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى وليشفعوا لنا عنده ، كما يتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم ".

وهذا من أبطل الباطل ، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد وتخضع له المخلوقات بأسرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم .

لهذا أبطل الله هذا الزعم ، وبين أن الشفاعة كلها له ، كما أن الملك كله له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له . فبين أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة ، وبين أن الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه إنما هي الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة وأنها كلها منه ، رحمة منه ، وكرامة للشافع ، ورحمة منه وعفواً عن المشفوع له ، وأنه هو المحمود عليها في الحقيقة ،وهو الذي أذن لمحمد ﷺ فيها.

أنواع الشفاعة

قال تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (الزمر : 44)

أفادت الآية في قوله : ﴿ **جَمِيعاً** ﴾ أن هناك أنواعاً للشفاعة.

وقد قسم أهل العلم رحمهم الله الشفاعة إلى قسمين رئيسيين ، هما :

القسم الأول : الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ ، وهي أنواع :

النوع الأول : الشفاعة العظمى ، وهي من المقام المحمود الذي وعده الله ، فإن الناس يلحقهم يوم القيامة في ذلك الموقف العظيم من الغم والكرب ما لا يطيقونه ، فيقول بعضهم لبعض : اطلبوا من يشفع لنا عند الله ، فيذهبون إلى آدم أبي البشر ، فيذكرون من أوصافه التي ميزه الله بها : أن الله خلقه بيده

، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، فيقولون : اشفع لنا عند ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! فيعتذر لأنه عصى الله بأكله من الشجرة ، ومعلوم أن الشافع إذا كان عنده شيء يخدش كرامته عند المشفوع إليه ، فإنه لا يشفع لخجله من ذلك ، مع أن آدم عليه السلام قد تاب الله عليه واجتباه وهداه ، قال تعالى : ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** ﴾ [طه: 121،122]، لكن لقوة حيائه من الله اعتذر .

ثم يذهبون إلى نوح ، ويذكرون من أوصافه التي امتاز بها بأنه أول رسول أرسله الله إلى الأرض ، فيعتذر بأنه سأل الله ما ليس له به علم حين قال : ﴿ **فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾[هود : 45]

ثم يذهبون إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ، فيذكرون من أوصافه ما يقتضي أن يشفع ، فلا يعتذر بشيء ، لكن يحيل إلى من هو أعلى مقاماً ، فيقول : اذهبوا إلى محمد ، عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيحيلهم إلى محمد ﷺ دون أن يذكر عذراً يحول بينه وبين الشفاعة ، فيأتون محمداً ﷺ ، فيشفع إلى الله ليريح أهل الموقف. (متفق عليه)

الثاني : شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها ، لأنهم إذا عبروا الصراط ووصلوا إليها وجدوها مغلقة ، فيطلبون من يشفع لهم ، فيشفع النبي ﷺ إلى الله في فتح أبواب الجنة لأهلها ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿**حَتَّى إِذَا**

جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر: 73]، فقال: ﴿ **وَفُتِحَتْ**﴾ ، فهناك شيء محذوف ، أي : وحصل ما حصل من الشفاعة ، وفتحت الأبواب ، أما النار ، فقال فيها : ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا...**﴾ الزمر :71

قال النبي ﷺ " **أنا أول شفيع في الجنة. لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت. وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد** " رواه مسلم

الثالث : شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب [1]، وهذه مستثناة من قوله تعالى : ﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ (المدثر: 48) وقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾ (طه: 109) وذلك لما كان لأبي طالب من نصرة للنبي ﷺ ودفاع عنه ، وهو لم يخرج من النار ، لكن خفف عنه حتى صار - والعياذ بالله - في ضحضاح من نار ، وعليه نعلان يغلي منهما دماغه،وهذه الشفاعة خاصة بالرسول ﷺ لا أحد يشفع في كافر أبداً إلا النبي ﷺ ومع ذلك لم تقبل الشفاعة كاملة،وإنما هي تخفيف فقط.

القسم الثاني : الشفاعة العامة له ﷺ ولجميع المؤمنين . وهي أنواع :

---

[1] **البخاري: كتاب الفضائل/ باب قصة أبي طالب، ومسلم: كتاب الإيمان/ باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب.**

النوع الأول : الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول ﷺ : " **ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه** "رواه مسلم

فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار ، فيشفعهم الله في ذلك .

قال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّ شَفَاعَتِي يَومَ الْقِيَامَةِ لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**".(رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة)

النوع الثاني : الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها ، وقد تواترت بها الأحاديث وأجمع عليها الصحابة ، واتفق عليها أهل الملة ما عدا طائفتين ، وهما : المعتزلة والخوارج ، فإنهم ينكرون الشفاعة في أهل المعاصي مطلقاً لأنهم يرون أن فاعل الكبيرة مخلد في النار ، ومن استحق الخلود ، فلا تنفع فيه الشفاعة ، فهم ينكرون أن النبي ﷺ أو غيره يشفع في أهل الكبائر أن لا يدخلوا النار ، أو إذا دخولها أن يخرجوا منها ، لكن قولهم هذا باطل بالنص والإجماع .

النوع الثالث :الشفاعة في رفع درجات المؤمنين ، وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كما قال ﷺ في أبي سلمة:" **اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين ، وأفسح له في قبره ، ونور له فيه ، واخلفه في عقبه** " مسلم وأما الشفاعة الموهومة التي يظنها عباد الأصنام من

معبوديهم ، فهي شفاعة باطلة لأن الله لا يأذن لأحد بالشفاعة إلا لمن ارتضاه من الشفعاء والمشفوع لهم .

الفرق بين التوسل والشفاعة

التوسل : هو إتخاذ الوسيلة ، والوسيلة هي الحاجة نفسُها أو من يوصل إلى الحاجة ، قد يكون ذلك التوسل باستشفاع ؛ يعني بطلب الشفاعة؛ يعني يصل إلى حاجته – بحسب ظنه– بالإستشفاع ، وقد يصل إلى حاجته – بحسب ظنه– بغير الإستشفاع ،فيتوسل مثلا بالذوات يسأل الله بالذات، يسأل الله بالجاه ، يسأل الله بحرمة فلان ، مثلا يقول: أسألك اللهم بنبيك محمد ، بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ،أو يقول:أسألك اللهم بأبي بكر أو بعمر أو بعلي أو بالولي الفلاني ،بأهل بدر ،بأهل بيعة الرضوان ،يسأله بهم. هذا هو الذي يسمونه توسلاً ، وهذا التوسل معناه أنه جعل أولئك وسيلة، وأحياناً يقول لفظ (الحرمة) أسألك بحرمتهم أسألك بجاههم ونحو ذلك.

أما **الإستشفاع** : فهو أن يسألهم الشفاعة، يطلب منهم أن يشفعوا له.

يتبين من ذلك أن التوسل يختلف عن الإستشفاع ؛ فإن المستشفِع طالب للشفاعة ، والشفاعة إذا طلبها من العبد فيكون قد سأل غير الله، وأما المتوسل بحسب العُرف – عُرف الإستعمال– المتوسل يسأل الله لكن يجعل ذلك بوسيلة أحد. فالإستشفاع سؤال لغير الله ، وأما الوسيلة فهي سؤال الله بفلان

بحرمته بجاهه. والتوسل بالذوات وبالجاه وبالحرمة لا يجوز لأنه إعتداء في الدعاء ولأنه بدعة محدثة ، وهو وسيلة إلى الإشراك .

وأما الإستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء وهو الميت أو الغائب أو نحو ذلك فهذا طلب ودعاء لغير الله وهو شرك أكبر .

إنك لا تهدي من أحببت

قال تعالى : ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (القصص :56)

نزلت هذه الآية بسبب عم الرسول ﷺ أبي طالب وكان يحب هدايته .

الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ : يقول الله جل وعلا لسيدنا محمد ﷺ : فأنت يا محمد مع أن لك المنزلة الرفيعة عندي إلا أنك لا تستطيع أن تهدي من أحببت هدايته ، لأن الأمر كله بيدي أنا وحدي .

والهداية التي نفاها الله عن رسوله ﷺ في هذه الآية هي هداية التوفيق ، أما هداية الدلالة والإرشاد فقد أثبتها له في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ (الشورى : 52)

فالهداية هنا أتت مطلقة لبيان أن الذي بيده هو هداية الدلالة فقط ، لا أن يجعله مهتدياً ، فلم يخصص سبحانه فلاناً وفلاناً ليبين أن المراد : أنك تهدي

هداية دلالة ، فأنت تفتح الطريق أمام الناس فقط وتبين لهم وترشدهم ، وأما إدخال الناس في الهداية ، فهذا أمر ليس إلى الرسول ﷺ ، إنما هو مما تفرد الله به سبحانه ، فنحن علينا أن نبين وندعو ، وأما هداية التوفيق – أي أن الإنسان يهتدي – ، فهذا إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذا هو الجمع بين الآيتين .

عن ابن المسيب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهلٍ ، فقال له : « **يا عم! قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله** » فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ: «**لاستغفرن لك ما لم أنه عنك**».

فأنزل الله عز وجل : ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾(التوبة : 113)

)

متفق عليه)

فالله جل وعلا منع الرسول ﷺ في هذه الآية من طلب المغفرة للمشركين حتى ولو كانوا أقرب الأقارب ، لأن هؤلاء المشركين ليسوا أهلاً للمغفرة . لهذا لما اعتمر النبي ﷺ ، ومر بقبر أمه استأذن الله أن يستغفر لها فما أذن الله له

، فاستأذنه أن يزور قبرها فأذن له ، فزاره للاعتبار وبكى وأبكى من حوله من الصحابة.[1]

فهذا الحديث والآية يدلان على أن أهل الشرك ليسوا أهلاً للمغفرة بأي حال ، ولا يجاب لنا فيهم ، ولا يحل الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة ، وإنما يدعى لهم بالهداية وهم أحياء .

وكذلك فهذا الحديث يدل دلالة واضحة أنه ليس المقصود بقول " **لا إله إلا الله** " مجرد التلفظ بها دون معرفة معناها ومقتضاها وملزوماتها فعم الرسول ﷺ كان يعرف معنى قوله بهذه الكلمة وهو أنه إذا قالها فقد أعلن أنه تبرأ من كل إله سوى الله وأنه تبرأ من دين آبائه وأجداده ولهذا أبى أن يقولها لأنه يعرف معناها ومقتضاها وملزوماتها .

وكذلك أبو جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ بقول : **لا إله إلا الله** ، ولذا ثاروا وقالوا له : " أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ "

تنبيه :

---

[1] **مسلم: كتاب الجنائز/ باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل زيارة أمه.**

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ آية في سورة التوبة ، وهي متأخرة مدنية ، وقصة أبي طالب مكية ، وهذا يدل على تأخر النهي عن الاستغفار للمشركين ، ولهذا استأذن النبي  للاستغفار لأمه وهو ذاهب للعمرة . ولا يمكن أن يستأذن بعد نزول النهي ، فدل على تأخر الآية ، فالمراد من قوله " فأنزل الله عز وجل " ليس المعنى أنها نزلت في ذلك الوقت فالآية مدنية وقصة أبي طالب مكية وإنما هو بيان دخولها في قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ... ﴾

الغلو في الصالحين

قال تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** ﴾ (النساء : 171)

قوله : ﴿ **لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ** ﴾، أي : لا تتجاوزوا الحد مدحاً أو قدحاً ، والأمر واقع كذلك بالنسبة لأهل الكتاب عموماً ، فإنهم غلوا في عيسى بن مريم عليه السلام مدحاً وقدحاً ، حيث قالت النصارى : إنه ابن الله ، وجعلوه ثالث ثلاثة . واليهود غلوا فيه قدحاً، وقالوا : إن أمَّه زانية، وإنه ولد زنا ، قاتلهم الله ؟ فكل من الطرفين غلا في دينه وتجاوز الحد بين إفراط وتفريط .

قوله : ﴿ **فِي دِينِكُمْ** ﴾ ، الدين يطلق على العمل والجزاء ، والمراد به هنا : العمل . والمعنى : لا تجعلوا عبادتكم غلواً في المخلوقين وغيرهم .

قوله : ﴿ **وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ** ﴾، وهو ما قاله سبحانه وتعالى عن نفسه بأنه : إله واحد ، أحد ، صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

قوله : ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ** ﴾، هذه صيغة حصر ، وطريقه ﴿ **إِنَّمَا** ﴾ ، فيكون المعنى : ما المسيح عيسى بن مريم إلا رسول الله ، وأضافه إلى أمه ليقطع قول النصارى الذي يضيفونه إلى الله .

وفي قوله : ﴿ **رَسُولُ اللَّهِ** ﴾ إبطال لقول اليهود : إنه كذاب ، ولقول النصارى : إنه إله .

وفي قوله : ﴿ **وَكَلِمَتُهُ** ﴾ إبطال لقول اليهود : إنه ابن زنا .

﴿ **وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ** ﴾ : أن قال له كن فكان .

قوله : ﴿ **وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ ، أي : إنه عز وجل جعل عيسى عليه الصلاة والسلام كغيره من بني آدم من جسد وروح ، وأضاف روحه إليه تشريفاً وتكريماً ، كما في قوله تعالى في آدم :﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ [ص: 72] ، فهذا للتشريف والتكريم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً** ﴾ (نوح : 23)

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا ، أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، و لم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، ونسي العلم ، عبدت " رواه البخاري

قوله : ﴿ **لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ** ﴾ أي : لا تدعن وتتركن آلهتكم وانتصروا لها ، ولا تُمَكِّنوا أحداً من إهانتها ، ولا تدعوا عبادتها أيضاً، بل احرصوا

عليها ، وهذا من التواصي بالباطل عكس الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتواصون بالحق .

والآلهة : جمع إله ، وهو كل ما عبد ، سواء بحق أو بباطل ، لكن إذا كان المعبود هو الله ، فهو حق ، وإن كان غير الله ، فهو باطل .

قوله " **أوحى الشيطان** "، أي : وحي وسوسة ، وليس وحي إلهام.

قوله : " **أن انصبوا إلى مجالسهم** " ، الأنصاب : جمع نصب ، وهو كل ما ينصب من عصا أو حجر أو غيره .

قوله : " **سموها بأسمائهم** " ، أي : ضعوا أنصاباً في مجالسهم ، وقولوا : هذا ود ، وهذا سواع ، وهذا يغوث ، وهذا يعوق ، وهذا نسر ، لأجل إذا رأيتموهم تتذكروا عبادهم فتنشطوا عليها ، هكذا زين لهم الشيطان ، وهذا غرور ووسوسة من الشيطان .

قوله :(**ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، ونسي العلم ، عبدت**) أي: لم تعبد هذه التماثيل إلا بعد أن نسي العلم واضمحل ، ففيه دليل على معرفة قدر وجود العلم ، وأن وجوده أمر ضروري للأمة ، لأنه إذا فقد العلم ، حل الجهل محله ، وإذا حل الجهل ، فلا تسأل عن حال الناس ، فسوف لا يعرفون كيف يعبدون الله ، ولا كيف يتقربون إليه .

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " **لا تطروني**[1] **كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله** ".متفق عليه

وقال رسول الله ﷺ : " **إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو** " 2

وفي هذا الحديث يحذر الرسول ﷺ أمته من الغلو ، فالغلو مخالف للشرع وهو سبب إهلاك الأمم السابقة وهو يتضمن مفاسد كثيرة منها :

– أنه تنزيل للمغلو فيه فوق منزلته إن كان مدحاً ، وتحتها إن كان قدحاً.

– أنه يؤدي إلى عبادة هذا المغلو فيه كما هو الواقع من أهل الغلو .

– أنه يصد عن تعظيم الله - سبحانه وتعالى - لأن النفس إما أن تنشغل بالباطل أو بالحق ، فإذا انشغلت بالغلو بهذا المخلوق وإطرائه وتعظيمه ، تعلقت به ونسيت ما يجب لله تعالى من حقوق .

– أن المغلو فيه إن كان موجوداً ، فإنه يزهو بنفسه ، ويتعاظم ويعجب بها ، وهذه مفسدة تفسد المغلو فيه إن كانت مدحاً ، وتوجب العداوة والبغضاء وقيام الحروب والبلاء بين هذا وهذا إن كانت قدحاً .

---

[1] **الإطراء : المبالغة في المدح .**

[2] **مسند الإمام أحمد (215/1، 347)، وابن ماجه: كتاب المناسك/ باب قدر الحصى، 1008/2، والحاكم (466/1) – وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي**

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **هلك المتنطعون** ". قالها ثلاثاً . " (رواه مسلم)

قوله : " **المتنطعون** "، المتنطع : هو المتعمق المتقعر المتشدق ، سواء كان في الكلام أو في الأفعال ، فهو هالك ، حتى ولو كان ذلك في الأقوال المعتادة ، فبعض الناس يكون بهذه الحال ، حتى إنه ربما يقترن بتعمقه وتنطعه الإعجاب بالنفس في الغالب ، وربما يقترن به الكبر ، فتجده إذا تكلم يتكلم بأنفه ، فتسلم عليه فتسمع الرد من الأنف إلى غير ذلك من الأقوال . والتنطع بالأفعال كذلك أيضاً قد يؤدي إلى الإعجاب أو إلى الكبر . والتنطع أيضاً في المسائل الدينية يشبه الغلو فيها ، فهو أيضاً من أسباب الهلاك .

فهذه الأحاديث الثلاثة كلها تدل على تحريم الغلو ، وأنه سبب للهلاك ، وأن الواجب أن يسير العبد إلى الله بين طرفي نقيض بالدين الوسط ، فكما أن هذه الأمة هي الوسط ودينها هو الوسط ، فينبغي أن يكون سيرها في دينها على الطريق الوسط .

والحديث الأول يبين أن أول شيء غير به دين الأنبياء هو الشرك ، وسببه هو الغلو في الصالحين . فالغلو في الصالحين من أسباب الشرك ، وليس هو السبب الوحيد للشرك .

فخطر الغلو عظيم ونتائجه وخيمة ، فالواجب تنزيل الصالحين منازلهم ، فلا يستوي الصالح والفاسد ، بل ينزل كل منزلته ، ولكن لا نتجاوز به المنزلة

فنغلو فيه ، فدين الله وسط لا يعطي الإنسان أكثر مما يستحق ، ولا يسلبه ما يستحق ، وهذا هو العدل .

التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح

عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة[1] رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، وما فيها من الصور ، فقال : " **أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله** " منفق عليه

قوله : " **أولئك شرار الخلق عند الله** " لأن عملهم هذا وسيلة إلى الشرك ، وهذا أعظم الظلم وأشده ، فما كان وسيلة إليه ، فإن صاحبه جدير بأن يكون من شرار الخلق عند الله سبحانه وتعالى.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل[2] برسول الله ﷺ ، طفق يطرح خميصة له على وجه، فإذا اغتم بها ، كشفها ، فقال وهو كذلك (أي : وهو في هذه الحال عند الاحتضار) : " **لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[3]** " يحذر ما صنعوا [1]، ولولا ذلك ، أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . " (متفق عليه)

---

[1] أم سلمة : كانت ممن هاجرت مع زوجها إلى أرض الحبشة، ولما توفي زوجها أبو سلمة تزوجها النبي ﷺ، وأخبرته وهو في مرض موته بما رأت .

[2]أي: نزل به ملك الموت لقبض روحه .

[3]مساجد ، أي : أمكنة للسجود ، سواء بنوا مساجد أم لا ، يصلون ويعبدون الله تعالى فيها مع أنها مبينة على القبور .

في هذا الحديث والحديث السابق : التحذير من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد ، وهم أفضل الصالحين .

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : " سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : " **إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**[2] ، **فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك** " رواه مسلم

تبليغه ﷺ بهذا الأمر قبل موته بخمس يدل على أهميته ، وهذا مما يدل على حرص النبي ﷺ على حماية جانب التوحيد ، لأنه خلاصة دعوة الرسل ، ولأن التوحيد أعظم الطاعات ، فالمعاصي ولو كبرت أهون من الشرك .

---

[1]أي: إنه ﷺ قال ذلك في سياق الموت تحذيراً لأمته مما صنع هؤلاء ، لأنه علم أنه سيموت وأنه ربما يحصل هذا ولو في المستقبل البعيد .

[2]"خليل" : هو الذي يبلغ في الحب غايته، لأنه حبه يكون قد تخلل الجسم كله ، والخلة أعظم أنواع المحبة وأعلاها، ولم يثبتها الله - عز وجل - فيما نعلم إلا لاثنين من خلقه، وهما : إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ .

لهذا حرص النبي ﷺ على إبعاد أمته عن الشرك وأسبابه ، ولأن اتخاذ القبور مساجد من وسائل الشرك وذرائعه ، لهذا حرص النبي ﷺ على تحذير أمته منه ، وهذا من كمال رأفته ورحمته بالأمة.

لهذا لا يجوز بناء المساجد على القبور ، لأنها وسيلة إلى الشرك ، وقد تؤدي إلى عبادة صاحب القبر . فيجب البعد عن الشرك ووسائله ، ويجب التغليظ على من عبد الله عند قبر رجل صالح .

وكذلك لا يجوز أيضاً أن تقصد القبور للصلاة عندها ، لأن هذا من اتخاذها مساجد . ولهذا نهى النبي ﷺ أن يصلى إلى القبور فقال ﷺ :
" **لا تصلوا إلى القبور** " رواه مسلم

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " **إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد** "(رواه أحمد وابن خزيمة ،و أبو حاتم ،وقال ابن تيمية : "إسناده جيد" "الاقتضاء")

فهم من شرار الخلق ، وإن لم يشركوا ، لأنهم فعلوا وسيلة من وسائل الشرك ، والوسائل لها أحكام المقاصد ، وإن كانت دون مرتبتها ، لكنها تعطى حكمها بالمعنى العام ، فإن كانت وسيلة لواجب صارت واجبة ، وإن كانت وسيلة لمحرم ، فهي محرمة.

وكل موضع قصدت الصلاة فيه ، فقد اتخذ مسجداً ،بل كل موضع يصلى فيه ،يسمى مسجداً ، كما قال ﷺ : **"جعلت لي أرض مسجداً وطهوراً "** متفق عليه

وعَن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ : قَال رَسُول اللَّهِ ﷺ : " **الأرض كلها مسجد. إلا المقبرة والحمام** ."(رواه ابن ماجة وأحمد بسند صحيح)

وما يفعل عند القبور أنواع هي :

1 - ما هو سنة ، وهي زيارتها على الوجه الشرعي من غير شد الرحال ، يزورها المسلم متبعاً للسنة فيدعو لأهلها عموماً ولأقاربه ومعارفه خصوصاً فيكون محسناً إليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم ، ومحسناً إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والأتعاظ.

2- ما هو بدعة ،وهي زيارتهم للدعاء عندهم وقراءة القرآن ونحو ذلك.

3- شرك أكبر ، وهي زيارة القبور لدعاء الأموات والاستنجاد بهم والاستغاثة وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم،ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه ،أو متوسطون إلى الله.

قاعدة هامة للتفريق بين الشرك الأكبر والأصغر :

إن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده :

" أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله "

فكل اعتقاد أو عمل أو قول ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر .

أما حد الشرك الأصغر فهو : " كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الارادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة " فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر ، فإنه مما يعينك على فهم المواضيع السابقة واللاحقة من هذا الكتاب ، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر اشتباهها والله المستعان .

الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

قال رسول الله ﷺ : " **اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** " (رواه أحمد ومالك)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " **لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج**[1]".[2]

هذا الحديث يدل على تحريم اتخاذ المساجد والسرج على القبور ، فهو كبيرة من كبائر الذنوب للعن فاعله . لأن اللعن لا يكون إلا على كبيرة .

وفي الحديث ما يدل على تحريم زيارة النساء للقبور ، وأنها من كبائر الذنوب ، والعلماء اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال :

القول الأول:تحريم زيارة النساء للقبور،بل إنها من كبائر الذنوب،لهذا الحديث.

القول الثاني : كراهة زيارة النساء للقبور كراهة لا تصل إلى التحريم ، وهذا هو المشهور من مذهب أحمد عن أصحابه ، لحديث أم عطية : " **نهينا عن اتباع الجنائز ، ولم يعزم علينا** " متفق عليه

القول الثالث : أنها تجوز زيارة النساء للقبور ، لحديث المرأة : التي مر النبي ﷺ بها وهي تبكي عند قبر ، فقال لها : "**اتقي الله واصبري**". فقالت: إليك عني ، فإنك لم تصب بمثل مصيبتي . فانصرف الرسول ﷺ عنها، فقيل لها: هذا رسول الله ﷺ. فجاءت إليه تعتذر ، فلم يقبل عذرها، فقال: "**إنما**

---

[1]"السرج" جمع سراج ، توقد عليها السرج ليلاً ونهاراً تعظيماً وغلواً فيها .

[2]أحمد أبو داود ، والترمذي: وقال: "حديث حسن".

الصبر عند الصدمة الأولى" (متفق عليه) ، فالنبي ﷺ شاهدها عند القبر و لم ينهها عن الزيارة ، وإنما أمرها أن تتقي الله وتصبر .

ولما ثبت في "صحيح مسلم" من حديث عائشة الطويل ، وفيه : أن جبريل أتاه في الليل وأمره ، فخرج ﷺ مختفياً عن عائشة ، وزار أهل البقيع واستغفر لهم ودعا لهم ورجع ، ثم أخبرها الخبر ، فقالت : ما أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : " **قولي : السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ...**" إلخ .

قالوا : فعلمها النبي ﷺ دعاء زيارة القبور ، وتعليمه هذا دليل على الجواز .

القول الرابع : أن زيارة النساء للقبور سنة كالرجال ، لقوله ﷺ :

" **كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة** "[1]

فقالوا هذا عام للرجال والنساء .

ولأن عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها ، فقال لها عبد الله بن أبي مليكة ، أليس النبي ﷺ قد نهى عن زيارة القبور ؟ قالت : إنه أمر بها بعد ذلك "[1]. وهذا دليل على أن حديث التحريم منسوخ .

---

[1] **أحمد ، ومسلم بلفظ: "نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ،ونهيتكم عن لحوم الأضاحي. "**

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ،ولا تجعلوا قبري عيداً ،وصلوا علي ،فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم** "[2]

المراد بـــ " **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً** "، أي: مثل القبور في عدم الصلاة فيها ، فهو دليل على أنه ينبغي إن لم نقل : يجب أن يجعل الإنسان من صلاته في بيته ولا يخليه من الصلاة .

قوله : "**عيداً** " ، العيد : اسم لما يعتاد فعله ، أو التردد إليه ، فإذا اعتاد الإنسان أن يعمل عملاً كما لو كان كلما حال عليه الحول صنع طعاماً ودعا الناس ، فهذا يسمى عيداً لأنه جعله يعود ويتكرر .

أي : لا ترددوا على قبري وتعتادوا ذلك ، سواء قيدوه بالسنة أو بالشهر أو بالأسبوع ، فإنه ﷺ نهى عن ذلك ، وإنما يزار لسبب ، كما لو قدم الإنسان من سفر ، فذهب إلى قبره فزاره ، أو زاره ليتذكر الآخرة كغيره من القبور .

---

[1]الترمذي: كتاب الجنائز ، وذكره الهيثمي في "المجمع"، وقـــال: رواه الطـــبراني في "الكبير" ورجاله رجال الصحيح، والبغوي في "شرح السنة".

[2]مسند الإمام أحمد (367/2)، وسنن أبي داود: كتاب المناسك ، وقال النووي "إسناده صحيح" وقال ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم": إسناده حسن .

قوله : " **وصلوا علي** " ، هذا أمر ، أي : قولوا : "**اللهم صلي على محمد** " والصلاة من الله على رسوله ليس معناها كما قال بعض أهل العلم : إن الصلاة من الله الرحمة .فهذا ليس بصحيح ، بل إن صلاة الله على المرء ثناؤه عليه في الملأ الأعلى ، كما قال أبو العالية وتبعه على ذلك المحققون من أهل العلم .ويدل على بطلان القول الأول قوله تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾ [البقرة: 157]، فعطف الرحمة على الصلوات ، والأصل في العطف المغايرة ، ولأن الرحمة تكون لكل أحد ، ولهذا أجمع العلماء على أنه يجوز أن تقول : فلان رحمه الله .

قوله : " **فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم** " أي :صلوا علي وسلموا ، فإن تسليمكم وصلاتكم تبلغني حيث كنتم .أما كيف تبلغه الصلاة عليه؟

فالجواب :عن طريق الملائكة . فقد ورد عن النبي ﷺ " **أن لله ملائكة سياحين يسيحون في الأرض يبلغون النبي ﷺ سلام أمته عليه** " [1]

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها ، فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً

---

[1] **النسائي: وقال ابن القيم في "جلاء الإفهام" (ص: 23): "وهذا إسناد صحيح".**

سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ ، قال : **"لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي ، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم "**.[1]

قوله : " **يجيء إلى فرجة** "، هذا الرجل لا شك أنه لم يتكرر مجيئه إلى هذه الفرجة إلا لاعتقاده أن فيها فضلاً ومزية ، وكونه يظن أن الدعاء عند القبر ، له مزية فتح باب ووسيلة إلى الشرك ، بل جميع العبادات إذا كانت عند القبر ، فلا يجوز أن يعتقد أن لها مزية ، سواء كانت صلاة أو دعاء أو قراءة ، ولهذا نقول : تكره القراءة عند القبر إذا كان الإنسان يعتقد أن القراءة عند القبر أفضل .

قوله : **"فنهاه"**، أي: طلب منه الكف.

وقوله : **"وصلوا علي "**، سبق معناها، والمراد: صلوا علي في أي مكان كنتم ، ولا حاجة إلى أن تأتوا إلى القبر وتسلموا علي وتصلوا علي عنده .

---

[1] البخاري في "التاريخ الكبير "، وأبو يعلى ، كما في " مجمع الزوائد".وقال الهيثمي: "وفيه جعفر بن إبراهيم الجعفري، ذكره أبو حاتم ولم يذكر فيه جرحاً، وبقية رجاله ثقات".وفيه أيضاً علي بن عمر بن الحسين ، مستور، كما في "التقريب" ورواه أيضاً: الضياء في "المختارة"، كما في "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص 322).

عبادة بعض هذه الأمة الأوثان

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِن الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا** ﴾

[النساء: 51].

قوله ﴿ **الْجِبْت** ﴾ اسم عام لكل ما فيه مخالفة لأمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ في الاعتقاد.

قد يكون الجبت سحراً ، وهذا هو الذي فسَّرها كثير من السلف بأن الجبت السحر.

وقد يكون الجبت الكاهن.

وقد يكون الشيء المرذول الذي يضر صاحبه.

قوله ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾ يعني يؤمنون بالسحر ويؤمنون بالباطل وعبادة غير الله جل وعلا .

﴿ **يُؤْمِنُونَ... بالطَّاغُوتِ** ﴾ الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد ، فالطاغية هو الذي تجاوز الحد في أمر الدين بأن جعل ما لله له.

وأحسن ما عرف به الطاغوت : هو كل ما تجاوز به العبد حده ، من معبود أو متبوع أو مطاع.

(**المتبوع**) مثل العلماء أو القادة في أمر الدين ، إذا تجاوز الناس بهم حدهم فصاروا يتبعونهم في كل ما قالوا وإن أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال أو جعلوا لهم السنة بدعة أو البدعة سنة وهم يعلمون أصل الدين ولكنهم خالفوا لأجل ما قال فلان فإن هذا قد تُجُوِّز به حدّه ، فإن حد المتبوع في الدين أن يكون آمراً بما أمر به الشرع ، ناهياً عن ما نهى عنه الشرع ، فإذا أحل الحرام أو حرَّم الحلال فإنه يُعتبر طاغوتاً، ومن اتبعه فإنه يكون قد تجاوز به حده وقد أقرَّ بأنه طاغوت واتخذه كذلك .

(**مطاع**) وهم الأمراء والملوك والحكام والرؤساء الذين يأمرون بالحرام فيطاعون ويأمرون بتحريم الحلال فيطاعون في ذلك ، مع علم المطيع بما أمر الله جل وعلا به ، فهؤلاء اتخذوهم طواغيت لأنهم جاوزوا بهم حدهم.

فيدخل في الطاغوت كل هذه الأنواع الذين عبدوا والذين اتبعوا والذين أطيعوا.

فهذه الآية الكريمة تبين أن الإيمان بالجبت والطاغوت حصل ووقع من الذين أوتوا نصيباً من الكتاب – من اليهود والنصارى – ، والنبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن ما وقع في الأمم قبلنا سيقع في هذه الأمة كما قال في حديث أبي سعيد الآتي (**لَتتبِعُنّ سَنَنَ من كان قبلَكم حَذْوَ القذة بالقذة , حتّى لو دَخَلوا جُحرَ ضَبّ لَدَخلتُموهُ**) فمثل بشيء صغير وهو دخول جحر

الضب الذي لا يمكن أن يُفعل تنبيها على أن ما هو أعلى من ذلك سيقع من هذه الأمة كما وقع من الأمم قبلنا.

والإيمان بالجبت والطاغوت حصل من هذه الأمة ، فإن منهم من آمن بالسحر ، ومنهم من آمن بعبادة غير الله , ومنهم من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله , وتحريم ما أحل الله ، فكانوا بذلك متبعين سنن من كان قبلهم , فحصل منهم إيمان بالجبت والطاغوت , كما حصل من الأمم قبلهم .

وقال تعالى :﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾ (المائدة: 60)

قوله: ﴿ **وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾ : (الطَّاغُوتَ) مفعول (عَبَدَ), و(عَبَدَ) تكون معطوفة على قوله ﴿لَعَنَ﴾ ؛ يعني : من لعنه الله ومن عبد الطاغوتَ , وعبادة الطاغوت وقعت في أولئك الملعونين , وبما أن ما وقع في الأمم السالفة بخبر النبي ﷺ سيقع في هذه الأمة فإننا نعلم أن في هذه الأمة من سيعبد الطاغوت كما عبدها أولئك .

وعن أبي سعيد (رضي الله عنه) ، أن رسول الله ﷺ قال: "« **لَتتَّبعُنَّ سُنَنَ من كان قَبلَكم حَذْوَ القذة بالقذة , حتّى لو دَخَلوا جُحرَ ضَبٍّ لَدَخَلتُموهُ** ». قلنا: يا رسولَ الله , اليهودَ والنصارَى ؟ قال: « **فمن** » ؟ " متفق عليه

قوله (**سَنَن**) هذه تروى هكذا (**سَنَن**) بفتحتين فتح السين والنون.
وتروى أيضاً (**سُنَن**) ، والسُنن سُنّة وهي الطريقة ؛ يعني كأنه قال لَتتّبِعُنّ سُنن من كان قبلكم يعني طرائق من كان قبلكم يعني في الدين.
وعلى الضبط الآخر الذي أقرأ به (**لَتتّبِعُنّ سَنَنَ من كان قبلَكم**) السَّنَن مفرد وهو السبيل والطريق يعني لتتبعن سبيل من كان قبلكم.
واللام في قوله (**لَتتَّبِعُنّ**) هي الواقعة في جواب القسم ، نفهم من وجود اللام أنّ النبي عليه الصلاة والسلام أقسم على ذلك ؛ فقال مؤكداً : والله لتتبعن سَنن من كان قبلكم ؛ لأن اللام هذه واقعة في جواب القسم ،فقد أقسم عليه الصلاة والسلام ليؤكد هذا الأمر تأكيداً عظيماً بأن هذه الأمة ستتبع طريقة وسبيل من كان قبلها من الأمم ، وهذا تحذير ، لأن الأمم السالفة إما أن تكون من أهل الكتاب – اليهود والنصارى – ، وهؤلاء قد وصفهم الله جل وعلا بأنهم مغضوب عليهم وضالون ، فإذا اُتخذت سبيلهم سبيلاً في هذه الأمة معنى ذلك أن هذه الأمة تعرضت للغضب واللعنة، وهذا حصل في هذه الأمة فإن منهم من سلك سبيل اليهود ، ومنهم من سلك سبيل النصارى ، ولهذا قال بعض السلف: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عُبادنا ففيه شبه من النصارى . لأن اليهود خالفوا على علم ، والنصارى خالفت على ضلالة ، وقد قال جل وعلا ﴿**غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ**﴾[الفاتحة:7]، والمغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى كما فسرها النبي ﷺ.

قال "**حذو القذة بالقذة** " القذة :هي ريشة السهم ."**فحذو القذة بالقذة** " يعني من التساوي ، تكون ريشة السهم مساوية لأختها تساوٍ تام لا تفرق بين واحدة والأخرى ، فإذا نظرت في هذه ونظرت في هذه وجدت أهما متماثلتان لا فرق بينهما، وهذا هو الواقع ، فإن في هذه الأمة وقع التماثل ، فحصل مثل ما حصل من الأمم قبلنا في أبواب الربوبية وفي أبواب الألوهية وفي الأسماء والصفات وكذلك في العمل وكذلك في السلوك وكذلك في أفعال الله جل وعلا ، فكل شيء كان فيمن قبلنا وقع في هذه الأمة نسأل الله جل وعلا السلامة.

فهذا الحديث الشريف يدل دلالة واضحة على أن كل كُفْرٍ وشرك وقع في الأمم السالفة فسيقع في هذه الأمة ، الأمم السالفة عبدت الأوثان وكفرت بالله جل وعلا فسيقع في هذه الأمة من يعبد الأوثان ومن يكفر بالله جل وعلا في الربوبية وفي الإلهية وفي الأسماء والصفات وفي أفعال الله جل وعلا وفي الحكم والتحاكم ، وهكذا في أنواع كثيرة مما حصل فيمن قبلنا حتى في أمور السلوك والبدع ؛ بل حتى في أمور الأخلاق والعادات التي قد تتصل بالدين فإن بعض هذه الأمة سلكت مسلك الأمم قبلها مخالفة نهي النبي ﷺ.

وعن ثوبان (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: « **إِنَّ اللّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ. فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُها مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ . وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبّي لأِمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا**

بِسَنَةٍ عَامَّةٍ. وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ. فيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبّي قَالَ : يَا مُحَمّدُ إِنّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدّ. وَإِنّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ. وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَىَ أَنْفُسِهِمْ. يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ. وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّىَ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً, وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً».رواه مسلم ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد: « **وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف ، لم يُرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تَعبد فئام من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي عَلَى الْحَقِّ منصورة. لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ . حَتّىَ يَأْتِيَ أَمْرُ اللّهِ تبارك وتعالى** ».

قوله : (**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**) : الأئمة المضلون هم الذين اتخذهم الناس أئمة , قد يكون من جهة الدين ، وقد يكون من جهة الوِلاية – يعني ولاية الحُكم– ، والأئمة المضلون يملكون زمام الناس فيضلون الناس بالبدع وبالشركيات ويُحسِّنونها لهم حتى تغدوا في أعينهم حقاً، وكذلك أصحاب النفوذ وأصحاب الحكم فإنهم إذا كانوا مضلين فإن بيدهم الأمر الذي يجعلهم يَفرضون على الناس أشياء ويُلزمونهم بأشياء مضادة لشرع محمد ﷺ من أمور العقيدة والتوحيد ومن أمور السلوك والعمل ومن أمور الحكم والتحاكم .

وقع ما خاف منه عليه الصلاة والسلام فكثر الأئمة المضلون في الأمة؛ الأئمة المضلون من جهة الأتباع والأئمة المضلون من جهة الطاعة.

قوله : (**حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**) يلحق بالمشركين هل هو من جهة ترك بلاد المسلمين والذهاب إلى أرض المشركين ؟ أم يلحقوا بالمشركين في الصفات والخصال ؟ يحتمل هذا وهذا .

يلحق بالمشركين : من جهة ترك بلاد الإسلام والذهاب إلى بلاد المشركين رضى بهم وبدينهم ، أو من جهة الصفات ، فيشركون كما أشرك المشركون ويَرتدون على أدبارهم.

قوله :(**حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**) الفئام هي الجماعات الكبيرة. فهذا الحديث يدل وبشكل واضح أن عبادة الأوثان وعبادة غير الله جل وعلا واقعة في جماعات كبيرة من هذه الأمة كما وقعت في الأمم السالفة ، والمقصود بهذه الأمة هي أمة الإجابة . لأن أمة الدعوة وهم جميع الإنس والجن ؛ منهم من عبد الأوثان واستمر على عبادتها بعد بعثة النبي ﷺ و لم يرض ببعثته و لم يقبل ذلك.

فجماعات كبيرة من أمة الإجابة يعني من أجاب الرسول ﷺ في دعوته تتقادم بهم العهود حتى يرتدوا على أدبارهم ويتركوا دينهم.

قوله : (**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي عَلَى الْحَقّ منصورة**) هذه الطائفة المنصورة هي التي قال فيها عليه الصلاة والسلام في حديث آخر « **لاَ تَزَالُ**

طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقّ » (متفق عليه)، وهي التي قال فيها عليه الصلاة والسلام « **وَسَتَفْتَرِقُ هذه الأمَّة عَلَى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً. كُلّهَا فِي النّارِ , إلاّ وَاحِدَةً. وَهِيَ الْجَمَاعَةُ** » (رواه أبو داود وابن ماجه) فالطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية وهي الجماعة بجمع أحاديث النبي ﷺ، وسميت منصورة لأن الله جل وعلا نصرها على من ناوأها بالحجة والبيان ، نَصْرُها الذي وعدت به ليس نصراً بالسنان ولكنه نصر بالحجة والبيان ، فهم وإن هزموا في بعض المعارك فهم الظاهرون على من سواهم بالحجة والبيان ، وهم المنصورون بما أعطاهم الله جل وعلا من الحجة والنصوص والصواب والحق على من سواهم ، فهم على الحق وسواهم على الباطل.

هذان اللفظان فرقة ناجية ، وطائفة منصورة ، اسمان لشيء واحد وإنما هو من باب تنوع الصفات ، فقال عنها الطائفة المنصورة هنا (**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي عَلَى الْحَقّ منصورة**) لأنها موعودة بالنصر كما قال جل وعلا ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[غافر:59]، فهم منصورون ، كما قال أيضاً ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ**﴾[الصافات:171-173]، فقولهم هو المنصور وهو الظاهر وحجتهم هي الظاهرة ، وقد يكون من النصر والتمكين في أرض الله ما أعطاهم الله جل وعلا من ذلك ، وهم أيضاً الفرقة الناجية التي جاءت في حديث الافتراق ، ناجية يعني موعودة بالنجاة من النار ، فهم موصوفون

بالنصر وموصوفون بالنجاة من النار ، وموصوفون بالنصر على عدوهم بالحجة والبيان ، وقد يكون مع ذلك نصر بالسيف والسنان ونحو ذلك.

السحر

قال تعالى : ﴿ **وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة :102)

معنى ﴿ **اشْتَرَاهُ** ﴾ أي : تعلمه.

قوله: ﴿ **مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ** ﴾ أي : ما له من نصيب ، وكل من ليس له في الآخرة من خلاق ، فمقتضاه أن عمله حابط باطل ، لكن إما

أن ينتفي النصيب انتفاء كلياً فيكون العمل كفراً ، أو ينتفي كمال النصيب فيكون فسقاً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"اجتنبوا السبع الموبقات**. قالوا : يا رسول الله ! وما هن ؟ قال : **" الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات "** (متفق عليه)

قوله : **"اجتنبوا "** وهي أبلغ من قوله : اتركوا ، لأن الاجتناب معناه أن تكون في جانب وهي في جانب آخر ، وهذا يستلزم البعد عنها. أي: اتركه مع البعد .

وقوله : **" السبع الموبقات "**. هذا لا يقتضي الحصر ، فإن هناك موبقات أخرى ، ولكن النبي ﷺ يحصر أحياناً بعض الأنواع والأجناس ، ولا يعني بذلك عدم وجود غيرها. و **" الموبقات "** أي : المهلكات .

قوله : **" الشرك بالله "** الشرك بالله يتناول الشرك بربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته.

فمن اعتقد أن مع الله خالقاً أو معيناً ، فهو مشرك ، أو أن أحداً سوى الله يستحق أن يعبد ، فهو مشرك وإن لم يعبده ، فإن عبده ، فهو أعظم ، أو أن لله مثيلاً في أسمائه ، فهو مشرك ، أو أن الله استوى على العرش كاستواء الملك على عرش مملكته ، فهو مشرك ، أو أن الله ينزل إلى السماء الدنيا

كنزول الإنسان إلى أسفل بيته من أعلى ، فهو مشرك . ومن صرف أحد العبادات لغير الله فهو مشرك سواءً اعتقد صحة ذلك أو لم يعتقده . ومن تحاكم إلى غير شرع الله فقد أشرك .

قوله: "**وقذف المحصنات** ". القذف : بمعنى الرمي ، والمراد به هنا الرمي بالزنا ، والمحصنات هنا الحرائر .

والغافلات : هن: العفيفات عن الزنا البعيدات عنه ، اللاتي لا يخطر على بالهن هذا الأمر .

وهل قذف المحصنين الغافلين المؤمنين كقذف المحصنات من كبائر الذنوب ؟

الجواب : الذي عليه جمهور أهل العلم أن قذف الرجل كقذف المرأة، وإنما خص بذلك المرأة ، لأن الغالب أن القذف يكون للنساء أكثر ، إذ البغايا كثيرات قبل الإسلام ، وقذف المرأة أشد ، لأنه يستلزم الشك في نسب أولادها من زوجها ، فيلحق بهن القذف ضرراً أكثر ، فتخصيصه من باب التخصيص بالغالب .

وعن جندب مرفوعاً : **"حد الساحر ضربة بالسيف"**. [1]

وعن بجالة بن عبدة رضي الله عنه قال : " كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ". قال : "فقتلنا ثلاث سواحر " رواه البخاري وأحمد وأبو داود

وعن حفصة رضي الله عنها، " أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت " رواه الإمام مالك في "الموطأ "

وصح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ وهم : عمر ، وحفصة ، وجندب الخير رضوان الله عليهم . [2]

السحر لغة : ما خفي ولطف سببه ، ومنه سمي السَّحَر لآخر الليل ، لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية ، وكذلك سمي السحور ، لما يؤكل في آخر الليل ، لأنه يكون خفياً ، فكل شيء خفي سببه يسمى سحراً .

وأما في الشرع ، فإنه ينقسم إلى قسمين :

---

[1] أخرجه الترمذي ،والطبراني في "الكبير" ،والدارقطني والحاكم . قال الترمذي: "لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث والصحيح عن جندب موقوف،وقال الحافظ في"الفتح":"إسناده ضعيف"

[2] البخاري في "التاريخ الكبير" ، والبيهقي ، والطبراني في "الكبير".

الأول : عقد ورقي ، أي : قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور ، لكن قد قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ** ﴾ [البقرة: 102].

الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله، فتجده ينصرف ويميل ، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف .

فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى ، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء ، والصرف بالعكس من ذلك .

فالسحر يؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك.

ويؤثر في تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه.

ويؤثر في عقله ، فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله.

فالسحر قسمان :

1- شرك : وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين ، يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور .

2- عدوان وفسق :وهو الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها.

قال رسول ﷺ : " **من أتى عرافاً، فسأله عن شيء فصدقه**[1] **بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً** "مسلم وأحمد

العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك .

ظاهر الحديث أن مجرد سؤال العراف يوجب عدم قبول صلاة أربعين يوماً ، ولكنه ليس على إطلاقه ، فسؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : أن يسأله سؤالاً مجرداً ، فهذا حرام يوجب عدم قبول ثواب صلاة أربعين يوماً لقول النبي ﷺ : "**من أتى عرافاً...**" ، فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه ، إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم .

القسم الثاني : أن يسأله فيصدقه ، ويعتبر قوله : فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن ، حيث قال تعالى : ﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ [النمل: 65].

القسم الثالث : أن يسأله ليختبره : هل هو صادق أو كاذب ، لا لأجل أن يأخذ بقوله ، فهذا لا بأس به ، ولا يدخل في الحديث .

---

[1] **"فصدقه". ليس في "صحيح مسلم" وإنما هي في أحمد ، بل الذي في "مسلم": "فسأله، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"**

وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد ، فقال : "**ماذا خبأت لك؟** قال : الدخ فقال: **اخسأ** ، **فلن تعدو قدرك** " (متفق عليه) ، فالنبي ﷺ سأله عن شيء أضمره ، لأجل أن يختبره ، فأخبره به .

القسم الرابع : أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه ، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه ، وهذا مطلوب ، وقد يكون واجباً .

وإبطال قول الكهنة والعرَّافين لا شك أنه أمر مطلوب ، وقد يكون واجباً ، فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه ، بل يُفَصَّل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلت عليه الأدلة الشرعية الأخرى .

يدل هذا الحديث على تحريم إتيان العراف وسؤاله ، إلا ما استثني ، كالقسم الثالث والرابع ، لما في إتيانهم وسؤالهم من المفاسد العظيمة ، التي تترتب على تشجيعهم وإغراء الناس بهم ، وهم في الغالب يأتون بأشياء كلها باطلة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "**من أتى كاهناً، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** "[1]

الكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل .

---

[1]أحمد في "المسند" ، وأبو داود : كتاب الطب ، والترمذي: كتاب الطهارة ، وابن ماجة: كتاب الطهارة ، باب النهي عن إتيان الحائض.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **"من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ "** [1]

وعن عمران بن حصين مرفوعاً : **" ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ".** [2]

فهذه الأحاديث تدل على أن من يصدق الكاهن أو العرَّاف في علم الغيب وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً من الملة .

حكم الساحر :

1- من كان سحره بواسطة الشيطان ، فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالباً .

2- من كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها ، فلا يكفر ، ولكن يعتبر عاصياً معتدياً.

---

[1] أحمد في "المسند" ، وأبو داود: كتاب الطب ، والترمذي: كتاب الطهارة ، وابن ماجة: كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض.

[2] البزار في "المسند" (3044)، والهيثمي في "المجمع" (118/5). قال المنذري في "الترغيب": "إسناده جيد"، وقال الهيثمي: "ورجاله ، رجال الصحيح".

وقد اختلف العلماء في كفر الساحر على قولين :

فمنهم من أطلق الكفر ،وهو قول جمهور العلماء لقوله تعالى:﴿ **وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ... إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** ﴾ (البقرة :102)

ومنهم من نص على التقسيم الذي ذكرناه في الأعلى وهو الأظهر .

وأما قتل الساحر : فإن كان سحره كفراً ، قتل قتل ردة ، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته ، وهو الصحيح ، وإن كان سحره دون الكفر ، قتل قتل الصائل ، أي : قتل لدفع أذاه وفساده في الأرض ، وعلى هذا يرجع في قتله إلى اجتهاد الإمام وظاهر النصوص أنه يقتل بكل حال .

قال ابن هبيرة في كتابه "الإشراف على مذاهب الأشراف ":

" وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله :

- فقال مالك وأحمد نعم .
- وقال الشافعي وأبو حنيفة لا .

فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد .

وقال أبو حنيفة لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين.

- وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فإنه قال يقتل والحالة هذه قصاصاً " وإن تاب الساحر قبلت توبته على الصحيح من أقوال العلماء ، وقد اختلفوا في ذلك :

قال ابن هبيرة في نفس الكتاب : " وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته ؟ :

- فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم لا تقبل .

وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى تقبل .

وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر المسلم.

وقال مالك وأحمد والشافعي لا يقتل يعني لقصة لبيد بن الأعصم .

- واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس .

- وقال الثلاثة حكمها حكم الرجل والله أعلم " انتهى.

وذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه إذا تعلم السحر ، يقال له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يستوجب الكفر -مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب ، وأنها تفعل ما يطلب منها-؛ فهو كافر ، وإن كان لا يصل إلى حد الكفر واعتقد إباحته، فهو كافر لاستحلاله المحرم ، وإلا ؛ فلا.

والحاصل : أنه يجب أن تقتل السحرة ، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل ، لأنهم يمرضون ويقتلون ، ويفرقون بين المرء وزوجه ، وكذلك بالعكس ، فقد يعطفون فيؤلفون بين الأعداء ، ويتوصلون إلى أغراضهم ، فإن بعضهم قد يسحر أحداً ليعطفه إليه وينال مأربه منه ، كما لو سحر امرأة ليبغي بها،

ولأنهم كانوا يسعون في الأرض فساداً ، فكان واجباً على ولي الأمر قتلهم بدون استتابة مادام أنه لدفع ضررهم وفظاعة أمرهم .

هل للسحر حقيقة ؟

قد دل قوله تعالى : ﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾ (الفلق :4) على أن للسحر حقيقة ، وإلا ، لم يأمر الله بالاستعاذة منه.

وكذلك قوله تعالى :﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾ (البقرة :10) ،فهذه الآية تدل عل أن للسحر حقيقة تكون سبباً للتفريق بين المرء وزوجه.

ومما يدل أيضاً على أن للسحر حقيقة : حديث عائشة رضي الله عنها-: " أن النبي صلى الله عليه وسلم سُحرَ ، حتى إنه ليُخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، وأنه قال لها ذات يوم : **أتاني ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال: ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب. قال: من طبَّه ؟ قال: لبيد ابن الأعصم في مشط ومشاطة ، وفي جف طلعة في بئر ذروان** " (متفق عليه).

وهذا القول هو قول أهل السنة ، وعليه جمهور علماء المسلمين. وذهب بعضهم إلى أنه لا حقيقة له ، وهو مذهب المعتزلة ، واستدلوا بقوله تعالى :

﴿ **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** ﴾ (طه: 66) و لم يقل: تسعى على الحقيقة, وقالوا: إن السحر إنما هو تمويه وتخيل وإيهام لكون الشيء لا حقيقة له، وأنه ضربٌ من الشعوذة!

قال ابن القيم رحمه الله رداً على ذلك : "وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف ، واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب من أهل التصوف ، وما يعرفه عامة العقلاء ، والسحر الذي يؤثر مرضاً وثقلاً وحلّاً وعقداً وحُبّاً وبغضاً وتزييفاً وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس .." إلخ (بدائع الفوائد" (2 / 227).)

وقال القرطبي رحمه الله بعدما ذكر قول المعتزلة واستدلالهم : " وهذا لا حجة فيه ؛ لأنا لا ننكر أن يكون التخيل وغيره من جملة السحر ، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوَّزها العقل ، وورد بها السمع : فمن ذلك ما جاء في هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه (يعني: قوله –تعالى–: (**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**) الآية ، ولو لم يكن له حقيقة ؛ لم يمكن تعليمه ، ولا أخبر أنهم يعلمونه الناس ، فدل على أن له حقيقة. وقوله تعالى في قصة فرعون: ﴿**وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**﴾ (الأعراف 116) وسورة الفلق ، مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم ". ثم ساق الحديث –وقدمناه– ثم قال: "وفيه أن النبي ﷺ قال لما حل السحر :

"**إن الله شفاني** " والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض ، فدل على أن له حقًّاً وحقيقة ، فهو مقطوع به ، بإخبار الله تعالى ورسوله عن وجوده ووقوعه ، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق.." إلخ.

بعض أنواع السحر

قال النبي ﷺ : "**إن العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت** " [1]

العيافة : مصدر عاف يعيف عيافة ، وهي: زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل . ووجه كون العيافة من السحر أن العيافة يستند فيها الإنسان إلى أمر لا

---

[1] **رواه أحمد والنسائي وأبو داود بسند صحيح .**

حقيقة له : فماذا يعني كون الطائر يذهب يميناً أو شمالاً أو أماماً أو خلفاً؟ فهذا لا أصل له ، وليس بسبب شرعي ولا حسي ، فإذا اعتمد الإنسان على ذلك ، فقد اعتمد على أمر خفي لا حقيقة له ، وهذا سحر كما سبق تعريف السحر في اللغة.

الطرق : فسره عوف : بأنه الخط يخط في الأرض ، وكأنه من الطريق ، من طرق الأرض يطرقها إذا سار عليها ، وتخطيطها مثل المشي عليها يكون له أثر في الأرض كأثر السير عليها.

ومعنى الخط بالأرض معروف عندهم ، يضربون به على الرمل على سبيل السحر والكهانة ، ويفعله النساء غالباً .

الطيرة : على وزن فعلة ، وهو اسم مصدر تطير ، وهي التشاؤم بمعلوم مرئياً كان أو مسموعاً ، زماناً كان أو مكاناً ، كالتطير بالزمان . وأصل التطير : التشاؤم ، لكن أضيفت إلى الطير ، لأن غالب التشاؤم عند العرب بالطير ، فعلقت به ، وإلا فإن تعريفها العام : التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم .

وكان العرب يتشاءمون بالطير وبالزمان وبالمكان وبالأشخاص ، وهذا من الشرك كما قال النبي ﷺ . فينبغي للموحد أن لا يطرأ التشاؤم له على بال ، لأنه ينكد عليه عيشه ، فإذا رأى في أمر مصلحة فلا يتقاعس عنه في أول محاولة ، ويحاول مرة بعد أخرى حتى يفتح الله عليه .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **"من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد "**.[1]

قوله: "**اقتبس**". أي تعلم ، لأن التعلم وهو أخذ الطالب من العالم شيئاً من علمه بمنزلة الرجل يقتبس من صاحب النار شعلة.

قوله: "**شعبة** ". أي: طائفة

قوله: "**من النجوم** ". المراد : علم النجوم ، وليس المراد النجوم أنفسها، لأن النجوم لا يمكن أن تقتبس وتتعلم ، والمراد به هنا علم النجوم الذي يستدل به على الحوادث الأرضية ، فيستدل مثلاً باقتران النجم الفلاني بالنجم الفلاني على أنه سيحدث كذا وكذا .

ويستدل بولادة إنسان في هذا النجم على أنه سيكون سعيداً ، وفي النجم الآخر على أنه سيكون شقياً ، فيستدلون باختلاف أحوال النجوم على اختلاف الحوادث الأرضية ، والحوادث الأرضية من عند الله ، قد تكون أسبابها معلومة لنا ، وقد تكون مجهولة ، لكن ليس للنجوم بها علاقة. فالنجوم لا تأتي بالمطر ولا تأتي بالرياح أيضاً .

---

[1]أحمد في "المسند" ، وأبو داود في (الطب)، وابن ماجة في (الأدب)، وصححه النووي في "رياض الصالحين" ، وقال ابن تيمية في "الفتاوى" "إسناده صحيح".

قوله : " **زاد ما زاد** ". أي : كلما زاد شعبة من تعلم النجوم ازداد شعبة من السحر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : **"من عقد عقدة ، ثم نفث فيها ، فقد سحر ، ومن سحر ، فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً ،وكل إليه "** (أخرجه النسائي وحسنه)

قوله : " **ثم نفث فيها** ". النفث: النفخ بريق خفيف، والمراد هنا النفث من أجل السحر . أما لو عقد عقدة ، ثم نفث فيها من أجل أن تحتكم بالرطوبة ، فليس بداخل في الحديث ، والنفث من أجل السحر يفعلونه بعض الأحيان للصرف ، فيصرفون به الرجل عن زوجته ، ولا سيما عند عقد النكاح ، فيبعد الرجل عن زوجته ، فلا يقوى على جماعها ، فمن عقد هذه العقدة ، فقد وقع في السحر كما قال تعالى : ﴿**ومن شر النفاثات في العقد**﴾ [الفلق: 4].

وقوله : " **فقد أشرك** ". هذا لا يتناول جميع السحر ، إنما المراد من سحر بالطرق الشيطانية.

أما من سحر بالأدوية والعقاقير وما أشبهها ، فقد سبق أنه لا يكون مشركاً ، لكن الذي يسحر بواسطة طاعة الشياطين واستخدامهم فيما يريد ، فهذا لا شك أنه مشرك.

قوله : "**ومن تعلق شيئاً** ". أي: استمسك به، واعتمد عليه.

" **وكل إليه** " أي: جعل هذا الشيء الذي تعلق به عماداً له ، وكله الله إليه ، وتخلى عنه.

ولهذا ينبغي أن تكون دائماً متعلقاً بالله في كل أفعالك وأحوالك حتى في أهون الأمور .

النشرة (حل السحر عن المسحور)

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة؟ فقال : "**هي من عمل الشيطان** ".

(أحمد، وأبو داود،والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.قال ابن حجر:"إسناده حسن")

قوله : "**من عمل الشيطان** " أي : من العمل الذي يأمر به الشيطان ويوحي به ، لأن الشيطان يأمر بالفحشاء ويوحي إلى أوليائه بالمنكر .

وعن قتادة : " قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع ، فلم ينه عنه" (البخاري في "الصحيح" تعليقاً: كتاب الطب)

"رجل به طب ". أي : سحر

قوله: "أو يؤخذ عن امرأته". أي : يحبس عن زوجته، فلا يتمكن من جماعها ، وهو ليس به بأس ، وهذا نوع من السحر .

وروي عن الحسن أنه قال : " لا يحل السحر إلا ساحر" (فتح الباري) فمراد الحسن الحل المعروف غالباً ، وأنه لا يقع إلا من السحرة.

يتبين من ذلك أن حل السحر عن المسحور على نوعين :

الأول : أن يكون بالسحر والعقد والنفث وما أشبه ذلك ، باستخدام الشياطين فإن كان لا يصل إلى حاجته منهم إلا بالشرك ، كانت شركاً، وإن كان يتوصل لذلك بمعصية دون الشرك ، كان لها حكم تلك المعصية.

الثاني : بالقرآن والتعوذات المشروعة والأدوية الطبية فهذا جائز .

التطَيُّر

التطير : لغة : مصدر تطير ، وأصله مأخوذ من الطير ، لأن العرب يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور على الطريقة المعروفة عندهم بزجر الطير ، ينظر: هل يذهب يميناً أو شمالاً أو ما أشبه ذلك ، فإن ذهب إلى الجهة التي فيها التيامن ، أقدم ، أو فيها التشاؤم ، أحجم .

أما في الاصطلاح : فهو التشاؤم بمرئي ، أو مسموع ، أو معلوم .

بمرئي مثل: لو رأى طيراً فتشاءم لكونه موحشاً.

أو مسموع مثل: من همَّ بأمر فسمع أحداً يقول لآخر : يا خسران ، أو يا خائب ، فيتشاءم .

أو معلوم : كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات، فهذه لا ترى ولا تسمع .

واعلم أن التطير ينافي التوحيد ، ووجه منافاته له من وجهين :

الأول : أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله .

الثاني : أنه تعلق بأمر لا حقيقة له ، بل هو وهم وتَخَيُّل ، فأي رابطة بين هذا الأمر ، وبين ما يحصل له ، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد ، لأن التوحيد عبادة واستعانة . فالطيرة محرمة ، وهي منافية للتوحيد كما سبق ، والمتطير لا يخلو من حالين :

الأول : أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل ، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم .

الثاني : أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به ، وهذا أهون.

وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد ، بل انطلق إلى ما تريد بانشراح صدر وتيسير واعتماد على الله عز وجل ، ولا تسيء الظن بالله عز وجل .

قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ**

يَعْلَمُونَ ﴾

[الأعراف: 131]

هذه الآية نزلت في قوم موسى .

قوله : ﴿ **يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ** ﴾: أنه إذا جاءهم البلاء والجدب والقحط قالوا : هذا من موسى وأصحابه ، فأبطل الله هذه العقيدة بقوله : ﴿ **أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ** ﴾ أي : أن ما يصيبهم من الجدب والقحط ليس من موسى وأصحابه ، ولكنه من الله ، فهو الذي قدَّره ولا علاقة لموسى وأصحابه به ، بل إن الأمر يقتضي أن موسى وأصحابه سبب للبركة والخير ، ولكن هؤلاء يلبسون على العوام ويوهمون الناس خلاف الواقع .

قوله : ﴿ **وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾. فهم في جهل ، فلا يعلمون أن هناك إلهاً مدبراً ، وأن ما أصابهم من الله وليس من موسى وأصحابه .

وقال تعالى : ﴿ **قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** ﴾

(يس : 18-19)

عندما قال أصحاب القرية لرسل الله ﴿ **إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ** ﴾ أي : تشاءمنا بكم ، وإننا لا نرى أنكم تدلوننا على الخير ، بل على الشر وما فيه هلاكنا ،

أجابهم الرسل بقولهم : ﴿ **طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ** ﴾ أي : مصاحب لكم ، فما يحصل لكم ، فإنه منكم ومن أعمالكم ، فأنتم السبب في ذلك .

ولا منافاة بين هذه الآية والتي قبلها ، لأن الأولى تدل على أن المقدر لهذا الشيء هو الله ، والثانية تبين سببه ، وهو أنه منهم ، فهم في الحقيقة طائرهم معهم (أي الشؤم) الحاصل عليهم معهم ملازم لهم ، لأن أعمالهم تستلزمه .

وقوله : ﴿ **بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾ أي : ما أصابكم ليس منهم ، بل هو من إسرافكم .

وقوله : ﴿ **مُسْرِفُونَ** ﴾ أي : متجاوزون للحد الذي يجب أن تكونوا عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : " **لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر** ". (متفق عليه)

وزاد مسلم : "**ولا نوء ، ولا غول** "

والعدوى : انتقال المرض من المريض إلى الصحيح ، وكما يكون في الأمراض الحسية يكون أيضاً في الأمراض المعنوية الخلقية .

والطيرة : تقدم أنها هي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم .

الهامة : بتخفيف الميم فسرت بتفسيرين :

الأول : أنها طير معروف يشبه البومة ، أو هي البومة ، تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل ، صارت عظامه هامة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره ، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه.

التفسير الثاني : أن بعض العرب يقولون : الهامة هي الطير المعروف ، لكنهم يتشاءمون بها ، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت ، قال : إنها تنعق به ليموت ، ويعتقدون أن هذا دليل قرب أجله ، وهذا كله ـــ بلا شك ـــ عقيدة باطلة .

صفر : قيل: إنه شهر صفر ،كانت العرب يتشاءمون به ولا سيما في النكاح .

وقيل : إنه داء في البطن يصيب الإبل وينتقل من بعير إلى آخر ، وعلى هذا ، فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام .

والأقرب أن صفر يعني الشهر ، وأن المراد نفي كونه مشؤوماً ، أي: لا شؤم فيه ، وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير ويقدر فيه الشر .

وهذا النفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفياً للوجود ، لأنها موجودة ، ولكنه نفي للتأثير ، فالمؤثر هو الله ، فما كان منها سبباً معلوماً ، فهو سبب صحيح ، وما كان منها سبباً موهوماً ، فهو سبب باطل ، ويكون نفياً لتأثيره بنفسه إن كان صحيحاً ، ولكونه سبباً إن كان باطلاً .

فقوله : " **لا عدوى** " : العدوى موجودة ، ويدل لوجودها قوله ﷺ : " **لا يورد ممرض على مصح** " (رواه مسلم) أي : لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة ، لئلا تنتقل العدوى .

وقال ﷺ : " **فر من المجذوم فرارك من الأسد** " (رواه البخاري)

والجذام مرض خبيث معد بسرعة ويتلف صاحبه ، فالأمر بالفرار من المجذوم لكي لا تقع العدوى منه إليك ، وفيه إثبات لتأثير العدوى ، لكن تأثيرها ليس أمراً حتمياً ، بحيث تكون علة فاعلة ، وأمر النبي ﷺ بالفرار ، وأن لا يورد ممرض على مصح من باب تجنب الأسباب لا من باب تأثير الأسباب بنفسها ، فالأسباب لا تؤثر بنفسها ، لكن ينبغي لنا أن نتجنب الأسباب التي تكون سبباً للبلاء ، ولا يمكن أن يقال: إن الرسول ﷺ ينكر تأثير العدوى ، لأن هذا أمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى .

فإن قيل : إن الرسول ﷺ لما قال : " **لا عدوى** " قال رجل : يا رسول الله الإبل تكون صحيحة مثل الظباء ، فيدخلها الجمل الأجرب فتجرب؟ فقال النبي ﷺ : " **فمن أعدى الأول ؟** "(متفق عليه) ، يعني أن المرض نزل على الأول بدون عدوى ، بل نزل من عند الله عز وجل ، فكذلك إذا انتقل بالعدوى فقد انتقل بأمر الله ، والشيء قد يكون له سبب معلوم وقد لا يكون له سبب معلوم ، فجرب الأول ليس سببه معلوماً ، إلا أنه بتقدير الله تعالى ، وجرب الذي بعده له سبب معلوم ، لكن لو شاء الله تعالى لم يجرب ، ولهذا

أحياناً تصاب الإبل بالجرب ، ثم يرتفع ولا تموت ، وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية ، وقد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون ويسلم آخرون ولا يصابون .

فعلى الإنسان أن يعتمد على الله ، ويتوكل عليه ، وقد روي أن النبي ﷺ جاءه رجل مجذوم ، فأخذ بيده وقال له : " **كل** " يعني من الطعام الذي كان يأكل منه الرسول ﷺ "[1] ، لقوة توكله ﷺ ، فهذا التوكل مقاوم لهذا السبب المعدي .

وهذا الجمع الذي أشرنا إليه هو أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث فهذه الأربعة التي نفاها الرسول ﷺ تبين وجوب التوكل على الله وصدق العزيمة ، ولا يضعف المسلم أمام هذه الأشياء ، لأن الإنسان لا يخلو من حالين :

– إما أن يستجيب لها بأن يقدم أو يحجم أو ما أشبه ذلك ، فيكون حينئذ قد علق أفعاله بما لا حقيقة له ولا أصل له ، وهو نوع من الشرك .

– وإما أن لا يستجيب بأن يكون عنده نوع من التوكل ويقدم ولا يبالي ، لكن يبقى في نفسه نوع من الهم أو الغم ، وهذا وإن كان أهون من الأول

---

[1]أبو داود: كتاب الطب ، والترمذي: كتاب الأطعمة، وابن ماجة: كتاب الطب ، والحاكم (4/139) ، وصححه ووافقه الذهبي.

، لكن يجب ألا يستجيب لداعي هذه الأشياء التي نفاها الرسول ﷺ مطلقاً، وأن يكون معتمداً على الله ــ عز وجل ــ.

" **نوء** " : واحد الأنواء ، والأنواء : هي منازل القمر ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة.

فالعرب كانوا يتشاءمون بالأنواء ، ويتفاءلون بها ، فبعض النجوم يقولون : هذا نجم نحس لا خير فيه ، وبعضها بالعكس يتفاءلون به فيقولون : هذا نجم سعد وخير ، ولهذا إذا أمطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا ، ولا يقولون : مطرنا بفضل الله ورحمته ، ولا شك أن هذا غاية الجهل .

" **غول** " : جمع غَولة أو غُولة . والعرب كانوا إذا سافروا أو ذهبوا يميناً وشمالاً تلونت لهم الشياطين بألوان مفزعة مخيفة ، فتدخل في قلوبهم الرعب والخوف ، فتجدهم يكتئبون ويستحسرون عن الذهاب إلى هذا الوجه الذي أرادوا ، وهذا لاشك أنه يضعف التوكل على الله، والشيطان حريص على إدخال القلق والحزن على الإنسان بقدر ما يستطيع .

وهذا الذي نفاه الرسول ﷺ هو تأثيرها ، وليس المقصود بالنفي نفي الوجود ، وأكثر ما يبتلى الإنسان بهذه الأمور إذا كان قلبه معلقاً بها ، أما إن كان معتمداً على الله غير مبال بها، فلا تضره ولا تمنعه عن جهة قصده.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " **لا عدوى ، ولا طيرة ، ويعجبني الفأل** ". قالوا : وما الفأل ؟ قال : " **الكلمة الطيبة** " [1]

قوله : "**ويعجبني الفأل** ". أي: يسرني ، والفأل بينه بقوله: "**الكلمة الطيبة**". فـــ"الكلمة الطيبة" تعجبه ﷺ ، لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط ، والمضي قدماً لما يسعى إليه الإنسان ، وليس هذا من الطيرة ، بل هذا مما يشجع الإنسان ، لأنها لا تؤثر عليه ، بل تزيده طمأنينة وإقداماً وإقبالاً.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : ذكرت الطيَرَة عند رسول الله ﷺ فقال : " **أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك** "[2]

قوله: "**ولا ترد مسلماً** ". يفهم منه أن من ردته الطيرة عن حاجته فليس بمسلم .

---

[1]**متفق عليه**

[2]**أبو داود (كتاب الطب) والبيهقي في "السنن". قال النووي في "رياض الصالحين": "رواه أبو داود بإسناد صحيح".**

قوله : " **فإذا رأى أحدكم ما يكره** ". فحينئذ قد ترد على قلبه الطيرة، ويبتعد عما يريد ، ولا يقدم عليه ، وقد ذكر النبي ﷺ دواء لذلك فقال : "**فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات**...." إلخ .

قوله : " **اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت** ". وهذا هو حقيقة التوكل أي: لا يقدرها ولا يخلقها ولا يوجدها للعبد إلا الله وحده لا شريك له، وهذا لا ينافي أن تكون الحسنات بأسباب ، لأن خالق هذه الأسباب هو الله ، فإذا وجدت هذه الحسنات بأسباب خلقها الله ، صار الموجد هو الله.

والمراد بالحسنات: ما يستحسن المرء وقوعه ، ويحسن في عينه. ويشمل ذلك الحسنات الشرعية ، كالصلاة والزكاة وغيرها ، لأنها تسر المؤمن ، ويشمل الحسنات الدنيوية ، كالمال والولد ونحوها .

قوله : "**ولا يدفع السيئات إلا أنت** ". السيئات : ما يسوء المرء وقوعه وينفر منه حالاً أو مآلاً ، ولا يدفعها إلا الله ، ولهذا إذا أصيب الإنسان بمصيبة التجأ إلى ربه تعالى ، حتى المشركون إذا ركبوا في الفلك ، وشاهدوا الغرق ، دعوا الله مخلصين له الدين .

ولا ينافي هذا أن يكون دفعها بأسباب ، فمثلاً لو رأى رجلاً غريقاً ، فأنقذه فإنما أنقذه بمشيئة الله ، ولو شاء الله لم ينقذه ، فالسبب من الله .

قوله : "**ولا حول ولا قوة إلا بك** ". في معناها وجهان :

الأول :أنه لا يوجد حول ولا قوة إلا بالله ،فالباء بمعنى في ،يعني: إلا في الله وحده،ومن سواه ليس لهم حول ولا قوة ،ويكون الحول والقوة المنفيان عن غير الله هما الحول المطلق والقوة المطلقة ، لأن غير الله فيه حول وقوة ، لكنها نسبية ليست بكاملة ، فالحول الكامل والقوة الكاملة في الله وحده.

الثاني : أنه لا يوجد لنا حول ولا قوة إلا بالله ، فالباء للاستعانة أو للسببية، وهذا المعنى أصح ، وهو مقتضى ورودها في مواضعها، إذ إننا لا نتحول من حول إلى حول ولا نقوى على ذلك إلا بالله فيكون في هذه الجملة كمال التفويض إلى الله ، وأن الإنسان يبرأ من حوله وقوته إلا بما أعطاه الله من الحول والقوة .

فالرسول ﷺ أرشدنا في هذا الحديث إذا رأينا ما نكره مما يتشاءم به المتشائم أن نقول : " **اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك** ".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : "**الطيرة شرك** ، **الطيرة شرك** ، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل "[1]

الشرك هنا قد يكون شرك أكبر مخرج من الملة وقد يكون شرك أصغر :

---

[1]رواه أبو داود والترمذي وصححه . وجعل آخره من قول ابن مسعودٍ رضي الله عنه .

فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه ، فإنه لا يعد مشركاً شركاً يخرجه من الملة ، لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سبباً ، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة ، وبذلك يعتبر شركاً من هذه الناحية ، والقاعدة : "**إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً، فإنه مشرك شركاً أصغر** " .

لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله ، فهو مشرك شركاً أكبر ، لأنه جعل لله شريكاً في الخلق والإيجاد.

قوله: "**وما منا**". أي: وما منا أحد إلا تطير .

والمعنى : ما منا إنسان يسلم من التطير ، فالإنسان يسمع شيئاً فيتشاءم ، أو يبدأ في فعل ، فيجد أوله ليس بالسهل فيتشاءم ويتركه .

والتوكل : صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله ، وفعل الأسباب التي جعلها الله تعالى أسباباً.

فلا يكفي صدق الاعتماد فقط ، بل لابد أن تثق به ، لأنه سبحانه يقول : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ (الطلاق :3)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من رَدَّتْه الطيرة عن حاجته فقد أشرك** " قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : **أن تقولوا اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك** " [1].

قوله : " **فقد أشرك** ". أي : شركاً أكبر إن اعتقد أن هذا المتشاءم به يفعل ويحدث الشر بنفسه ، وإن اعتقده سبباً فقط فهو أصغر .

قاعدة مفيدة : "إن كل من اعتقد في شيء أنه سبب و لم يثبت أنه سبب لا كوناً ولا شرعاً ، فشركه شرك أصغر ، لأنه ليس لنا أن نثبت أن هذا سبب إلا إذا كان الله قد جعله سبباً كونياً أو شرعياً ، فالشرعي: كالقراءة والدعاء ، والكوني : كالأدوية التي جرب نفعها ".

قوله : " **فما كفارة ذلك** ". أي : ما كفارة هذا الشرك ، أو ما هو الدواء الذي يزيل هذا الشرك ؟ لأنه الكفارة قد تطلق على كفارة الشيء بعد فعله ، وقد تطلق على الكفارة قبل الفعل .

قوله : "**اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك** ". يعني : فأنت الذي بيدك الخير المباشر ، كالمطر والنبات ، وغير المباشر ، كالذي يكون سببه من عند الله على يد مخلوق ، مثل: أن يعطيك إنسان دراهم صدقة أو هدية ، وما أشبه ذلك ، فهذا الخير من الله ، لكن بواسطة جعلها الله سبباً، وإلا ، فكل الخير من الله عز وجل .

---

[1] رواه أحمد في المسند ، والطبراني .

قوله : " **فلا خير إلا خيرك** ". هذا الحصر حقيقي ، فالخير كله من الله ، سواء كان بسبب معلوم أو بغيره.

وقوله : " **لا طير إلا طيرك** ". أي : الطيور كلها ملكك ، فهي لا تفعل شيئاً ، وإنما هي مسخرة ، فالمهم أن الطير مسخرة بإذن الله ، فالله تعالى هو الذي يدبرها ويصرفها ويسخرها تذهب يميناً وشمالاً ، ولا علاقة لها بالحوادث .

ويحتمل أن المراد بالطير هنا ما يتشاءم به الإنسان ، فكل ما يحدث للإنسان من التشاؤم والحوادث المكروهة ، فإنه من الله كما أن الخير من الله ، كما قال تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ** ﴾ [الأعراف: 131].

يستفاد من هذه الأحاديث :

1- أنه لا يجوز للإنسان أن ترده الطيرة عن حاجته ، وإنما يتوكل على الله ولا يبالي بما رأى أو سمع أو حدث له عند مباشرته للفعل أول مرة ، فإن بعض الناس إذا حصل له ما يكره في أول مباشرته الفعل تشاءم ، وهذا خطأ ، لأنه مادامت هناك مصلحة دنيوية أو دينية ، فلا تهتهم بما حدث.

فما الطيرة إلا ما أمضاك أو ردك لا ما حدث في قلبك و لم تلتفت إليه، ولا ريب أن السلامة منها حتى في تفكير الإنسان خير بلا شك ، لكن إذا وقعت في القلب و لم ترده و لم يلتفت لها ، فإنها لا تضره ، لكن عليه أن لا يستسلم ، بل يدافع ، إذ الأمر كله بيد الله .

أما إذا نوى أن يفعل شيئاً فسمع كلاماً أو رأى شيئاً شاهده يدل على تيسير هذا الأمر له ، فإن هذا فأل ، وهو الذي يعجب النبي ﷺ ، لكن إن اعتمد عليه وكان سبباً لإقدامه ، فهذا حكمه حكم الطيرة ، وإن لم يعتمد عليه ولكنه فرح ونشط وازداد نشاطاً في طلبه ، فهذا من الفأل المحمود .

2- أن الطيرة نوع من الشرك ، لكن بتفصيل ، فإن اعتقد تأثيرها بنفسها ، فهو شرك أكبر ، وإن اعتقد أنها سبب ، فهو شرك أصغر .

3- أن الأمور بيد الله خيرها وشرها .

4- انفراد الله بالألوهية ، كما انفرد بالخلق والتدبير .

التنجيم

قال رسول الله ﷺ "**من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر** " [1]

قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك ، أخطأ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به "[2]

والثلاث هي :

الأولى : زينة للسماء ، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ**﴾ [الملك: 5]

---

[1] **الإمام أحمد في "المسند" (227/1، 311)، وأبو داود في (الطب) ، وابن ماجة في (الأدب)، وصححه النووي في "رياض الصالحين" ، وقال ابن تيمية في "الفتاوى": "إسناده صحيح".**

[2] **البخاري: كتاب بدء الخلق ، باب في النجوم، معلقاً.**

الثانية : رجوماً للشياطين ، أي : لشياطين الجن ، وليسوا شياطين الإنس ، لأن شياطين الإنس لم يصلوها ، لكن شياطين الجن وصلوها، فهم أقدر من شياطين الإنس ، ولهم قوة عظيمة نافذة .

قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا** ﴾ [الجن: 9]

الثالثة : علامات يهتدى بها .

قال تعالى : ﴿ **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ [النحل:15- 16]

فذكر الله تعالى في هذه الآية نوعين من العلامات التي يهتدى بها :

الأول : أرضية ، وتشمل كل ما جعل الله في الأرض من علامة، كالجبال ، والأنهار ، والطرق ، والأودية ، ونحوها.

والثاني : أفقية في قوله تعالى: ﴿ **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ .

عن أبي مالك الأشعري ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: « **أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنّ : الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ , وَالطّعْنُ فِي الأَنْسَابِ , وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنّجُومِ , وَالنّيَاحَةُ** » (رواه مسلم)

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : في غزوة الحديبية ، صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة على إثر سماءٍ من الليل ، فقال : " **قال الله تعالى : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فمن قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فإنه**

كافر بي مؤمن بالكوكب ، ومن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب " متفق عليه

"**بنوء** " يعني : بنجم ، والباء للسببية ، يعني: هذا المطر من النجم .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس معناه ، وفيه: **وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا.فأنزل الله هذه الآيات ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾**[الواقعة:75-82].

التنجيم : مصدر نجم بتشديد الجيم ، أي: تعلم علم النجوم ، أو اعتقد تأثير النجوم .

وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين :

1- علم التأثير . 2- علم التسيير .

فالأول : علم التأثير . وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

1- أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة ، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور ، فهذا شرك أكبر ، لأن من ادعى أن مع الله خالقاً، فهو مشرك شركاً أكبر ، فهذا جعل المخلوق المسخَر خالقاً مسخِراً .

2- أن يجعلها سبباً يدعي به علم الغيب ، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا ، لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا،

مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاء ، لأنه ولد في النجم الفلاني ، وهذا حياته ستكون سعيدة لأنه ولد في النجم الفلاني. فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب ، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة ، لأن الله جل جلاله يقول : ﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل: 65]، وهذا من أقوى أنواع الحصر ، لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادعى أحد علم الغيب، فقد كذب القرآن .

3- أن يعتقدها سبباً لحدوث الخير والشر ، أي أنه إذا وقع شيء نسبة إلى النجوم ، ولا ينسب إلى النجوم شيئاً إلا بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر.

فإن قيل : ينتقض هذا بما ثبت عن النبي ﷺ في قوله في الكسوف : "**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده** "[1] ، فمعنى ذلك أنهما علامة إنذار .

والجواب على ذلك من وجهين :

الأول : أنه لا يُسَلَّم أن للكسوف تأثيراً في الحوادث والعقوبات من الجدب والقحط والحروب ، ولذلك قال النبي ﷺ : " **إنهما لا ينكسفان لموت**

---

[1] **البخاري: كتاب الكسوف/ باب الصدقة في الكسوف، ومسلم: كتاب الكسوف/ باب ذكر النداء بصلاة الكسوف.**

أحد ولا لحياته "[1] ، لا في ما مضى ولا في المستقبل ، وإنما يخوف الله بهما العباد لعلهم يرجعون ، وهذا أقرب .

الثاني : أنه لو سَلَّمنا أن لهما تأثيراً ، فإن النص قد دل على ذلك ، وما دل عليه النص يجب القول به ، لكن يكون خاصاً به.

لكن الوجه الأول هو الأقرب : أننا لا نسلم أصلاً أن لهما تأثيراً في هذا ، لأن الحديث لا يقتضيه، فالحديث ينص على التخويف، والمخوف هو الله تعالى، والمخوف عقوبته، ولا أثر للكسوف في ذلك، وإنما هو علامة فقط.

الثاني : علم التسيير . وهذا ينقسم إلى قسمين :

الأول : أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية ، فهذا مطلوب ، وإذا كان يعين على مصالح دينية واجبة كان تعلمها واجباً ، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة ، فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل قبلة، والنجم الفلاني يكون ربع الليل قبلة ، فهذا فيه فائدة عظيمة.

الثاني : أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية ، فهذا لا بأس به ، وهو نوعان :

---

[1]البخاري: كتاب الكسوف/ باب الصدقة في الكسوف، ومسلم: كتاب الكسوف/ باب ذكر النداء بصلاة الكسوف.

النوع الأول : أن يستدل بها على الجهات ، فهذا جائز ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16].

النوع الثاني : أن يستدل بها على الفصول ، فهذا مباح .

وهناك نوع يكثر في المجلات مما يسمونه **البروج** ، يضَعُون صفحة أو أقل منها في الجرائد يجعلون عليها رسم بروج السنة: برج الأسد والعقرب والثور إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه ، فإذا كان المرء أو المرأة مولوداً في ذلك البرج يقول سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا وكذا ، وهذا هو التنجيم الذي هو التأثير ، الاستدلال بالنجوم والبروج على التأثير في الأرض وعلى ما سيحصل في الأرض ، وهو نوع من الكهانة ، ووجوده في المجلات والجرائد على ذلك النحو وجود للكهان فيها، فهذا يجب إنكاره إنكاراً للشركيات ولادعاء معرفة الغيب وللسحر وللتنجيم ؛ ويجب أيضاً على كل مسلم أن لا يُدخله بيته ، وأن لا يقرأه ولا يطلع عليه ؛ لأنه وإن رأى تلك البروج وما فيها ، ولو أن يعرف ذلك معرفة فإنه يدخل في النهي من جهة أنه أتى إلى الكاهن غير منكر له .

فإذا أتى إلى هذه البروج وهو يعرف البرج الذي وُلد فيه ؛ ولكن يقول سأطلع ماذا قالوا عني أو ماذا قالوا سيحصل لمن ولد في هذا البرج ، فإنه يكون كمن أتى كاهناً فسأله فإنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة.

وإذا أتى وقرأ وهو يعلم برجه الذي وُلد فيه أو يعلم البرج الذي يناسبه وقرأ ما فيه ، فإذا صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد.

ومن اعتقد أن النوء والنجم والكوكب سبب في المطر ، فهذا كفره كفر أصغر ؛ لأنه ما اعتقد الشريك والاستقلال ؛ ولكنه جعل ما ليس سبباً سبباً ونسب النعمة لغير الله .

ومن اعتقد أن المطر اثر من آثار الكواكب والنجوم وأنها هي التي تفضلت بالمطر وهي التي تحركت بحركة لما توجه إليها عابدها فأنزلت المطر إجابة لدعوة عابدها ، فهذا كفر أكبر بالإجماع لأنه اعتقاد ربوبية وألهية غير الله جلا وعلا .

الخوف من الله وحده

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ . إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾

(أل عمران :173-175)

قوله : ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمْ** ﴾ وهذا نهي والنهي للتحريم ، ونهى عن إنزال عبادة الخوف بغيره وهذا يدل على أنه نهي عن أحد أفراد الشرك.

قوله : ﴿**وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ أمر بالخوف فدل أن الخوف عبادة من العبادات , وإفراد الله بهذه العبادة توحيد ، وإشراك غير الله معه في هذه العبادة شرك .

والخوف من الخلق في ترك فريضة الجهاد إنما يكون من جرّاء الشيطان، فالشيطان هو الذي يخوف المؤمنين من أوليائه ، ويخوف أهل التوحيد وأهل الإيمان من أعداء الله جل وعلا لكي يتركوا الفريضة ، فلهذا صار ذلك

الخوف محرماً ، يعني الخوف من الأعداء الذي يترتب عليه ترك فريضة من فرائض الله – من الجهاد وغيره –.

والواجب أن لا يخاف العبد إلا ربه جل وعلا ، وأن ينزل خوفه به، وأن لا يخاف أولياء الشيطان .

وقوله جل وعلا هنا ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** ﴾ معناها على الصحيح من التفسير أو على الراجح : يخوفكم أولياءه , يعني يخوف أهل الإيمان أولياء الشيطان , ففاعل (**يُخَوِّفُ**) محذوف دل عليه السياق، الفاعل هو الشيطان ، يخوفُ الشيطانُ الناسَ أولياءَه ؛ يعني يجعل الشيطان أهل التوحيد في خوف من أعدائهم .

وقال تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾

[التوبة:18].

قوله ﴿ **وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ** ﴾ وفيها نفي واستثناء ، ومجيء أداة الاستثناء بعد النفي يدل على الحصر والقصر ، فهذا يدل أن الخشية يجب أن تكون في الله ، وأن الله أثنى على أولئك بأنهم جعلوا خشيتهم في الله وحده دون ما سواه ، والخشية أخصّ من الخوف.

وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ** ﴾[العنكبوت:10]

أي :جعل فتنة الناس كعذاب الله بأن خاف منها وترك ما أوجب الله عليه أو أقدم على ما حرم الله عليه خشية من كلام الناس .

وعن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً: «**إن من ضعْف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمَدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يردُّه كراهية كاره** ».(رواه البيهقي وأبو نعيم)

قوله : " **من ضعف اليقين** " يعني من أسباب ضعف الإيمان ،والذي يضعف الإيمان ، المحرمات ، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية, فدلّ على أن إرضاء الناس بسخط الله معصية وذم ومحرم ؛ لأن هذا الذي أرضى الناس بسخط الله خافهم أو رجاهم .

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: « **من التمس رضى الله بسخط الناس ؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس** »(رواه ابن حبان في صحيحه)

هذا الحديث الشريف يدل على جزاء الذي أفرد الله بعبادة الخوف، وجزاء الذي لم يُكْمِل التوحيدَ في عبادة الخوف ، فالذي التمس رضى الله بسخط الناس هذا عظم الله وخافه , و لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله , بل

جعل عذاب الله أعظم فخاف الله وخشيه وطمع فيما عنده , و لم يلتفت إلى الناس و لم يرفع بهم رأساً . ومَنِ التمس رضى الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، لأنه ارتكب ذنباً بأن خاف الناس وجعل خوفه من الناس سبباً لعمل المحرم أو ترك فريضة من فرائض الله ، فكان جزاءه أن سخط الله عليه , وأسخط عليه الناس .

فهذه الآيات والأحاديث تدل على أن الخوف من العبادات العظيمة التي يجب أن يُفرد الله بها .

والخوف من غير الله جل وعلا ينقسم إلى :

1- الخوف الذي تسميه العلماء بخوف السر : ومعناه أن يخاف العبد من قبرٍ أو ميتٍ أو غائب بعيد عنه أن يصيبه بأذى ، فهذا الخوف ليس به أسباب معلومة ، بل لم يصدر هذا الخوف من هذا الرجل إلا لاعتقاده أن لهذا المخوف منه تصرفاً خفياً في الكون بكونه قادراً على أن يصيبه بأذى ، وهذا الخوف شرك أكبر مخرج عن الملة ، كما قال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له : ﴿ **إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ** ﴾ (هود :54-55)

فقد كانوا يظنون ويعتقدون فيها أنها تصيب من أنكر عبادتها بالأذى مع أنها حجارة لا تضر ولا تنفع .

فمن خاف من مخلوق مثل هذا الخوف فقد أشرك بالله الشرك الأكبر .

2- الخوف الذي يوجب لصاحبه ترك واجب أو فعل محرم : وهذا الخوف حرام في ذاته ؛ لأنه وسيلة إلى الحرام ووسائل الحرام حرام ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ **فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (التوبة :13) ، وذلك كالخوف الذي يحمل صاحبه على ترك الدعوة المتعينة عليه ، والخوف الذي يوجب ترك الجهاد ،والخوف الذي يوجب طاعة المخلوق في معصية الخالق ونحو ذلك ، فهذا الخوف حرام . وعده بعض العلماء : من أنواع الشرك .

3- الخوف الطبيعي الجبلي : كخوف الإنسان من النار أن تحرقه ، أو من السبع أن يأكله ، أو من الماء الكثير أن يغرق فيه ، فهذا خوف لا يلام الإنسان عليه ، فقد خاف كليم الله موسى – عليه السلام – من فرعون وقومه كما قال تعالى : ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (القصص :21) ، وقد خاف نبي الله داود لما تسور عليه الخصمان كما قال تعالى : ﴿ **إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ** ﴾ (ص :22) ، وقال تعالى عن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – : ﴿ **فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيم** ﴾(الذاريات : 28) ، وهذا خوف طبيعي لا يلام العبد عليه . وهذا إذا كان خوفاً محققاً قد انعقدت فيه أسباب الخوف .

أما إن كان خوفاً وهمياً كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً ، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء ، وقد تعوذ ﷺ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة ، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع.

التوكل على الله وحده

قال تعالى : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة:23]

هذه الآية فيها الأمر بالتوكل ، ولما أمر به علمنا أنه من العبادة ، ولمّا قدم الجار والمجرور في قوله ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ** ﴾ قدمه على ما يتعلق به وهو الفعل ﴿ **تَوَكَّلُوا** ﴾ دل على وجوب إفراد الله جل وعلا بالتوكل ، وأن التوكل عبادة يجب أن تحصر وتقصر في الله جل وعلا .وقوله ﴿**إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ : يعني أفردوا الله بالتوكل وحده إن كنتم مؤمنين .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [الأنفال:2].

قوله ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ ، أي أفردوا التوكل بالله جل وعلا .

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال:64] يعني كافيك الله وكافي من اتبعك من المؤمنين .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق:3].

رتّب الحسْب –وهو الكفاية– بالتوكل عليه ، وهذا فضيلة التوكل وفضيلة المتوكلين عليه . فهذه الآية تبين أن الله حسْبُ من توكَّل عليه، فدلّ أن الله

جل وعلا أمر عباده بالتوكل عليه حتى يكون كافيهم من أعدائهم ، وحتى يكون جل وعلا كافي المؤمنين من المشركين .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[آل عمران:173]. (رواه البخاري والنسائي)

فهذا يدل أن العبد إذا أعظم رجاءه في الله وتوكله على الله فإنه وإن كادته السماوات والأرض ومن فيهن فإن الله سيجعل له من أمره يُسرى وسيجعل له من بينها مخرجا ،﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ** ﴾ يعني كافينا الله ﴿**وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ يعني ونعم الوكيل ربنا, هذه كلمة عظيمة قالها إبراهيم عليه السلام في الكرب وقالها النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في الكرب لما ﴿**قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا**﴾ وذلك لعظم توكلهم على الرب جل وعلا .

فهذه الآيات والأحاديث وغيرها كثير تدل على :

- أن التوكل على الله شرط في صحة الإسلام ، وشرط في صحة الإيمان، فالتوكل عبادة عظيمة ، فمن توكل على غير الله أشرك وخرج من الملة.

- وحقيقة التوكل على الله جل جلاله أن العبد يعلم أن هذا الملكوت إنما هو بيد الله جل وعلا يُصرِّفُه كيف يشاء ، فيفوّض الأمر إليه ويلتجئ إليه بقلبه في تحقيق مطلوبه ، وفي الهرب من ما يسوءه ، يلتجئ في ذلك ويعتصم بالله جل جلاله وحده ، فينزل حاجته بالله ويفوض أمره إلى الله، ثم يعمل السبب الذي أمر الله به .

فحقيقة التوكل في الشرع تجمع : تفويض الأمر إلى الله جل وعلا وفعل الأسباب .

فالتوكل حقيقته في الشرع تجمع عبادة قلبية عظيمة وهي تفويض الأمر إليه والالتجاء إليه ، والعلم بأنه لا أمر إلا أمره ولا شيء إلا بما قدَّره وأذن به كوناً، ثم فِعل السبب الذي أوجب الله جل وعلا فعله أو أمر بفعله ، فترك فعل الأسباب ينافي حقيقة التوكل الشرعية ، كما أن الاعتماد على السبب وترك تفويض الأمر إلى الله جل وعلا ينافي حقيقة التوكل الشرعية.

التوكل على غير الله جل وعلا له حالان:

1- أن يكون شركاً أكبر ، وهو أن يتوكل على أحد من الخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ، يتوكل على المخلوق في مغفرة الذنب, يتوكل على المخلوق في تحصيل الخيرات الأخروية ، أو يتوكل على المخلوق في تحصيل ولد له ، أو تحصيل وظيفة له .

2- أن يتوكل على المخلوق فيما أقدره الله جل وعلا عليه، وهذا شرك خفي وشرك أصغر ، فمن قال : " توكلت على الله وعليك " فقد ارتكب

شركاً أصغر غير مخرج من الملة ولكنه من أعظم الكبائر ، لأن المخلوق ليست له نصيب من التوكل إنما هو تفويض الأمر والالتجاء بالقلب إلى من بيده الأمر وهو الله جل وعلا ، والمخلوق لا يستحق شيئاً من ذلك .

فالتجاء القلب وطمع القلب ورغبة القلب في تحصيل المطلوب ، إنما يكون ذلك ممن يملكه وهو الله جل وعلا ، أما المخلوق فلا يقدر على شيء استقلالا ، وإنما هو سبب ، فإذا كان سبباً لا يجوز التوكل عليه ؛ لأن التوكل عمل القلب ، فيجعل المخلوق سبباً فيما أقدره الله عليه ولكن يفوض أمر النفع بهذا السبب إلى الله جل وعلا ، فيتوكل على الله ويأتي بالسبب الذي هو الانتفاع من هذا المخلوق بما جعل الله جل وعلا له من الانتفاع أو من القدرة ونحو ذلك .

التوكل على الله جل وعلا يرجع إلى فهم توحيد الربوبية وإلى عظم الإيمان بتوحيد الربوبية ، فإن بعض المشركين قد يكون عنده التوكل على الله الشيء العظيم ، والتوكل على الله من العبادات التي تُطلب من المؤمن، ومن العبادات الواجبة والعبادات العظيمة.

لهذا نقول: إن إحداث التوكل في القلب يرجع إلى التأمل في آثار الربوبية ، فكلما كان العبد أكثر تأملاً في ملكوت الله وفي السماوات والأرض وفي الأنفس وفي الآفاق ، كان علمه بأن الله هو ذو الملكوت، وأنه هو المتصرف ، وأن نصره لعبده شيء يسير جداً بالنسبة إلى ما يجريه الله جل وعلا في ملكوته

، فيُعظم المؤمن بهذا التدبر الله جل وعلا ، ويُعْظِم التوكل عليه ، ويعظِّم أمره ونهيه ، وينظر أن الله جل جلاله لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى .

الأمن من عذاب الله واليأس من رحمته.

قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[الأعراف:99]

فهذه الآية تدل على أن المشركين من صفاتهم أنهم أمِنوا عقاب الله فلم يخافوا ، والواجب بالمقابل بأن تكون قلوبهم خائفة وجلة من الله جل وعلا.

قال الحسن البصري : " إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول أحدهم إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل " (فيض القدير للمناوي)

وقال تعالى :﴿ **وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** ﴾[الحجر:56].

قوله: ﴿ **الضَّالُّونَ** ﴾ أي أنّ صفة الضالين أنهم يقنطون من رحمة الله جل وعلا ، ومعنى ذلك بالمفهوم أنَّ صفة المتقين وصفة المهتدين أنهم لا يقنطون من رحمة الله ؛ بل يرجون رحمة الله جل وعلا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر ؟ فقال: « **الشّرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله** »

(رواه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح)

ففي هذا الحديث الشريف جعل اليأس من روح الله – وهو ذهاب الرجاء من القلب وعدم أو ترك الإتيان بعبادة الرجاء– جعله من الكبائر ، وجعل الأمن من مكر الله – وهو ذهاب الخوف من الله جل وعلا– من الكبائر ، وهي كبائر في القلب ، وهي كبائر من جهة أعمال القلوب.

واجتماعهما جميعاً بأن لا يكون عنده رجاء ولا خوف فهذه كبيرة أعظم من ترك الخوف وحده من الله أو ترك الرجاء وحده من الله جل وعلا، ولهذا قرن بينهما في هذا الحديث . فاجتماعهما واجب من الواجبات، وذهابهما أو الانتقاص منهما نقص في كمال توحيد من قام ذلك بقلبه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:« **أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله،واليأس من روح الله**».(رواه عبد الرزاق)

الجمع بين الخوف والرجاء واجب من واجبات الإيمان ولا يتم التوحيد إلا بذلك، فانتفاء الجمع بين الخوف والرجاء هذا منافٍ لكمال التوحيد، فالواجب على العبد أن يجعل خوفه مع الرجاء وأن يجعل رجاءه مع الخوف وأن لا يأمن المكر كما لا يقنط من رحمة الله جل وعلا.

قال تعالى : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر:9)

الأمن من مكر الله ناتج عن عدم الخوف وترك عبادة الخوف ، وعبادة الخوف قلبية ؛ والخوف إذا كان في القلب فإن العبد سيسعى في مراضي الله ويبتعد عن مناهي الله ، وسيعظِّم الله جل وعلا ويتقرب إليه بالخوف ؛ لأن الخوف عبادة ، ويكون عبادة بمعاني منها:

– أن يتقرب إلى الله جل وعلا بالخوف.

– وأن يتقرب إلى الله جل وعلا بعدم الأمن من مكر الله ، وذلك أن الله هو ذو الجبروت ، فعدم الأمن من مكر الله راجع إلى فهم صفات الله جل وعلا وأسماءه التي منها القهار والجبار وهو الذي يجير ولا يجار عليه ، ونحو ذلك من صفات الربوبية.

– مكر الله جل وعلا من صفاته التي تطلق مقيدة ، فالله جل وعلا يمكر بمن مكر بأوليائه وأنبيائه وبمن مكر بدينه ؛ لأنها في الأصل صفة نقص ؛ لكن تكون صفة كمال إذا كانت بالمقابلة ؛ لأن فيها حينئذ إظهار العزة والقدرة والقهر والجبروت وسائر صفات الجلال.

وحقيقة مكر الله جل وعلا ومعنى هذه الصفة أن الله جل وعلا يستدرج العبد ويُملي له حتى إذا أخذه لم يفلته ، ييسر له الأمور حتى يظن أنه في مأمن غاية الأمن ، فيكون ذلك استدراجاً في حقه .

قال النبي ﷺ : « **إذا رأيتم الله يعطي العبد وهو مقيم على معاصيه فاعلموا أن ذلك استدراج** » (رواه أحمد والطبراني وحسنه العراقي)

والجمع بين الخوف والرجاء واجب شرعاً ، فإن الخوف عبادة والرجاء عبادة ، واجتماعهما في القلب واجب ، فلا بد أن يكون هذا وهذا جميعاً في القلب حتى تصح العبادة.

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران :

1- أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليها ويصمم على الإقامة على المعصية ، ويقطع طمعه من رحمة الله لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع الرحمة فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفاً وخلقاً لازماً . وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد . ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي .

2- أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب ، وتضعف إرادته فييأس من الرحمة ، وهذا من المحاذير الضارة الناشئ من ضعف علم العبد بربه ، وما له من الحقوق ، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها . فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلى الكسل ، لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه وإلى رحمته وجوده وكرمه .

وللأمن من مكر الله أيضاً سببان مهلكان :

1- إعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وماله من الحقوق ، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضاً غافلاً مقصراً عن الواجبات منهمكاً في

المحرمات حتى يضمحل خوف الله من قلبه ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء،لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأخروي.

2- أن يكون العبد عابداً جاهلاً معجباً بنفسه مغروراً بعمله فلا يزال به جهله حتى يكتفي بعمله ويزول الخوف عنه ، ويرى أن له عند الله المقامات العالية فيصير آمناً من مكر الله متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة ، ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين التوفيق إذ هو الذي جنى على نفسه .

ولقد اختلف العلماء أي الخوف أو الرجاء يغلب ، هل يغلب العبد جانب الرجاء أو يغلب جانب الخوف ؟

والتحقيق أن الحالة تختلف ، فإذا كان العبد في حالة الصحة والسلامة فإنه إما أن يكون مسدداً مسارعاً في الخيرات فهذا يجب أن يتساوى في قلبه الخوف والرجاء يخاف ويرجو لأنه من المسارعين في الخيرات.

وإذا كان في حال الصحة والسلامة وعدم دنو الموت من أهل العصيان فالواجب عليه أن يغلِّب جانب الخوف حتى يَنْكَفَّ على المعصية.

وأما إذا كان في حال مرض الموت فإنه يجب عليه أن يعظم جانب الرجاء على الخوف فيقوم في قلبه الرجاء و الخوف ؛ لكن يكون رجاءه أعظم من خوفه وذلك لقول النبي عليه الصلاة والسلام « **لا يمت أحدكم إلا وهو يحسّن الظن بربه تعالى**» (رواه أحمد)

إن اللّه تعالى عند ظن عبده به لكن كما يجب على العبد إحسان الظن بربه يجب عليه أن يخاف عقابه ويخشى عذابه ، فطريق السلامة بين طريقين مخوفين مهلكين طريق الأمن وطريق اليأس وطريق الرجاء والخوف هو العدل بينهما، فمتى فقدت الرجاء وقعت في طريق الخوف ومتى فقدت الخوف وقعت في طريق الأمن ، فطريق الاستقامة ممتد بينهما، فإن ملت عنه يمنة أو يسرة هلكت،فيجب أن تنظر إليهما جميعاً وتركب منهما طريقاً دقيقاً وتسلكه.واعلم أن النفس إذا كانت ذات شره وشهوة غالية فارت بدخان شهواتها كدخان الحريق فأظلمت الصدر فلم يبق له ضوء فصار الصدر مظلماً وجاءت النفس بهواجسها وتخليطها واضطربت فظنّ العبد أن اللّه لا يعطف عليه ولا يرحمه ولا يكفيه أمر رزقه ونحو ذلك وهذا من سوء الظن باللّه ، وصل إلى حال اليأس من الرحمة ووقع في القنوط فيكفر .

الصبر على أقدار الله

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾ [1]

قوله:﴿مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يعني يعظِّم الله جل وعلا ويمتثل أمره ويجتنب نهيه

قوله :﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للصبر , لعدم التسخط , لأداء العبادات .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ** ». مسلم

قوله : (**وَالنّيَاحَةُ عَلَى الْمَيّتِ**) ، النياحة مخالفة للصبر ، والصبر الواجب فيه حبس الجوارح من لطم الخدود وشق الجيوب – ونحو ذلك– وحبس اللسان عن التشكي والعويل وهذا هو النياحة ، فالنياحة من شعب الكفر لأنها منافية للصبر ، وكونها من شعب الكفر لا يدل أن من قامت به فهو كافر الكفر المطلق المخرج من الملة ؛ بل يدل على أن من قامت به قامت به خصلة من خصال الكفَّار وشعبة من شعب الكفر .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ , وَشَقَّ الْجُيُوبَ. وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيّةِ** » (متفق عليه)

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: « **إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدّنْيَا, وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتّى يُوَافِى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ** ».(رواه الترمذي وقال حسن غريب ورواه الحاكم)

---

[1] التغابن: 11

وقال النبي ﷺ : « **إنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عظمِ الْبَلاَءِ , وَإِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ , فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرّضَى , وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخَطُ** »

(رواه الترمذي وحسنه)

قوله : ﴿ **وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ** ﴾ حقيقة السخط على الله جل وعلا أن يقوم في قلبه عدم محبة ذلك الشيء وكراهة ذلك الشيء وعدم الرضى به واتهام الحكمة فيه ، فمن قامت به هذه الأشياء مجتمعة فقد سخط ، ويظهر أثر السخط على اللسان أو على الجوارح ، ويظهر السخط في القلب من جهة عدم الرضى بالأوامر ، عدم الرضى بالنواهي ، عدم الرضى بالشرع ، فيتسخط الأمر ، ويتسخط النهي .

وحقيقة الصبر الحبس في اللغة ومنه قولهم : قد قُتل فلاناً صبراً إذا حُبس أو رُبط وقتل دون مُبارزة ولا قتال.

ويقال للصبر الشرعي إنه صبر ؛ لأن فيه الحبس وهو حبس اللسان عن التشكي ، وحبس القلب عن السخط ، وحبس الجوارح عن إظهار السخط من لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك ، فحبس هذه الأشياء هو حقيقة الصبر .

وقد ذُكر الصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضعاً ، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد لأنَّ من لا صبر له على الطاعة ولا صبر له عن المعصية ولا صبر له على أقدار الله المؤلمة فإنه يفوته أكثر الإيمان .

فالصبر من المقامات العظيمة والعبادات الجليلة التي تكون في القلب وفي اللسان وفي الجوارح ، وحقيقة العبودية لا تثبت إلا بالصبر ؛ لأن العبادة أمر ونهي وابتلاء , فالعبادة أمر شرعي أو نهي شرعي أو أن يصيب العبد بمصيبة قدرية.

فحقيقة العبادة أن يمتثل الأمر الشرعي وأن يجتنب النهي الشرعي وأن يصبر على المصائب القدرية التي ابتلى الله جل وعلا العباد بها . ولهذا الابتلاء حاصل بالدين ، وحاصل بالأقدار ، فبالدين كما قال جل وعلا لنبيه ﷺ في الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ قال: قال رسول الله ﷺ « **قال الله تعالى: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ** »

فحقيقة بعثة النبي ﷺ الابتلاء ، والابتلاء يجب معه الصبر ، فالواجبات تحتاج إلى صبر ،والمنهيات تحتاج إلى صبر ،والأقدار الكونية تحتاج إلى صبر.

فالصبر ثلاثة أقسام :

1- صبر على الطاعة.

2- صبر على المعصية.

3- صبر على أقدار الله المؤلمة .

وهناك فرق بين الرضا بالمصيبة والصبر عليها ، فالصبر على المصيبة واجب من الواجبات ؛ لأن فيه ترك التسخط على قضاء الله وقدره .

أما الرضى بالمصيبة فله جهتان :

الجهة الأولى : راجعة إلى فعل الله جل وعلا ، فيرضى بقدر الله الذي هو فعله ، يرضى بفعل الله ، يرضى بحكمة الله ، يرضى بما قسم الله جل وعلا ، فهذا الرضى واجب من الواجبات ، وتركه محرم ومنافي لكمال التوحيد.

الجهة الثانية : الرضى بالمصيبة في نفسها ، فهذا مستحب ، ليس واجباً على العباد أن يرضوا بالمرض ، أن يرضوا بفقد الولد ، أن يرضوا بفقد المال ؛ لكن هذا مستحب ، وهو مرتبة الخاصة من عباد الله.

قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة رضي الله عنه :" أَنَّ يَهُودِيًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ . **فَأَمَرَهُمُ النَّبِيّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمّ شِئْتَ.** "

(رواه النسائي وصححه.)

وعن ابن عباس رضي الله عنه ، أن رجلاً قال النبي ﷺ : ما شاء الله وشئت فقال : « **أجعلتني لله نداً ؟! بل ما شاء اللهُ وحده** » (النسائي وابن ماجة)

وعن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود ، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزير بن الله ، قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله. قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحتُ ، أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي ﷺ، فأخبرته، قال: « **هل أخبرتَ بها أحداً ؟**». قلت نعم قال : فحمد الله ، وأثني عليه ، ثم قال: « **أما بعد ، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده** » (ابن ماجة)

وقال ابن عباس رضي الله عنه :" الأنداد هو الشرك ،أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل،وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان ، وحياتي ، وتقول : لولا كليبة هذا ، لآتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار ، لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلاناً ، هذا كله به شرك."(رواه ابن أبي حاتم)

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَقولُوا مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلاَنٌ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ الله ثُمّ شَاءَ فُلاَنٌ** »(رواه أبو داود بسند صحيح)

تدل هذه الأحاديث على أن هذه الألفاظ من أكبر الكبائر فهي من الشرك الأصغر فعلى المسلم أن يبتعد عن تلفظ مثل هذه الألفاظ .

وكذلك يدل قوله ﷺ : " **قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها** " على أن هذه الألفاظ ليست من الشرك الأكبر بل من الشرك الأصغر لأن الشرك الكبر نهي عنه من أول الرسالة .

كما تدل على أن الحق هو ضالة المؤمن أين وجده أخذه ، فلا يمنعه من قبول الحق أن قاله مشرك أو قاله كافر أو قاله فاسق أو قاله مبتدع أو قاله ضال إذا كان الكلام في نفسه حقاً . لأنه كما قال النبي عليه الصلاة والسلام « **الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها** ». (رواه الترمذي ، وابن ماجة)

الاستهزاء بآيات الله ورسوله

قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ (التوبة:65-66)

هذه الآية نص في أن المستهزئ بالله وبالرسول وبآيات الله جل وعلا – والمقصود بها آيات الله جل وعلا الشرعية القرآن – أن هذا المستهزئ كافر وأنه لا ينفعه اعتذاره بأنه كان في هزل ولعب ؛ بل هو كافر لأن تعظيم الله جل وعلا وتوحيده يوجب عليه ألا يستهزئ .

وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة (رضي الله عنهم أجمعين) ، دخل حديث بعضهم في بعض :" أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائناً هؤلاء ، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء (يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء). فقال له عوف بن مالك: كذبت ،ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ . فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد أرتحل وركب ناقته، فقال : يا رسول الله ! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث

الركب نقطع به عنا الطريق . قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة تنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب . فيقول له رسول الله ﷺ : ﴿ **أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة :65-66] ، ما يلتفت إليه وما يزيده عليه ." (رواه البخاري)

الهزل خلاف الجد ، وصفته أن يتكلم بكلام فيه الهزَل والاستهزاء والعيب ، إما بالله أو بالقرآن أو بالرسول ﷺ .

وأصل التوحيد لا يجامع الاستهزاء بالله جل وعلا وبرسوله وبالقرآن ؛ لأن الاستهزاء معارضة والتوحيد موافقة .

فالكُفَّار نوعان :

1- معرضون : كمن قال الله فيهم ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأنبياء:24].

2- معارضون : وهم المجادلون أو الذين يعارضون بأنواع المعارضات لأجل إطفاء نور الله ، ومن ذلك الاستهزاء ونحوه.

فالتوحيد استسلام وانقياد وقبول وتعظيم،والهُزأ والاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول هذا معارضة؛لأنه مناف للتعظيم،ولهذا صار كفراً أكبر بالله تعالى،ولا ينفعه إدعاءه الإيمان وأنه قالها مازحاً.لأنه لا يصدر الاستهزاء بالله أو برسوله ﷺ أو بالقرآن من قلب موحد أصلاً ؛ بل لابد أن يكون إمَّا منافقاً أو كافراً مشركاً.فمن استنقص الله تعالى أو هزَل بذكره لله

جل وعلا ؛ يعني حينما ذكر الله جل وعلا استهزأ أو هزَل و لم يُظهر التعظيم في ذلك فتنقص الله جل وعلا ، أو هزل بالقرآن أو استهزأ بالقرآن أو بالسنة ؛ يعني بالنبي ﷺ فإنه كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة.

ما جاء في الـــ (لو)

قال تعالى : ﴿ **يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [آل عمران:154].

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا**

قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِـــي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران:156].

وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « **احْرِصْ عَلَىَ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللّهِ . وَلاَ تَعْجِزَنْ . وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ : لَوْ أَنّي فَعَلْتُ كذا لكَاَن كذا وَكَذَا . وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللّهِ . وَمَا شَاءَ فَعَلَ . فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشّيْطَانِ** ».(رواه مسلم)

قلب الموحد لا يكون محققاً مكمِّلا للتوحيد حتى يعلم أنَّ كل شيء بقضاء الله جل وعلا وبقدره ، وأنَّ ما فعله سبب من الأسباب ، والله جل وعلا مضى قدره في خلقه ، وأنه مهما فعل فإنه لن يحجز قدر الله جل وعلا ، فإذا كان كذلك كان القلب معظِّما لله جل وعلا في تصرفه في ملكوته ، وكان القلب لا يخالطه تمني أن يكون شيء فات على غير ما كان ، وأنه لو فعل أشياء لتغير ذلك السابق ؛ بل الواجب أن يعلم أن قضاء الله نافذ وأن قدره ماضٍ وأن ما سبق من الفعل قد قدره الله جل وعلا وقدر نتائجه ، فالعبد لا يمكنه أن يرجع إلى الماضي فيغير ، وإذا استعمل لفظ **(لو)** أو لفظ **(ليت)** وما أشبهها من الألفاظ التي تدل على الندم وعلى التحسر على ما فات فإن ذلك يُضعف القلب ويجعل القلب متعلقاً بالأسباب منصرفاً من الإيقان بتصريف الله جل وعلا في ملكوته ، وكمال التوحيد إنما يكون بعدم الالتفات إلى الماضي ، فإن الماضي الذي حصل :

- إما أن يكون مصيبة أصيب بها العبد فلا يجوز له أن يقول : "لو كان فعلت كذا لما حصل كذا " ؛ بل الواجب عليه أن يصبر على المصيبة وأن يرضى بفعل الله جل وعلا ، ويستحب له الرضى بالمصيبة.

- وإذا كان ما أصابه في الماضي معصية ، فإن عليه أن يسارع في التوبة والإنابة ، وأن لا يقول : " لو كان كذا لم يكن كذا " ؛ بل يجب عليه أن يسارع في التوبة والإنابة حتى يمحو أثر المعصية . فإن الله سبحانه قال : ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[طه:82]

هذا كله من النهي والتحريم راجع إلى ما كان من استعمال (**لو**) أو (**ليت**) وما شابههما من الألفاظ في التحسر على الماضي وتمني أن لو فعل كذا حتى لا يحصل له ما سبق ، كل ذلك فيما يتصل بالماضي .

أما المستقبل أن يقول : لو فعلت كذا وكذا ، في المستقبل ، فإنه لا يدخل في النهي ؛ وذلك كاستعمال النبي عليه الصلاة والسلام لذلك حيث قال مثلاً لعائشة رضي الله عنها: **"لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم** "(متفق عليه) وكقوله ﷺ **"لَوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ** "(متفق عليه) ، فكله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه ، لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعمَّا هو في قدرته . فاستعمال (**لو**) في المستقبل الأصل فيه الجواز إلا إن اقترن بقول القائل (**لو**) يريد المستقبل: اعتقاد أن فعله سيكون حاكماً على

القدر ؛ كاعتقاد بعض الجاهليين : لو حصل لي كذا لفعلت كذا . تكبراً وأنفة واستعظاماً لفعلهم وقدرتهم ، فإنَّ هذا يكون من المنهي عنه ؛ لأن فيه تجبراً ، وفيه تعاظماً، والواجب على العبد أن يكون ذليلاً ؛ لأن القضاء والقدر ماضٍ ، وقد يحصل له الفعل ، ولكن ينقلب على عقبيه ،كحال الذي قال الله جل وعلا فيه : ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا ءَاتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ** . ﴾ [التوبة:75-77] فإنهم قالوا : لو كان لنا كذا وكذا وكذا لفعلنا كذا وكذا ، فلما أعطاهم الله جل وعلا المال ﴿ **بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُون**﴾ ، فهذا فيه نوع تحكم على القدر وتعاظم ، فاستعمال (**لو**) في المستقبل إذا كانت في الخير ، مع رجاء ما عند الله بالإعانة على أسباب الخير ، فهذا جائز .

أما إذا كان على وجه التجبر والاستعظام فإنه لا يجوز ؛ لأن فيه نوع تحكُّم على القدر .

لهذا يختلف حكم قول :(**لو**) باختلاف نوعية استعمالها :-

1- فإن استعملها متسخطاً بها على ما نزل من قدر الله تعالى فهو محرم ، ومن ذلك قوله تعالى عن بعض المنافقين أنهم قالوا : ﴿ **لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا** ﴾ ، وقولهم : ﴿ **لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ** ﴾ ونحو ذلك ، فهذا استعمال محرم ، لأن هذا القول فيه إشعار بعدم الصبر على ما نزل من القدر ومن المعلوم أن الصبر على الأقدار المؤلمة واجب وضد

الواجب المحرم وقولها مشعر بذلك فصار حرامًا ، ولأنها سبب لفتح باب التحسر وزيادة الألم وندب الحظ وسبب لضعف القلب والتفاته إلى الأسباب وتعلقه بها ، وهذا مضعف للتوحيد وهو من عمل الشيطان ، ولأن قولها لن يدفع القدر النازل وإنما يزيده ضيقاً وألماً ، ولأن قولها فاتح لباب سوء الظن بالله جل وعلا وبحكمته البالغة .

2- أن يقولها متطلعاً لها إلى المعصية ، فيحرم أيضاً قولها ، بل دل الدليل أنه مشارك لصاحب المعصية في الوزر كما في حديث : " وَرَجُلٍ آتَاهُ اللّهُ مَالاً وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْماً. فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. وَرَجُلٍ لَمْ يُؤْتِهِ اللّهُ عِلْماً وَلاَ مَالاً. فَهُوَ يَقُولُ: (لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " **فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ** " (أحمد وابن ماجة) فهذا الأحمق الغبي الأخرق أثم بقوله هذا،مع أنه لم ينفق مالاً إذ لا مال عنده،لكن بتمنيه الآثم وتطلعه لفعل المعصية صار مشاركاً لصاحب المعصية .

3- أن يقولها عند فوات الأمر المحبوب ، كفوات العمل الفاضل ، وكفوات علم نافع أو مالٍ ينفقه فيما يحبه الله ويرضاه .

فمن الأول كقوله ﷺ : "**لو اسْتَقْبَلْتُ مِن أمْرِي ما اسْتَدْبَرت ما سُقْتُ الهَدي ، ولحَلَلْتُ مع الناس حين حلُّوا** "(متفق عليه)

(أي :لو علمت في أول الحال ما علمت آخراً ، من جواز العمرة في أشهر الحج. ما أتيت بالهدي الذي يمنعني من التحلل حتى يبلغ محله.)

ومن الثاني :قوله ﷺ:" **يرحم الله موسى ،لوددنا لو صبر** (على الخضر) **حتى يقص علينا من أمرهما** " (من الأعاجيب والغرائب) (متفق عليه)

ومن الثالث: قوله ﷺ :" **ورجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو ينفقه في الخير ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فقال لو أن عندي مثل مال فلان لفعلت فيه مثل الذل فعل ،فهما في الأجر سواء**"(رواه أحمد وابن ماجة) وهذه الحالة الثالثة لا جزع فيها ولا تسخط ولا ترك لما يجب من الصبر ولا حزن ولا تطلع لمعصية ، بل ليس فيها إلا محبة الخير وإرادته وهذا أمر محبوب شرعاً .

4- استعمالها لبيان مثال يحصل به الإفهام وفتح المغلق وتقريب الصورة المراد شرحها ، فهذا لا بأس به ولا تعلق له بالتوحيد ، وذلك كما في قوله تعالى في سياق إثباته وحدانيته بالألوهية :﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ (الأنبياء :22) وكقول المعلم : ما رأيكم لو حصل كذا وكذا فماذا تفعلون ؟ وهكذا .

حكم التحاكم إلى غير شرع الله

قال تعالى :﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف :40)

هذه الآية الكريمة تبين أن إعطاء حق الحكم لله هو عبادة من العبادات كالصلاة والصوم . فمن أعطى حق الحكم في الدماء والأعراض والأموال لغير الله فقد عبد هذا الغير واتخذه رباً مع الله أو دونه .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً . ﴾ [النساء:60].

قوله ﴿ يَزْعُمُونَ ﴾ يدل على أنهم كَذَبَة ، فلا يجتمع الإيمان مع إرادة التحاكم إلى من يحكم بغير شرع الله الذي هو الطاغوت .

قوله :﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ يعني أن يكفروا بالطاغوت ، أن يكفروا بكل تحاكم إلى غير شرع الله سبحانه ، فالأمر بالكفر بالتحاكم إلى الطاغوت هذا أمر واجب ومن إفراد التوحيد ومن إفراد تعظيم الله سبحانه في ربوبيته ، فمن تحاكم إلى الطاغوت بإرادته فهذا انتفى عنه الإيمان أصلا.

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن من أراد التحاكم إلى من يحكم بغير شرع الله فقد تحاكم إلى الطاغوت وآمن به وكفر بالله العظيم ، وأن ادعاءه الإيمان بالقرآن وما أنزل على الأنبياء إدعاء كاذب يكذبه عمله ، وهو إرادته التحاكم إلى غير شرع الله ، لأن التحاكم إلى من يحكم بغير شرع الله ينافي الإيمان بالله ، بل يبطله من أصله .لأنه إيمان بالطاغوت التي أمر الله الكفر به .

قال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد – لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة– وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود – لعلمه أنهم يأخذون الرشوة– فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه, فنزلت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية.

وقيل نزلت في رجلين اختصما, فقال أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ , وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف , ثم ترافعا إلى عمر , فذكر له أحدهما القصة.

فقال للذي لم يرض برسول ﷺ : أكذلك ؟ قال : نعم , فضربه بالسيف فقتله .

وقال تعالى : ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ (المائدة : 49-50)

يقول ابن كثير في تفسير هذه آية :" ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مسستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم ، وكما يحكم التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم (جنكيزخان) الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، **فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير** ". (تفسير ابن كثير)

إن إفراد الله سبحانه بالوَحدانية يتضمن ويقتضي ويستلزم أن يُفرد في الحكم ، كما أنه جل وعلا لا حُكم إلا حُكمه في ملكوته ، فكذلك يجب أن يكون لا حكم إلا حكمه فيما يتخاصم فيه الناس ، وترك تحكيم ما أنزل الله على رسوله ﷺ بحكم الجاهلية ؛ بحكم القوانين الوضعية الوضيعة التي هي زبالة أذهان ونحاتة أفكار البشر ، من الشرك الأكبر بالله جل وعلا وكفر مخرج من ملة الإسلام ، لأنه مما يناقض كلمة التوحيد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قال سبحانه :

﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف : 54)

فلا شك أن إفراد الله بالطاعة، إفراد الله بالحكم، وتحقيق شهادة أن لا اله إلا الله محمداً رسول الله يقتضي أن لا يحكم إلا بشرعه.

حكم موالاة الكفار والمشركين

اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم ، خوفاً منهم ، ومداراة لهم ، ومداهنة لدفع شرهم ، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ، ويحب الإسلام والمسلمين . هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك ، فكيف إذا كان في دار منعة ، واستدعي بهم ، ودخل في طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل ، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، وصار من جنود الطواغيت والشرك بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله ؟! فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره ، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له : أُكفر ، أو أفعل كذا ، وإلا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم ، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان . وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً ، أنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا ؟! وسأذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده .

الدليل الأول : قال تعالى : ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ** ﴾ (البقرة :120)

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن اليهود والنصارى ، وكذلك المشركون ، لا يرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبع ملتهم ، ويشهد أنهم على حق ، ثم قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ وقال في آية الأخرى : ﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾

(البقرة :145)

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، لو يوافقهم على دينهم ظاهراً من غير عقيدة القلب ، لكن خوفاً من شرهم ومداهنة ، كان من الظالمين ، فكيف بمن أظهر للطواغيت الذين يحكمون بغير شرع الله والمشركين والكفار أنهم على حق وهدى مستقيم ؟! فإنهم لا يرضون إلا بذلك .

الدليل الثاني : قوله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة :217)

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا ، و لم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمـــة ، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرَّهم أنه مرتد ، فإن مات على رِدَّتِه بعد أن قاتله المشركون فإنه من أهل النار الخالدين فيها ، فكيف بمن وافقهم من غير قتال ؟! فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له ،عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال ، أنهم أولى بعدم العذر ، وأنهم كفار مرتدون.

الدليل الثالث : قوله تعالى : **﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ ﴾** (آل عمران :28)

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم ، وأخبر أن من يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، أي لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، وهو أن يكون الإنسان مقهوراً معهم لا يقدر على عداوتهم ، فيظهر لهم المعاشرة والقلبُ مطمئنّ بالبغضاء والعداوة ، فكيف بمن اتخذهم أولياءَ من دون المؤمنين من غير عذر ، استحبابَ الحياة الدنيا على

الآخرة ، والخوف من المشركين ، وعدم الخوف من الله ، فما جعل الله الخوف منهم عذراً ، بل قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران :175)

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ . بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** ﴾ (آل عمران :149-150)

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام ، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر ، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم ، وهذا هو الواقع ، فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق ، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين ، وقطع اليد منهم ، ثم قال :﴿ **بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** ﴾ ، فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم ، وهو خير الناصرين ، ففي ولايته وطاعته غُنية وكفاية عن طاعة الكفار ، فيا حسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ونشأوا فيه ، ودانوا به زماناً ، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين ، وخير الناصرين ، إلى ولاية المشركين ، ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء ؟!بئس للظالمين بدلاً.

الدليل الخامس :قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنْتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ**

أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً ﴾ (النساء :97)

قوله : ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ أي في أي فريق كنتم ؟ أفي فريق المسلمين ، أم في فريق المشركين ؟ فاعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف ، فلم تعذرهم الملائكة ، وقالوا لهم : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴾

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين ، وفي فريقهم وجماعتهم . هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة ، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم ، فخرجوا خائفين ، فقتلهم المسلمون يوم بدر ، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا : قتلنا إخواننا ، فأنزل الله فيهم هذه الآية . فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم ، ودخلوا في طاعتهم ، وآووهم ونصروهم ، وخذلوا أهل التوحيد ، واتبعوا غير سبيلهم ، وخطؤوهم ، وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم ، والاستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد ، والصبر عليه ، وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً ، واختياراً لا اضطراراً ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين

تركوا الهجرة شحاً بالوطن ، وخوفاً من الكفار ، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين .

فإن قال قائل : هلاَّ كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قتلوا يوم بدر ؟ قيل : لا يكون عذراً ، لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين إذا قاموا مع الكفار ، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه ، لأنهم السبب في ذلك حيث قاموا معهم وتركوا الهجرة .

الدليل السادس : قوله تعالى : ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ (النساء :140)

فذكر الله تعالى أنه نَزَّل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ، ويستهزأ بها ، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله ، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم ، فهو مثلهم . ولم يفرق بين الخائف وغيره إلا المكره .

الدليل السابع : قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ المائدة :51-52

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم . وهكذا حكم من تولى المشركين من العَلمانيين والليبراليين والبرلمانيين والاشتراكيين والشيوعيين والبعثيين وعبَّاد الأوثان فهو منهم . ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره ، بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر . وهكذا حال هؤلاء المرتدين ، خافوا من الدوائر ، لما في قلوبهم من عدم الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد ، فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك ، خوفاً أن تصيبهم دائرة . قال الله تعالى : ﴿ **يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾

الدليل الثامن : قوله تعالى : ﴿ **تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ** ﴾

(المائدة :80)

فذكر الله تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله ، والخلود في العذاب بمجردها ، وإن كان الإنسان خائفاً ، إلا من أكره بشرطه ، فكيف إذا اجتمع

ذلك مع الكفر الصريح ، وهو معاداة التوحيد وأهله ، والمعاونة على زوال دعوة الله بالإخلاص ، وعلى تثبيت دعوة غيره ؟! .

الدليل التاسع : قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ (المائدة :81)

فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه . ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين ، ولم يفرق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف ، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردهم كثير منهم فاسقون ، فجرهم ذلك إلى موالاة الكفار ، والردة عن الإسلام ، نعوذ بالله من ذلك .

الدليل العاشر : قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ (الأنعام :121)

وهذه الآية نزلت لما قال المشركون : تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله ، فأنزل الله هذه الآية . فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً من غير فرق بين الخائف وغيره إلا المكره ، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم ، والكون معهم ونصرهم ، والشهادة أنهم على حق ، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم ،والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال .

الدليل الحادي عشر : قوله تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (الأعراف :175-177)

وهذه الآية نزلت في عالمٍ عابد في زمان بني إسرائيل ، يقال له : بلعام ، وكان يعلم الاسم الأعظم .

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ : لما نزل بهم موسى عليه السلام – يعني بالجبارين – أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يردَّ عنا موسى ومن معه . قال : إني إن دعوت ذهبت دنياي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله مما كان عليه . فذلك قوله تعالى : ﴿ **فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾

وقال ابن زيد : كان هواه مع القوم ، يعني الذين حاربوا موسى وقومه ، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله ، بعد أن أعطاه الله إياها ، وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها ، أي ترك العمل بها ، وذكر في انسلاخه منها

ما معناه أنه مظاهرةُ المشركين ومعاونتهم برأيه ، والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه ، أن يردهم الله عن قومه ، خوفاً على قومه وشفقة عليهم ، مع كونه يعرف الحقَّ ، ويشهد به ، ويتعبَّد ، ولكن صدَّه عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض ، فكان هذا انسلاخاً من آيات الله تعالى ، وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين وأعظم ، فإن الله أعطاهم آياته التي فيها الأمر بالتوحيد ، ودعوته وحده لا شريك له ، والنهي عن الشرك به ودعوة غيره ، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرهم ، والاعتصام بحبل الله جميعاً ، والكون مع المؤمنين ، والأمر بمعاداة المشركين ، وبغضهم وجهادهم وفراقهم والأمر بتحكيم شرع الله في كل كبيرة وصغيرة وهدم جميع الأوثان ، وإزالة القحاب واللواط والمنكرات ، وعرفوها وأقروا بها ، ثم انسلخوا من ذلك كله ، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هم مثله .

الدليل الثاني عشر:قوله تعالى:﴿ **وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ** ﴾ (هود :113)

ذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسيس النار ، ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره ، فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً ، وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي ، وأحبَّ زوال التوحيد وأهله ، واستيلاء أهل الشرك عليهم ؟! فإن هذا أعظم الكفر والركون .

الدليل الثالث عشر : قوله تعالى : ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (النحل :106-107)

فحكم تعالى حكماً لا يبدَّل أن من رجع عن دينه إلى الكفر ، فهو كافر ، سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل ، أم لا ، وسواء كفر بباطنه أم بظاهره دون باطنه ، وسواء كفر بفعاله ومقاله ، أو بأحدهما دون الآخر ، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا ، فهو كافر على كل حال إلا المكره ، وهو في لغتنا : المغصوب ، فإذا أكره الإنسان على الكفر وقيل له : اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك ، أو أخذه المشركون فضربوه ، و لم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم ، جاز له موافقتهم في الظاهر ، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان ، أي ثابتاً عليه ، معتقداً له . فأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرهاً .

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرهاً حتى يعذّبه المشركون ، فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض ، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ، فما زال يعتذر ويقول حديث عمَّار . وقال الله تعالى : ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾ فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر ، فقال يحيى : لا يقبل عذراً . فلما خرج يحيى قال أحمد : يحتج بحديث عمَّار

، وحديث عمَّار : مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربوني ، وأنتم قيل لكم : نريد أن نضربكم ، فقال يحيى : والله ما رأيت تحت أديم السماءِ أفقه في دين الله تعالى منك .

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر ، وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولون : ما فعلنا هذا إلا خوفاً ، فعليهم غضب من الله ولهم عذابٌ عظيم .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك ، أو الجهل بالتوحيد ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين وعلى رضى رب العالمين . فقال : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ فكفرهم تعالى ، وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا ، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة ، هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وأنهم هم الغافلون . ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون .

الدليل الرابع عشر : قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ . فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ**

اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد :25-28)

فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدّوا على علم ، و لم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة ، وغرَّهم الشيطان بتسويله ، وتزيين ما ارتكبوا من الردة ، وهكذا حال هؤلاء المرتدين الذين والوا الحكام الطواغيت الذين حكَّموا غير شرع الله ، غرهم الشيطان ، وأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة ، وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه ، ونسوا أن كثيراً من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به ، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا ، وخوفاً على الأنفس والأموال ، والمآكل والرئاسات .

ثم قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ** ﴾ فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة ، وتسويل الشيطان ، وإملائه لهم ،هو قولهم للذين كرهوا ما نزَّل الله: ﴿ **سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ** ﴾ فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافراً ، وإن لم يفعل ما وعدهم به ، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات ، وأظهر أنهم على هدى ، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم ، وأن الصواب في مسالمتهم ، والدخول في دينهم

الباطل ؟! فهؤلاء أولى بالردَّة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر .

ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت ، ثم قال : ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ الأمر الفظيع عند الوفاة ﴿ **بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ ولا يستريب مسلم أن اتباع المشركين ، والدخول في جملتهم ، والشهادة أنهم على حق ، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ، ونصره الحكام الطواغيت الذين يحكمون بغير شرع الله ، من اتباع ما يسخط الله ، وكراهة رضوانه ، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف ، فإن الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين ، بل نهى عن خوفهم .

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (المجادلة:22)

فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، وأن هذا منافٍ للإيمان ، مضاد له ، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنَّار . وقد قال تعالى في موضع آخر : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ**

عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ . قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة 23-24)

ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والآبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس ، إذا كان لم يرخص لأحد في موادهم ، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفاً منهم ، وإيثاراً لمرضاهم ، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحاباً ، وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبة لها ؟! ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له ، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام .

الدليل السادس عشر : قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ . إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ**

تَكْفُرُونَ . لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(الممتحنة :1-3)

فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء ، فقد ضل سواء السبيل ، أي أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه إلى الضلالة .

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال:﴿**لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليها ومشقة مفارقتها ، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ، ولا تغني من عذاب الله شيئاً .

الأدلة من السنة :

قال رسول الله ﷺ : " **المرء مع من أحب** " (متفق عليه)

وعن أبن مسعود رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ " **لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**"(رواه أبو داود وأحمد وأبن حبان بسند صحيح)

قال رسول الله ﷺ : " **من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان** "(رواه أبو داود وغيره بسند صحيح)

عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " **عاد في الله ووال في الله فإنه لا ينال ولاية الله إلا بذاك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك** ." (البيهقي ،شعب الإيمان)

وقال ﷺ : " **أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ،والحب في الله،والبغض في الله عز وجل**"(رواه أحمد وغيره بسند صحيح)

وعنْ أبِي ذَرّ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ الله ﷺ : "**أفْضَلُ الأعْمَالِ الْحُبُّ فِي الله وَالْبُغْضُ فِي الله** ".(رواه أبو داود)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "**وهل الدين إلا الحب في اللّه والبغض في اللّه** "(رواه أحمد والحاكم وصححه)

وقال رَسُولُ الله ﷺ : "**لا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيّدٌ فإِنّهُ إنْ لم يَكُ سَيّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبّكُم عَزّ وَجَلّ** " (رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح)

قال رسول الله ﷺ : "**إذا قال الرجل للمنافق يا سيدنا فقد أغضب ربه** " (رواه البيهقي والحاكم وصححه)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك وأما انقطاعك إلي فتعززت بي فماذا عملت**

فيما لي عليك ؟ قال: يا رب وما ذلك ؟ قال: هل عاديت في عدواً ؟ أو هل واليت في ولياً ؟ " (رواه أبو نعيم في الحلية ،الخطيب في التاريخ)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه إن لي كاتباً نصرانياً قال : مالك قاتلك الله أما سمعت الله يقول : { **ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض** } ألا اتخذت حنيفاً . قال : قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه . قال : لا أكرمهم إذا أهانهم الله ولا أعزهم إذا أذلهم الله ولا أدنيهم إذا أقصاهم الله . (رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح)

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" من جامع المشرك وسكن معه ، فإنه مثله "(رواه أبو داود وغيره)

فجعل صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من جامع المشركين ، أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم ، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم ؟! فإن قالوا : خفنا ، قيل لهم : كذبتم .

وأيضاً فليس الخوف بعذر ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ** ﴾[العنكبوت:10] فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف،فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف؟!وإنما جاؤوا إلى الباطل محبة له وخوفاً من الدائرة

والأدلة على هذا كثيرة وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته .

وأما من أراد الله فتنته وضلالته ، فكما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾.

(يونس 96-97)

ونسأل الله الكريم المنان أن يحيينا مسلمين ، وأن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، برحمته وهو أرحم الراحمين .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

إذا في مجلس ذكرنا الكفر بالطاغوت   شرطاً في صحة توحيد رب البرية

يقال تجاوزوا يا قوم هؤلاء   من أتباع خوارج هذه الأمة

برئت إلى المهيمن من أناس يرون   الصدع بالتوحيد خارجية

وإذا في مجلس كفَّرنا البلاعم وقلنا   هؤلاء سلاطين هذه الأمة

يقال اتقوا ربكم هؤلاء   رحمة الله على هذه الأمة

برئت إلى الباري من أربابهم   بلاعم ودينهم أشبه بالمسيحية

قالوا كفَّرت المسلمين قلت كلا   ما تكفير المسلمين ديني ولا اعتقادي

لكن كفَّرت الكافر بالله الناقض   أصل دينه شرطاً لصحة توحيدي

إن كان تكفير الكافر والصدع   بالتوحيد خارجية فلن أغير اعتقادي

إذا نحن صدعنا بالتوحيد فإننا   تكفيريون بالتفصيل عند ذوي الجهل

وتكفير الطاغوت إذا ما ذكرته رميت بالغلو والخارجية والجهل

فهذا قولهم قول بغير علم وقلة فهم وجهل مركب عند ذوي العقل

فلا زلنا نصدع بالتوحيد بعزة عالياً رغماً عن أنوف ذوي الجهل

الفهرس